مقدمة

التجاني الماحي

١٩١١ ـ ١٩٧٠

في يوم من أيام عام ١٩١١ وفي مدينة الكوة علي الشاطيء الشرقي من النيل الابيض ولد التجاني فوالده الشيخ محمد الماحي ينتمي لأسرة العمراب ذات الأصول بشمال السودان بمنطقة جبل أم علي علي وجه التحديد وقد استوطنت الكوه في زمن ربما يعود الي أيام العهد التركي بالسودان ، حيث اضطرت العديد من الأسر الي ترك أوطانها والنزوح جنوباً هرباً من بطش الاتراك وتصليبهم وفظاظتهم في جمع الضرائب والمكوس وما كان يصاحب ذلك من عقوبات أخفها الجلد بالسياط ، وهاجرت الأسرة كغيرها من الأسر وجعلت أم درمان والكوة موطناً لها ، فأختار جد التجاني الماحي أبو ريدة الكوه مقراً له حيث عمل بالتجارة ، وعندما شب ابنه محمد والد التجاني عن الطوق ظل يساعد والده في أعماله التجارية التي شهدت ازدهاراً كبيراً وتوسعاً في ذلك العام ١٩١١ ولد التجاني وكان أكبر اخوانه ووالدته من الدناقلة (القيقر) حيث عاش طفولته بجانب النهر فقد كانت منازل أسرة والدته تجاور النيل الأبيض حيث السواقي وصناعة المراكب التي برع فيها دناقلة الكوه .

كانت أيامها بالكوة خلوتين لقراءة القرآن للأطفال حيث التحق صاحبنا بخلوة الفكي ربيع الله ، وظل بها يقرأ ويحفظ ويجود ويشرف حتي شب عن الطوق وجاء يوم إختيار النابهين من اطفال الخلوة توطئة لالحاقهم بالمدرسة الأولية ، وكان التجاني من أوائل المختارين حيث ألحق بالمدرسة الأولية ..

تلك المدرسة العريقة التي انشئت في حوالي عام ١٩٠٤م وتوفر لها مجموعة فضلي من الأساتذة والمدرسين وظل بالمدرسة الأولية طوال الأربعة أعوام وعرف بين أخوانه بالذكاء الحاد وسرعة البديهة وكان متميزاً في دروسه كما كان صغيراً في سنه وحجمه كذلك مقارنة بأقرانه وزملائه بالمدرسة .

لم تكن في تلك الأيام سوي مدرسة متوسطة واحدة بكلية غردون التذكارية التي يفد لها التلاميذ من كل أنحاء القطر لإختيار عدد محدود منهم ليواصلوا تعليمهم بكلية غردون التذكارية وتم قبوله بالقسم الأوسط وكان قد سبقه الي الكلية مجموعة من أقرانه وزملائه من مدرسة الكوة الأولية فكان منهم الحاج بك موسي والأستاذ النصري حمزة والسيد محمد صالح نمر والسيد عبد القادر مضوي وزكريا ابراهيم وبابكر علي وعثمان نور وكان من دفعته الأستاذ ميرغني حمزة وعبد الرحيم نمر ومحجوب موسي ومنصور محجوب ومحمد احمد سليمان ود. محجوب حمزة وغيرهم من الرعيل الأول الذي تلقي تعليمه الأولي بالكوه وواصل دراسته بكلية غردون .

ثم انتقل التجاني الي القسم الثانوي بالكلية ذلك القسم الذي يتم الاختيار له من بين المتفوقين من القسم الأوسط .. وبعد إكمال سنوات الدراسة بالقسم الثانوي انتقل الي مدرسة كتشنر الطبية والتي كانت تختار طلابها من ضمن الطلاب النابهين بالقسم الثانوي ، وظل بها حتي تخرجه في عام ١٩٣٥ .. ثم ما لبث أن أرسل الي بعثة للخارج في عام ١٩٤٧ الي معهد الطب العقلي بلندن كأول طبيب سوداني يتخصص في جانب الأمراض النفسية .

ظل التجاني الماحي طوال رحلة حياته العملية التي امتدت منذ عام ١٩٣٥ وحتي وافته المنية في مطلع عام ١٩٧٠ أي حوالي خمسة وثلاثين عاماً متصلة امضاها في جلائل الأعمال وخدمة بني وطنه في مختلف الميادين واستطاع ان يضع بصماته الواضحة علي كل الاماكن والحقول التي عمل بها بوطنه طبيباً متخصصاً أو في آبان فترات عمله بمنظمة الصحة العالمية وفي مجال عمله بالحياة العامة وبخاصة خلال توليه منصباً في مجلس السيادة السوداني عقب ثورة اكتوبر١٩٦٤م . كانت مواقفه تنم عن الوطنية الصادقة والحقة ، وطوال تلك السنوات أظهر العديد من العبقريات في مختلف المجالات وبعضها لا يمت الي الطب بصله ، فكانت له اهتمامات واسعة بعلم اللغات وعلم التاريخ وعلم الاجتماع وكان له باع طويل في مجال الكتب والمكتبات واستطاع أن يجمع ثروة ضخمة من المخطوطات القيمة والكتب الباكرة والطبعات النادرة ، كان التجاني مثالاً للعالم المحقق الراوي والطبيب الانسان أوقف حياته للناس مطبباً ومخططاً ، أرسي قواعد الطب النفسي بالسودان وشارك في ارسائه بعدد من دول منطقة الشرق الاوسط فكان له حضور في كل المؤتمرات والندوات التي تعقد بالمنطقة لمناقشة قضايا الانسان ومشكلاته .

وقد رأيت أن أقوم بجمع مجموعة من المقالات والدراسات التي كتبت عن الفقيد والتي سجلها تلاميذه وأصدقائه وقرائه وأقرانه ونشرها في هذا السّفر علّها تكشف جوانباً من حياة فقيدنا العظيم البروفسير والعالم الجليل الدكتور التجاني الماحي .. ونأمل في ذلك بتقديمه لأبناء هذا الجيل والأجيال التي لم تعاصر الفقيد ولم تسمع له محاضراته وندواته ، ونأمل أن تتاح لنا فرصة أخري في تقديم المزيد من تلك المقالات وهي كثر لاضاءة الجوانب العديدة من حياة الفقيد الحافلة بالكثير المثير .

وفي الختام لا يسعني الا أن أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساهم في اصدار هذا الكتاب واخص بالشكر الاستاذ غازي سليمان المحامي الذي تكفل بهموم الطباعة والتزاماتها ولاغرابة في ذلك فان الاستاذ غازي ابن الاستاذ محمد احمد سليمان احد رواد التعليم الاهلي بالسودان وصديق ودفعة التجاني كما ان الدكتور التجاني خال الاستاذ غازي واخوانه . والشكر موصول لاسرة مطبعة شركة ايمان للادوات المكتبيه بامدرمان ولمديرها الشاب الاستاذ معتصم مكي ابوورقة ولمعاونيه ومساعديه .. ونسأل الله ان يجعله في ميزان الحسنات .. والله من وراء القصد هادياً ومعيناً .

د. قاسم عثمان نور

بطاقة فهرسة

٩٢٣	التجاني الماحي (١٩١١ ـ ١٩٧٠)
	الدكتور التجاني الماحي (١٩١١ ـ ١٩٧٠) : مجموعة مقالات
	بمناسبة مرور ربع قرن علي رحيله
	جمع وتقديم د. قاسم عثمان نور .
	ام درمان : شركة ايمان للادوات المكتبية ١٩٩٦م
	١٣١ ص

(طبع بمطابع شركة مصنع إيمان للأدوات المكتبية بأم درمان)

١٩٩٦م

مذكرة تاريخية
لحياة البروفسير
التجاني الماحي

* ولد بمدينة الكوه - مديرية النيل الابيض - في عام ١٩١١م .
* تخرج في كلية كتشنر الطبية في عام ١٩٣٥م.
* عمل بعد تخرجه بالمصلحة الطبية السودانية ، وقضي فترات مختلفة في العاصمة المثلثة ، وادي حلفا وكوستي .
* أرسل في بعثة الي معهد الطب العقلي بجامعة لندن عام ١٩٤٧م .
* عاد بعد إتمام دراسته وتفوقه في عام ١٩٤٩ ، حيث قام بإنشاء عيادة الصحة العقلية التابعة للمصلحة الطبية السودانية
* انتدب من عمله بوزارة الصحة عام ١٩٥٩ وانضم الي العمل بهيئة الصحة العالمية ، مستشاراً اقليمياً في الصحة العقلية لأقليم شرق البحر المتوسط وكان مقره بالاسكندرية ، واستمر عمله في هيئة الصحة العالمية حتي عام ١٩٦٤م .
* الي جانب دراساته في الطب العقلي ، كتب بحوثاً عديدة في مجال الاجتماع ، الفلسفة ، التاريخ ، الأدب ، التصوف ، تنمية المجتمع ، الادارة ، الحضارة الاسلامية والنمو الحضاري في افريقيا والسودان بشكل خاص .
* اشترك البروفسير التجاني في عديد من المؤتمرات العالمية ومنها علي سبيل المثال المؤتمر الأول عن التعليم والطب العقلي الذي عقد بلاغوس وقد كان رئيساً له ، والمؤتمر الذي عقد تحت اشراف هيئة الامم المتحدة بجنيفا بعنوان كيفية التطبيق والإفادة من العلوم والتكنولوجيا في البلاد النامية ، ومؤتمر افريقيا وأثر التغيير الاجتماعي علي الصحة العقلية الذي عقد بنيويورك تحت اشراف الأمم المتحدة ، وقد قدم ما يربو علي اربعين محاضرة في الجامعات والمعاهد الامريكية اثناء الفترة التي قضاها بالولايات المتحدة .
* عين عقب انتصار ثورة اكتوبر في عام ١٩٦٤م عضواً في مجلس السيادة (ورئيساً مناوباً للمجلس)
* حجة في اللغة الهيروغلوفية وقد صحح نطق بعض كلماتها لدي الدارسين في كثير

من الجامعات والمتاحف العالمية .

* كما انه يجيد اجادة كاملة اللغات الاتية :ـ

العربية ، الانجليزية ، اللاتينية ، الهوسا والفارسية .

* تعد مكتبته من أقيم المكتبات التي يمتلكها فرد علي النطاق العالمي ، من بين نفاسئها ستة آلاف مخطوط أثري من بينها خرائط يرجع تاريخها الي خمسمائة عام .

* تحتوي مكتبته علي مايربو علي عشرين الف مجلد ، من بينها خمس آلاف طبعة نادرة .

* يحتفظ بمجموعة رسائل غردون وخطاباته الشخصية ، وتعد مجموعته اكبر من المجموعة التي تحتفظ بها شقيقة عزدون وقد اهدي جزءاً من هذه الرسائل الي جلالة ملكة بريطانيا عند زيارتها للسودان وذهلت الملكة من سعة علمه وعمق ثقافته ، ثم كتبت اليه رسالة تشكره فيها علي هديته التي لا تقدر بثمن .

* تحتوي مكتبته علي الفي قطعة من العملة يرجع تاريخ بعضها الي ايام الاسكندر المقدوني .

* له مجموعات نادرة من طوابع البريد.

* كان ناقداً فنياً نواقاً يمتلك لوحات فنية نادرة .

* كان عضواً في لجنة الصحة العقلية الخاصة بمنظمة الصحة العالمية ، وعضواً في اللجنة التنفيذية للاتحاد العالمي للصحة العقلية وعضواً مساعداً للمجلس العلمي للجنة المساعدات الفنية .

*اشتهر البروفسير التجاني عالمياً ببحوثه الاصيلة في مجال الطب العقلي وعلاقة الامراض والعلاج بالبيئة المحلية .

وتدرس اليوم دراساته المبنية علي ملاحظاته الدقيقة وتقصيه العلمي في مجال الطب العقلي والمجتمع في السودان والشرق الاوسط وافريقيا في كثير من الجامعات .

*وجد مؤلفه ((مقدمة في تاريخ الطب العربي)) رواجاً كبيراً عند الاطباء والمثقفين في مختلف البلاد العربية .

* أسهم ببحوثه في الموسوعة الميسرة عن تاريخ الطب العربي .

* انتقل الي جوار ربه في ٨ / يناير ١٩٧٠م.

التجاني الماحي *

١٩٠٨ - ١٩٧٠م

بقلم محجوب عمر باشري

نشأ التجاني الماحي في أسرة من العمراب الذين عملوا بالتجارة في النيل الابيض ، وأنصرف كل أهله الي هذا العمل ، ولكن دون اخوانه اهتم منذ طفولته بأخبار كرامات الاولياء ، وعلاج المرضي وفاقدي العقول ، وزار المشايخ والقباب ، وحفظ الأنساب ، وذهب الي جبل أم علي ودبم القراي وسمع اهله يتحدثون عن سمساعة والقراي ، والشيخ حامد أب عصاتاً سيف ، كما ان الحاسة الادبية ظهرت في كتاباته منذ المدرسة الوسطي ، ولما التحق بكلية غردون ، فكر في باديء الامر أن يكون معلماً ولكنه اختير في القسم العلمي ، فكان بجانب دراسته يقرأ في شتي المعارف ، ويتحدث عن فرويد ، ويونج ، وأودلر ، والتحق بمدرسة كتشنر الطبية ، وتخرج طبيباً عمل في كثير من الاقاليم حتي نقل الي الابيض في الاربعينات فالتقي هنالك بمحمد أحمد المحجوب الذي كان قاضياً جزئياً هناك والدكتور علي باخريبه ، وتألق التجاني في كردفان فكان الحكم في المصالحات بين القبائل والمراجع في المنازعات ، وكان بجانب ذلك يحاول أن يستخدم الطرق النفسية في معالجة الامراض ، ويزور العاملين في معالجة الجنون ويستمع اليهم ويناقشهم ويستعين بهم في بعض الاحيان ، فلما تمت له البعثة للمملكة المتحدة تخصص في الأمراض العصبية والنفسية وعمل فترة في الحكومة واستقال بعد ذلك ليتفرغ لعيادته ، فكان أول طبيب نفسي في السودان ، وفي تلك الفترة عمل في الجزيرة وفي غرب السودان ، كما أنه درس التاريخ الاجتماعي ووهب التجاني نفسه للقراءة والدرس ، وزار مواطن الاولياء والصالحين ودرس الانثربولوجيا الاجتماعية لوادي النيل، وأثر السحر والخرافات في تكوين الشخصية ، في صحوها ومرضها ، ودعاه ذلك أن يدرس اللغة الهيروغلوفية والاثار وأن يلم باللغة اليونانية القديمة ، وفتحت له هذه الدراسات أن يلجأ للمحفوظات واللوحات الفنية ، ويتابع ما بدأه من دراسات في الموسيقي ، فالتيجاني كان يعزف الكمان والعود عندما كان طالباً في كلية غـــردون ...

---

* في كتاب ـ رواد الفكر السوداني ، ص ٦٨ ـ ٧٠ : دار الفكر ، بيروت : دار العالم الاسلامي ، ١٩٨١م .

وكتب التجاني عن الزار ، وعن طرق العلاج به ، وعن الانغام وصلاتها بالمرض النفسي والعصبي .

ومنذ عام ١٩٥٧م أصبح التجاني يشارك مشاركة واضحة في الحياة الثقافية ، فكان صالونه يعج بمحبي الثقافة والعلم ، يتحدثون في كل صنوف المعرفة ، وأخرج في تلك الآونة كتابه عن تاريخ الطب العربي ، وهو من أقيم الكتب التي ألفت في هذا المجال ، ولكنه لم يجد الاهتمام والدراسة ، وفي تلك الأثناء كتب كذلك عن العلاج بالأعشاب ، وبعد ذلك شد الرحال الي الاسكندرية حيث عمل خبيراً في هيئة الصحة العالمية حيث عمل في ميدان الصحة النفسية وكتب دراسات عن الاضطرابات النفسية القاسية في المنطقة ، وعاد قبيل ثورة اكتوبر ، فقام بالعمل في كلية الطب في جامعة الخرطوم بتدريس الطب النفسي ، ولما هبت ثورة اكتوبر اختير عضواً في مجلس السيادة ولكنه استقال ، وعاد مرة أخري للعمل في كلية الطب ، وأشرف علي أول مؤتمر للصحة النفسية أقيم في جامعة الخرطوم في عام ١٩٦٦م ، وكان التجاني يعاني من مرض السكري ، ولكنه كان يقاومه ويعمل طوال اليوم في القراءة والبحث ، ويفتح صالونه كل ليلة ليعالج مسائل العلم والثقافة .

كل الدراسات التي كتبها التجاني الماحي كانت باللغة الانجليزية لانه رأي في ترجمة الاصطلاحات قصوراً ، كما ان العالم العربي لم يتفق علي كثير منها ، وهكذا كانت حجته ، مع انه كتب كتاب تاريخ الطب العربي وبه اصطلاحات علمية وجد لها مقابلها باللغة العربية .

لاشك أن التجاني قرأ كثيراً من صنوف المعرفة ، وأهتم بالتاريخ الروحي والانساني في وادي النيل ، ورجع الي أمهات المراجع ، ولكنه لم يسجل عملاً يستفيد منه الذين جاءوا بعده ، كما انه كان حجة في علاج الجنون ، من غير استخدام العقاقير والصدمات الكهربية ، وقد استفاد من طرق العلاج في كباس وفي كركوج وارسي وأم ضوابان ، وفي كثير من الاحيان كان يستفيد من وصفات الفقراء ، وقد سجل ذلك في مذكرات ، وكان دائماً يتحدث عن الاجسام الغريبة ، وفي بعض الأحيان كان يتحدث عن تجارب ورؤي غير محسوسة وتتحقق كل أقواله ، لذلك كان راضياً بالقضاء والقدر ، فقد حدث أن اختير ابنه عبد الرحمن في الكلية الحربية واجتاز الاختبارات الطبية ، فسحب أوراقه ، وأكد للأطباء أن ابنه يعاني من كريات الدم وأكد لهم أنه سيتوفي في زمن وفاته ، وفعلاً حدث ما قاله وفي عام ١٩٦٨ حدث ميقات وفاته .

ان قراءات التجاني في التصوف عامة جعلته ينظر للحياة كطريق لحياة أفضل ، لذلك

اتسمت حياته بالقناعة والصبر ، وأهدي كثيراً من تحفه ومحفوظاته ، وقصر حياته علي العلم والتعليم ، فتدريسه في كلية الطب كان سياحة وتحليقاً وسمواً يستفيد منه الأديب والفنان والعالم والطبيب ، لذلك جذب الكثيرين من طلبة الطب النفسي ، كما ان احاديثه في ندواته وجهت الفنانين والأدباء والمؤرخين للعناية بالبحث وولوج أبواب الابداع ، فكنت تري الشاعر والطبيب والمعلم والصحفي والمهندس يغشي ندوة التجاني الماحي .

وقد سالته مرة لماذا لا تتيح للآخرين أن يكتبوا ما يدور في ندوتك ، فاننا قد عرفنا سقراط عبر محاورات افلاطون ، وجونسون في كتاب بوزيل ، وجوته في كتاب اكرمان ، قال لي تمنيت ذلك ، ولكن لم أجد أحداً واصل معي كل هذه الرحلة .

قلت له : لأنك تتحدث عن مسائل لا يفهمها الكثيرون ، فانت تتحدث عن السحر عند الفراعنة ، والشمس وعلاقاتها باهل النيل ، والحلي السودانية ، ثم تسافر معهم فتتحدث عن شخصية هتلر وأتاتورك وأثر الامراض النفسية في الشخصيات التاريخية ، انك في حاجة لمتفرغ للمعرفة ، فضحك وقال : انني أحاول أن أثير ذاتي .

رحم الله التجاني الماحي الطبيب العالم الفنان .

التجاني الماحي

عبد المجيد عابدين

عندما خلي التجاني الماحي مكانه في هذه الحياة الدنيا احسسنا ان كل مكان في الدنيا قد خلا من الحياة بموته .

عاش حياة قصيرة الأمد ، ولكنها حياة عريضة تجاوزت في اتساعها وعمقها هذه الدنيا ، لقد فقدنا بوفاة التجاني الماحي نموذجاً ، انسانياً نادراً قلما يجود الزمان بمثله ، وموهبة فذة التقت فيها روائع التراث العريق وثمار العلم الحديث .

امتزج التراث الانساني ، والعربي بنوع خاص ، بعاطفة التجاني وفكره وهواه ، وتغلغل الي اعماق كيانه ، ومنه استمد مثله العليا ، واستوحي طريقته في الفكر والقول والعمل جميعاً .

كان حب التراث العربي بنوع خاص ، هو العاطفة السائدة في شخصيةالتجاني الماحي وهو المنطلق الذي انبعثت من نظرته الي التاريخ ، وادراكه لمفهوم الحضارة وفلسفتها وحكمته التي تجلت في سلوكه وعمله ومنحاه في تفسير الظواهر العلمية ودراستها واسلوبه في التعبير .

بذل التجاني من ماله ووقته وجهده باحثاً عن نفائس التراث ، ولم يدع مكاناً في العالم من أمكنة بيعها الا طرقه واقتني ما يروقه منها ، ومن رسائل ووثائق ومخطوطات ، ومسكوكات وخرائط وتحف وكتب مطبوعة وكان له في اقتنائها متعة خاصة ، لأنها آثار من هذا التراث الذي آثره بحبه ، ولم يكن حرصه علي تعلم الهيروغليفية والفارسية الا رغبة متعطشة في استكمال وسائل عن ألوان من هذا التراث الانساني العريق .

واعجاب التجاني بالتراث العربي بنوع خاص ، يتجاوز كل حد ، تحس هذا الاعجاب وهو يتحدث اليك عن روائع الحضارة العربية وما تركته من أثر عميق في الحضارة الأوربية ذاتها ، وقد تستمع الي التجاني وهو يحدثك عن الحضارة في مفهومها المطلق فتدرك انه يؤمن بأن الحضارة لا تؤتي ثمارها في تحقيق رفاهية الانسان وتقدمه الا إذا عنيت بالمثل العليا الي جانب التقدم العلمي والتكنولوجي فالمثل العليا هي القوة الدافعة التي تبث في الحياة المادية اشراقة الامل ، وتلقي ضوءاً كاشفاً علي المعاني السامية في الحياة ، وترتفع بالنفوس عن صغائر النفعية الزائلة وسفاسف المنازعات الرخيصة ، ولم يكن ايمان التجاني

بمفهوم الحضارة علي هذا النحو الا ثمرة تجارب عميقة عاشها التجاني مع التراث الانساني بصفة عامة ، والتراث العربي بنوع خاص ، أدرك فيها بعين فاحصة وقلب متفتح ما زخر به التاريخ من مواقف البطولة والتضحية في سبيل المبدأ ونخائر القيم الخالدة التي عاش أصحابها حريصين عليها ، وتفانوا في سبيلها .

ولم تكن هذه المثل شيئاً تعلمه التجاني ووقف به عند مجرد العلم والنظر ، وانما تلقاها بقلبه وفكره ، واتخذها سلوكاً وعملاً وراض نفسه عليها ، لهذا اتسمت شخصية التجاني بمثالية زاهدة تبذل عن سخاء وتضحي عن سماحة نفس ، وترتفع عن النفعية الزائلة وتلقي باشراقة الامل في النفوس .

ولكن هل كان التجاني يعيش في الماضي وحده مستغرقاً فيه ، منشغلاً به عن الحياة التي يعيشها الناس ؟ هل صرفه حب التراث وتعلقه به عن ثقافة العصر ومشاكله الحية ؟ .

الواقع ان نبوغ التجاني انما يرجع اولاً وقبل كل شيء الي هذه الموهبة الفذة التي استطاعت ان تجمع بين القديم والحاضر ، وان ترد الفروع الحديثة الي أصولها .

لقد تعلق التجاني بهذا التراث عن وعي وبصيرة ، واستطاع ان يستخلص منه خير ما فيه ، ومضي في الوقت نفسه في تحصيل ثقافة حديثة ، وكان ميدان الطب النفساني الحديث عالماً بلغ في تخصصه أقصي ما يصل اليه المتخصصون في هذا المجال ، فضرب بذلك مثلاً حياً للعالم المتخصص الذي يجمع بين أدق ما عرفه المتخصصون في نوع من فروع الطب ، وأوسع ما استوعبه عالم في ميادين المعرفة الانسانية والتراث الانساني وليس من شك في ان معارفه الشامله ، كان لها قيمة فعالة وفائدة محققة في دراسته المتخصصة ذاتها ، فقد كان لديه من علمه الواسع بالتراث العريق ما مكنه من تفسير كثير من الظواهر العلمية في الطب الحديث في ضوء التاريخ ، وردها الي الجذور الحضارية السابقة ، ولقد كان التجاني يؤمن بقدرة التاريخ علي تصحيح كثير من أحكامنا المعاصرة ، وإلقاء الضوء علي كثير من القضايا والظواهر العلمية التي يتداولها الناس في هذا العصر ، وعلي اساس هذا المفهوم ألف التجاني كتابه القيم « مقدمة في تاريخ الطب العربي » ، كما كتب عدداً من الابحاث التي القاها في مؤتمرات عالمية ، وهي أبحاث لا تزال متفرقة بعضها مطبوع ، وبعضها لم يطبع بعد ، واننا لنرجو ان تتولي هيئة علمية تجميع هذه الابحاث القيمة ، وطبعها في كتاب تخليداً لذكري هذا النابغة الفذ الذي وهب حياته للعلم والوطن ، رحم الله التجاني الماحي وطيب ثراه .

التجاني الماحي
العالم الموسوعي
بقلم : د . حسن أبشر الطيب

إن العلم عبادة لأن تقصينا للحياة علي اختلاف جوانبها يعمق فينا الايمان بقدرة الله سبحانه وتعالي .. كلمات مشرقة قالها لي شيخي وأستاذي العالم الجليل التجاني الماحي عطر الله ثراه - في أخر لقاء لي به ، وقد كانت كلماته هذه خلاصة منهجه وأسلوبه في الحياة ، حياة قضاها يبحث عن أصول المعرفة في مختلف المعارف الانسانية مردداً قول ابن الربيع « الحكمة هي ادراك أفضل المعلومات بأفضل العلوم » وهو مؤمن أشد ما يكون الإيمان بوحدة العلوم لأنه يري أن التكامل في المعرفة يعين علي اتخاذ الرأي الحكيم وذلك مذهب يعرف بمذهب فلسفة العلوم المنهجي ويري شيخنا أن العرب أول من راد هذه الفلسفة فقد عرفوها وشرحوها وطبقوها وحثوا عليها كأداة للفلسفة والفهم الفاضل وكان ابونصر الفارابي من أوائل القائلين بوحدة العلوم وان هذه الوحدة تفرض في حقيقتها صلات مفروضة وكان يتمسك بالمذهب القائل بشمول الحكم وفحواه ان المعرفة الكاملة والاحاطة بالعلوم بقدر مايتيحه الامكان الانساني يسبغ الحكم التي تفتح ابواب الحياة الفاضلة للعقل الفاضل للوصول الي فهم الحقائق الكلية لأن المعرفة من أي نوع تشجل مبدأ حكيماً (١) . وكان أستاذنا التجاني يؤمن أن الاحاطة بالعلوم بقدر ما يتيحه الامكان الانساني ، يعين من جانب أخر علي التخصص العميق . ففي ميدان تخصصه يري «أنه من الضروري ان ندرك إداركاً تاماً ان الصحة العقلية ليست مفهوماً طبياً محضا ، بل ان بعض جوانبها الهامة تمت الي الانطباعات الاولي في الأسرة والي وسائل التربية والتربيب والي ظروف العمل والكسب ، والي الحياة الزوجية ، والي المجتمع في مبادئه ونظمه وتاريخه وفلسفته وعقائده والي ظروف اقتصادياته والي صحة البدن (٢) » .

وهذا التخصص العميق الذي آمن به ، وسعي له وحققه شيخنا التيجاني يختلف اختلافاً اساسياً عن التخصص الضيق الذي يؤمن به بعض الناس هذه الايام ، والذي يجعلهم ينحصرون في دائرة ضيقة هي مجال تخصصهم كما يرون - ولكنهم وخارج هذه الدائرة المغلقة لا يعرفون عن جوانب الحياة شيئاً . أما هذا التخصص العميق الذي أمزريه

أستاذنا فهو الشمول والتكامل في المعرفة في دائرة واسعة تشمل المعارف الانسانية ، قديمها وحديثها .. وقد سبقنا الي الاشارة لعمق التخصص عند شيخنا التيجاني ، أستاذنا الفاضل العالم الجليل الدكتور عبد المجيد عابدين عند تقديمه لمؤلف مقدمة في تاريخ الطب العربي .. يقول في المقدمة «وجدنا صديقنا الدكتور التيجاني ، رجلاً تخصص في علم النفس الطبي تخصصاً عميقاً ، إذ جعل من تخصصه هذا محوراً لدائرة واسعة النطاق تشمل معارف متعددة الجوانب ، فيها الادب والتاريخ وهما يظهران جلياً في كل فصل من فصول هذا الكتاب ، وفيها إلمام بلغات قديمة كالهيروغلوفية ، وهذا يتجلي للقاريء عند قرأءة الفصل الأول من هذا الكتاب وفيها معرفة واسعة بالنزعات الروحية وقد أعانته هذه المعرفة علي دراسة " النفس " ولاسيما في المجتمعات التي تغص بالنزعات الصوفية والروحية . وفيها ، فوق هذا كله فهم عميق لعلوم الطبيعيات والرياضيات والفنون الجميلة كالموسيقي وفن الشعر، وهذه كلها تتصل اتصالاً متفاوت النسب بعلم النفس الطبي ، ولايستغني عنها عالم الطب النفساني بحال من الاحوال » (٣) وقد كان شيخنا وهو علي هذا التخصص العميق والسعة في المعرفة شديد التواضع فكثيراً ما كنا نسمع له يردد، وما نقرأ له بحوثه المتعددة إعجابه وإيمانه بقول أبقراط : «ليس عندي من فضيلة العلم سوي إدراكي بأنني لست بعالم » واذكر اني قد اقترحت عليه ذات أمسية ان نكون ندوة فكرية يكون هو أمامنا فيها ، فتقبل الفكرة في ترحاب شديد ولكنه رفض ان يكون رئيساً لها وقال كلنا طلاب علم ، وقد نقلت الفكرة الي بعض الاصدقاء فتحمسوا لها كثيراً ولكن اعتلال صحته والمرض الذي لازمه في آخر أيامه حال دون تحقيق هذه الامنية .

والمتأمل في مؤلفات استاذنا التجاني لا شك معجب بأسلوبه الرصين وقدرته الفذة في اختيار الألفاظ المعبرة وقد قاده البحث عن الكلمة الدقيقة المعبرة والتفهم الأصيل لما يكتب بغير العربية الي دراسة وإجادة اللغات : الانجليزية ، الفرنسية ، اللاتينية ، الفارسية ، الهيروغلوفية والهوسا ، وإلمامه بهذه اللغات لاينحصر في مفرداتها اللغوية بل تعداها الي دراسة آدابها وفنونها .

وانك لتلاحظ اعجابه باللغة العربية في قوله : «وقد استطاعت اللغة العربية بما وهبها الله من مرونة في مادتها وثراء في اللفظ والمعني وقدرة علي دقة التعبير ان تكون وسيلة ناجحة لهذا النقل (من اللغات الأخري) دون عناء (٤) » . ويبدو لك افتتانه بالأدب من كثرة استشهاده بالشعر في مختلف ابحاثه .. يقول في بحث له عن مفهوم الصحة العقلية في

التاريخ : «الصحة لاتعني الخلو المطلق من الهم أو القلق في جميع الاحوال ، بل يكون الخلو من القلق أو الهم عندما تتوفر دواعيه من العلاقات غير الطبيعية وق قال المتنبي : « وربما صحت الاجسام بالعلل » (٥) ويقول في مؤلفه « تاريخ الطب العربي » : «الأدب العربي بطبعة ادب غني بالتعابير الدقيقة التي يستطيع الكاتب ان يستغلها في وصف ادق الحالات واعقدها وقد وصف المتنبي في شعره حُمي غشيته في مصر وصفاً قوياً رائعاً وأظنها من نوع الملاريا الخبيثة فلم يفته ذكر الرعاش وشدة ارتفاع الحرارة ودوريتها المنتظمه كل ليلة والعرق والهذيان ولكنه لم يذكر شيئاً عن القيء ولاشك انه عبر عنه بعجز البيت : فتوسعه بأنواع السقام (ثم اورد نص القصيدة) .. ثم قوله وكانت حبابة جارية يزيد بن عبدالملك كثيراً ما تتغني بهذا البيت الرقيق الذي يصف موضوع غصته المحبين وصفاً تشريحياً دقيقاً فهي تقول بين التراقي واللهاة حرارة لا تطمئن ولا تسوغ فتبرد » (٦) . وقد كان يري ان تفسير الاحلام الذي يساعد علي فهم المريض ومشكلته لما لها من أثر سيكولوجي عميق في النفس ، لا يدرك إلا علي اساس معرفة قويمة لعلم البلاغة . يقول في بحث عن مفهوم الصحة العقلية في التاريخ : «الحقيقة ان سر تعبير الاحلام لايدرك الا علي اساس معرفة قويمة لعلم البلاغة لأن الخواطر الاولي التي تبعث الأحلام والتي تتجسم في رؤي الحالم ، تقوم علي اساليب الادماج والكناية والمطابقة ، والمبالغة والاستعارة وغيرها من اساليب البلاغة . ولذا فإن كتب البديع ككتاب ابن المعتز. وكتاب الكناية والتعريض للثعالبي ، وكنايات الادباء وإشارات البلغاء للجرجاني ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، والبديعية للصدفي ، من اهم الكتب التي لايستغني المعبر اليوم عن معرفتها . وربما نستطيع ان ندرك قيمة كتاب النابلسي في تفسير الاحلام عندما نحس بقدرته البديعية في قصيدته التي مدح بها الرسول (ص) المسماة بنفحات الأزهار علي نسمات الأشعار . » (٧)

منهجه في البحث :ـ

ان تمكنه من اللغة العربية واللغات الاخري التي ورد ذكرها سابقاً ، قد اتاح له التعبير الدقيق والترجمة الامينة لما يرد في اللغات الاخري وهو مثبت دائماً لنص الكلمة كما وردت في لغتها ثم يوافيك بعدها بالمقابل لها في اللغة العربية كما اصطلح عليه الناس إن وجد ، أو كما يراه هو في الحالات التي لايوجد فيها مصطلح شائع .. ونلاحظ دائماً أنه

حريص كل الحرص علي تحديد ابعاد كل المصطلحات التي يستعملها في بحوثه ، بل إنك لتجد في بعض الاحيان توضيحه لمعاني بعض الكلمات التي ربما يتبادر اليك انك علي علم واضح بها ، ولكنه عندما يوضح لك معانيها كما يراها هو تدرك ان شرحه قد اضاف اليك الكثير .. كقوله مثلاً في الفرق بين الطموح والطمع : ـ « الطموح عاطفة ، انسانية ، ايجابية ، اجتماعية ، بناءة مشروعة تعمل عن طريق المنافسة الشريفة والوسائل المشروعة الواضحة واقعية في امكانياتها ، أي في حدود قدرات صاحبها وأهدافه ، والطموح له الحوافز الفاعلة والقابلية والادراك العاطفي ومعرفة الوسائل والطاقة والسير قدماً ، والطمع عكس الطموح يريد الغرض ولايملك الوسائل ولا يريد اعتمالها ، عاطفة غير اجتماعية هدامة تولد مشاعراً وتثير أعمالاً هدامة » (٨) لذلك فإننا نقول ان بحوث استاذنا التجاني تتسم بالأسلوب الجدي والعلمي ولابد للدارس لها دراسة متأنية اذا أراد التفهم الدقيق لمحتواها .. ولاشك أن الدارس سيلاحظ أن حرص الأستاذ علي التقصي الدقيق للمعاني قد قاده في بعض الاحيان الي صعوبة التعبير المستعمل ، وهو علي أية حال لا يخفي علي من أعتاد الوقوف والتأمل في المعاني .. ونذكر من هذه العبارات التي تبدو صعبة قوله في مفهوم العمل : « اذا تأملنا فإننا نجد أن مفهوم العمل قد يحقق هدفنا كأساس للمقارنة لأن الرابطة بين الانسان وبين العمل والانسان والانتاج رابطة جوهرية في المصدر والصدور والمصدرية والاصدار لأن العمل في صدوره ومصدريته يرجع للانسان والانتاج في صدوره ومصدره يرجع للعمل الذي يكون الانسان مصدره في صدوره واصداره » (٩) .

ونلاحظ أيضاً عنايته بالمصادر ، فجل أبحاثه إن لم تكن كلها معتمدة اعتماداً أساسياً علي المصادر الأساسية ، وهو أمر نادر في جل البحوث التي نقرأها في هذه الأيام ، فكثيراً ما يعتمد الباحثون علي المراجع السهلة لانهم يدركون ان دراسة المصادر والمخطوطات الأثرية تحتاج الي صبر طويل وزمن أطول .. وهو في الموضوع الواحد لا يعتمد علي مصدر واحد بل يبحث في جميع اللغات التي يجيدها عن المصادر التي تساعده علي التحقق من أبعاد الموضوع علي اختلافها ... والدارس لمؤلفه مقدمة في تاريخ الطب العربي يدرك كيف استفاد أستاذنا من اجادته للغة الهيروغلوفية في تقصي بعض الوثائق التي تبين عن مهنة الطب عند الفراعنة ، بل يكفيك أن تعرف أن هذا الكتاب يضم فهرساً قيماً عن أهم المخطوطات والكتب التي تتصل بتاريخ الطب العربي ، تربو المصادر العربية فيه علي مائة وثلاثين ، بينما تربو الكتب باللغة الانجليزية علي عشرين ، وهذه الظاهرة لم

ينفرد بها هذا الكتاب دون سواه بل هي السمة الواضحة لكل ابحاثه وكثيراً ما تلاحظ أنه في صلب البحث يرشدك الي بعض المصادر التي يمكن الرجوع اليها اذا أردت زيادة في المعرفة ، وهو ايضاً لا يرشدك الي مصدر واحد بل يعدد لك الكثير كقوله مثلاً عن تفسير المتصوفة للصحة :- «ونجد في كتب المتصوفة تفسيراً للصحة باعتبارأنها فضيلة تابعة لاخلاق النفس تنبعث إصولها من الدين ، وقد حدا هذا ببعضهم الي إدعاء الطب والي تاليف الكناشات الطبية ومن ضمن الكتب الهامة في التصوف والاخلاق التي توضح هذا المنهج إحياء علوم الدين للغزالي ، والفتوحات المكية لأبن عربي وكشف المحجوب للهجويري والزريعة في مكارم الأخلاق والشريعة للراغب الأصفهاني والأخلاق لأبن مسكويه والرسالة القشيرية والطبقات الكبري والصغري للشعراني »(١٠) . اما اذا كان هذا المصدر الذي يرشدك اليه من الوثائق أو المخطوطات النادرة فهو دالك علي دار الكتب أو المتحف الذي يحتفظ بها .

وقد كان إلمامه بجميع مصادر بحثه دافعاً له في بعض الأحيان الي الاستطراد وهو إستطراد يدل علي سعة في العلم وصلة متصلة في المعرفة .. غير انه في كثير من الأحيان يستعيض عن الاستطراد في صلب البحث بالحواشي والهوامش في آخر كل صفحة ، ومؤلفه مقدمة في تاريخ الطب العربي يقدم العديد من صفحاته أمثلة لما نقول .

وأستاذنا التجاني ينهج منهجاً متكاملاً في البحث ،" يبين لك في اسلوب منطقي متسلسل أصول الامر ، مسبباته وظواهره الحالية ثم يقدم لك علي ضوء هذا كله طرق علاجه والتفاعلات التي يمكن ان تنتج منه مستقبلاً وله في الدراسات التاريخية منهج سنعود اليه في الأسطر القادمة .. وهويميل في جل ابحاثه الي النظرة التاريخية لانه يري أن دراستنا للماضي تعطينا العلل لما يحدث في الحاضر : « أسمحوا لي أيها السادة أن أقول بكل صراحة ودون قيد أو شرط أن أسباب الحاضر لا توجد في الحاضر بل في الماضي ، إن الماضي علل بالنسبة للحاضر والحاضر معلولاته بالنسبة للماضي توشك ان تصير عللاً للمستقبل ، ان ما قد نراه من أسباب الحاضر في الحاضر في محيط المشكلات الانسانية قد تكون أعراضاً للمشكلة لا أساساً لها » (١١) .

وبعد لم تكن كلماتي هذه أكثر من لمحات موجزة عن أسلوب ومنهج أستاذنا التجاني في البحث رأيت أن أقدم بها حديثي عن دوره كمؤرخ وكعالم بشئون الادارة وفنونها ، وله في كليهما من الاراء ما يقف شاهداً علي مقدرته الفذة في استكشاف الحقيقة ، ورصد المدلولات وتحليلها واستنتاج ما يدفعنا الي الاصلاح والابداع .

التجاني المؤرخ :

ان التقصي الدقيق لجميع جوانب الحياة يقتضي تفهم جذورها وأصولها ، وهذا ما آمن به أستاذنا وأتخذه كمنهج له في البحث ، لذلك لا تجد له بحثاً واحداً لم يسبقه بأصوله التاريخية ، بل إن عنايته بالتاريخ قد جعلته يفرد له بحوثاً خاصة ترصد تطورات علم من العلوم او مهنة من المهن كمؤلفة في تاريخ الطب العربي .. وهو يري ان الفكرة التاريخية ضرورة لازمة لكل بحث اجتماعي وليست بالترف الذهني كما يتوهم البعض .. يقول في بحث له عن مفهوم الصحة العقلية في التاريخ «ان الفكرة التاريخية ضرورة لازمة لكل بحث اجتماعي » . قال تشرشل : The Longer you can Look backward, the further you can see forward. أي « كلما أطلت بصرك امعاناً في الماضي ازدادت بصيرتك خبرة بالمستقبل » . والحق ان فلسفة التاريخ قد تسدي معونة صادقة في جلي الحقائق وإداركها ، وخلا ذلك فإنه للإلمام بفن التاريخ ومذاهبه ، ضرورة للطبيب ، لأن لمهنة الطب صلة تاريخية لازمة فالمرض ظاهرة حية لها كيان تاريخي ينبغي تتبعه وإستقصاؤه وفقاً لمنهج تاريخي سليم » (١٢) . وهو يري ان في ربط الماضي بالحاضر تدعيماً للقومية علي أسس من الفكر عميقة ، يقول في بحث له عن العلاقات الانسانية واثرها في تربية المواطن العربي : « من واجب الدولة في رفع العلاقات الانسانية وتطويرها ... بعث أطياف الماضي كمصدر من مصادر الألهام لأن التاريخ عمر ثان للشعوب وتوجيه المؤرخين والكتاب والشعراء والفنانين لخدمة المجتمع وتدعيم القومية وخلق الولاء للوطن عن طريق ربط ماضيه بحاضره » (١٣) .

ولأستاذنا في التاريخ نظرة جديدة ، فهو يرفض رصد الحوادث وسردها سرداً مجرداً ، بل انه يري ان المؤرخ الحق هو ما أستوعب الحوادث وأفاد من تجارب الماضي في تحليل الحاضر . لذلك لا نراه ميالاً الي ذكر الحروب ومصائبها إلا بالقدر الذي يوضح آثارها السيئة علي الانسان ، ولكن جل حديثه منصب ومتتبع للتجارب الانسانية في كافة العلوم والفنون .. وهو مؤمن كل الايمان ان استيعاب هذه التجارب تفيدنا في معالجة ما نحن فيه .. يقول : « وقد أسدي التاريخ في مناهجه خدمات جليلة للطب وخاصة المدرسة الحديثة التي كان من روادها الأوائل الفليسوف الايطالي بندتو

كـروشيه BENDETTO CROCHE والمؤرخ الانجليزي كلنجوود CALLINGWOOD والتي تقول ان مهمة التاريخ لا تنحصر في سرده وتفصيله للحوادث ولا في تسلسله لها علي نمط زمني . كذلك لن تكون مهمته مستوفا لأغراضه ، إلا اذا استطاع المؤرخ استيعاب الحوادث والوقائع ، وتمثيلها حتي تصبح جزءاً من خبراته وتجاربه ، بل من كيانه الفكري ، لأن التاريخ في تدوينه لا يقوم علي جمع الحوادث وتوليفها، ولكنه يقوم علي نمط من التجارب العميقة التي يستلهمها المؤرخ والتي يعيش في خضمها الزاخر علي كونها صدي لتجربته » (١٤) .

تقرأ له فتحس بهذا الرابط الفكري الذي يوحد المدولات التي يتناولها ويجعلها كلاً واحداً يتتابع في تناسق فريد .. فتعيش في الماضي بإحساس اللحظة الحاضرة ، وتبدو لك التجارب علي اختلاف زمانها في ترابط متصل ... وهو ما ذكرنا آنفاً لا يميل الي الاقتصار علي حدود زمنية بعينها ... فقد تتذكره حادثة في الماضي بحادثة في الحاضر ، فيصل بينهما .. مبيناً صلتهما فهو علي سبيل المثال عندما كان يتحدث عن الطب عند اهل بابل يذكر بعض النماذج التي تدل علي التأثر بهم ، فأوردها ليبين هذه الصلة بين التجارب الانسانية في الماضي والحاضر .. يقول : «وفي بابل كان الطب فرعاً من فروع السحر كما كان في مصر القديمة واستنبط البابليون الكثير من فنونه حتي صار سحر بابل مضرب الأمثال وانتشر منهم الي العالم القديم . وفي دراستي لنماذج من الأحجبة والتمائم والرقي المستعملة بالسودان فقد تبين لي أن أصولها - بعد طرح العوامل القومية منها - ترجع الي بابل . فالرموز المستعملة شبيهة برموز الكتابة المسمارية والأسماء المستعاذ بها او منها لا تخلو من أسماء محرفة لآلهة بابل كما أن المربعات الحسابية التي تستعمل كالمربع الذي مجموعة أفقياً وعمودياً وجانبياً (١٥) اصولها سريانية . ويري GOLLANEZ انه تخريج عبر معناه بالأبجدية - هو الله - وهو رأي لا يستبعد لأنه من المشاهد ان هذا المربع كثيراً ما يصطلحبه خاتم سليمان » (١٦) .

وتتضح لك فائدة هذا التحليل الدقيق الذي يربط بين الماضي والحاضر عندما يتناول لك مثلاً أثر الخرافات القديمة في السلوك عندبعض الناس الذين يؤمنون بها .. وهو يوضح أنه قد استفاد من ذلك كثيراً في دراساته النفسية كما يتضح من قوله : « اننا وجدنا في جنوب هذا الوادي ان بعضاً من المصابين بالقلق وغيره من الاضطرابات النفسية قد ينتكسون عندما يصبح فيضان نهر النيل وشيكاً . وهذه حقيقة معروفة أصبحت مضرب

الأمثال . وقد قمت بتقصي هذه الظاهرة التي أثبتت تجاربنا صحتها ولم نجد تعليلاً لها يقوم علي طبيعة من المرض أو علي احتمال يمت الي أسباب ترتبط بعوامل أخري ، وأستبان في النهاية ان هؤلاء المنتكسين يعانون من الخوف من النكسة عندما يصبح الفيضان وشيكاً لأعتقادهم في خرافات قديمة . وجلية الامر أن هذا الخوف من الأنتكاس قد يصبح سبباً للانتكاس . ولاغرابة في ذلك لأن النيل - حعب - إله ولاتزال بعض طقوس عبادته القوية متفشية بيننا وليس من شك أنه من أقدم آلهة وادي النيل ، ونجد طابع القدم في الاناشيد التي تشير الي منبعه من كورتاي وهي مدينة كورتي الحالية بشمال السودان ... وهناك طقوس عديدة يتقربون بها اليه ، لا جلباً لنعمته ولكن دفعاً لنقمته ، لا تزال لها قوة سيكولوجية » (١٧) . ويمثل هذا التحليل المتصل بين الماضي والحاضر وجد لكثير من العلل مسبباتها التي أعانته علي التشخيص والوصول الي العلاج ... وهذا المثال الذي يوضح الصلات النفسية المتصلة بين الناس علي اختلاف زمانهم يشير الي أن التجارب الانسانية علي اختلافها - وهي جيمعاً متصلة بالنفس - تجري علي نسق متصل .

واهتمامه بالأساطير والخرافات والطرف القديمة يدل دلالة واضحة علي إحساسه بأن الالتصاق بالتجارب الشعبية في مختلف المراحل الزمنية هي أكثر الطرق صدقاً في استلهام التاريخ .. فهو لا يميل الي الدراسات التاريخية عن القصور وحواشيها لأنه لا يري أنها تعبر التعبير المتكامل عن المرحلة الزمنية ، لذلك يقتصر حديثه عنها من زاوية تأثيرها علي فئة الشعب وهو سيد التاريخ .

وثمة ملاحظة أخري تبدو بينة في معالجة شيخنا للتاريخ .. فهو ينقل لك الصورة كاملة بكل أبعادها ولا تشغله الجوانب الواضحة عن تقصي بعض الجوانب التي تحتاج الي كبير عناء . فعندما يحدثنا عن ابن ماسويه ودوره في الطب ، لا يشغله هذا الدور عن بعض الجوانب الأخري في حياة ابن مساوية فيقول عن طبعه : « وقال ابن العبري ان ابن ماسويه كان من ضيق الصدر وشدة الحدة علي أكثر مما كان عليه جبريل بن بختيشوع وكانت الحدة تخرج منه ألفاظاً مضحكة وكانت فيه دعابة يحضره من يحضره لأجلها في الاكثر » (١٧) والمتأمل في مؤلفه مقدمة لتاريخ الطب العربي سيجد أن بعض العلماء الذين اشتهروا في مهنة الطب ، كانت لهم أدواراً اخري في الشعر ومجالس الأدب .

وأنت قبل هذا وبعد هذا لا شك ستعجب بأمانته العلمية .. فهو دقيق كل الدقة في استقصاء الحقائق ... وهو علي فخره الشديد بعروبته وافتتانه بها كان أميناً دقيقاً عندما

سجل بعض الجوانب التي اضافها العرب في دنيا الطب ، ووضع ايضاً الجوانب التي تأثروا فيها بالنظريات السابقة لهم . كما بين الجوانب التي اعتمدوا فيها على ما وصلهم من الحضارات القديمة او المعاصرة لهم دون ان يضيفوا اليهم شيئاً . فقد ذكر مدللاً بالشواهد ان العرب قديماً لم يجيدوا في الجراحة ولم يضيفوا في التشريح شيئاً . ولعل ذلك كما يقول ابن النفيس ان وازع الشريعة في أخلاقهم من الرحمة قد صدهم عن التشريح فاعتمدوا علي كلام من تقدمهم من المباشرين . كما كان بعضهم كابن سينا يري ان الجراحة من الصناعات اليدوية التي لا تستحق ان ترفع الي مقام الطب . أما في مجال الطب العام فقد بين ما أحدثوه من آراء جديدة في العلاج . فهم أول من عرف الوقاية من الامراض المعدية وهم أول من وصف الحصبة والجدري وأول من كتب عن الجذام . أما في ميدان الكيمياء الحديثة والصيدلة فهم أول من أسس الكيمياء واخترعوا طرق البحث الكيميائي وأدخلوا الكثير من الأدوية المفردة والمركبة وعمل الاقرباذنات . كما انشأوا البيمارستنات في العهد الاسلامي كدور للعلاج ومكاناً لتدريس الطب .

ومؤلفه «مقدمة في تاريخ الطب العربي » ، مؤلف قيم ونفيس ونادر .. فهو دراسة جادة ومتأنية تعتمد علي المخطوطات والوثائق كمصادر أساسية ... وهو نادر لأن الذين يمتلكون المقدرة علي مثل هذا العمل الذي يجمع بين التاريخ والعلم والادب قلة .. وكما يقول استاذنا الدكتور عبد المجيد عابدين «فالذين يشتغلون بالأدب والتاريخ يرون أن ما لديهم من محصول علمي لا يمكنهم من أن يدرسوا هذا الموضوع دارسة مجدية عميقة . والذين يشتغلون بالعلوم لا يدرسون منها في مراحل تعليمهم الجامعي سوي النظريات الحديثة التي تفيدهم في ممارسة المهنة أولاً وقبل كل شيء . وبين هاتين النظريتين ضاعت دراسة تاريخ العلوم عند العرب ، أو كادت تضيع لولا هذه الصفوة القليلة من العلماء من أمثال الدكتور التجاني ، الذين يسمح بهم الزمان علي فترات التاريخ » (١٩) .

والكتاب في جملته تقصي دقيق لمهنة الطب عند العرب ، يوضح في تحليل دقيق الجوانب التي تأثر بها العرب من الحضارات السابقة لهم كالبابليين والآشوريين والفارسيين ، ويبين في وصف متكامل مراحل نمو هذه المهنة عندهم منذ الجاهلية ، متتبعاً لها في العهد النبوي ، الاموي ، العباسي ، ثم هو في نهاية الكتاب موضحاً لك ما أضافه العرب في مهنة الطب ... ويكفي أن نشير هنا الي أن هذا المؤلف يضم نخبة رائعة من أقوال الأطباء ، فيها فائدة عظيمة للأطباء والناس عموماً .. ومنها قول الحارث ابن كلدة الثقفي : (من سره البقاء

ولا بقاء قليباكر الغذاء وليخفف الرداء وليقل غشيان النساء) وقال الرازي (ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً الصحة ويرجيه بها وان كان غير واثق بذلك فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس) .

وانت تقرأ لشيخنا في التاريخ لتحس أنك لصيق بمن يكتب عنهم ، فهو قد أمعن في دراستهم لدرجة مكنته من معرفة تجاريهم ودقائق حياتهم ، وانكشف بذلك الحاجب الزمني بينه وبينهم .. تقرأ له ولا يفارقك الاحساس بأنه يتحدث اليهم في معرفة دقيقة كأنه قد عاش هذه التجارب معهم ... وهو إحساس لا تملك معه إلا أن تعيش معهم هذه التجارب العظيمة بكل أبعادها .

التجاني .. اخصائي الادارة :

قد كتب أستاذنا الجليل الدكتور التجاني الماحي ـ عطر الله ثراه ـ أبحاثاً متعددة في شؤون الادارة جلها باللغة الانجليزية ، كتبها أثناء الفترة التي قضاها بهيئة الصحة العالمية .. وقد سعدت بمطالعة بعضها منذ مدة فوجدت فيها ما أفادني كثيراً ، ولكني آثرت في هذه المقالة أن أعتمد اعتماداً أساسياً علي ثلاثة من أبحاثه : العلاقات الانسانية وأثرها في تربية المواطن العربي ، ورعاية الأسرة والطفل وعلاقتهما باضطراد العمران ، ثم أهمية الانسان في عملية الانتاج ، وقد آثرت الاقتصار علي هذه البحوث الثلاثة لسببين : أولهما تنوع الموضوع فكل منها يعالج دائرة كتبت في علم الإدارة مع تركيز خاص علي البيئة السودانية ، وثانيهما أن البحث الثالث « أهمية الانسان في عملية الانتاج » ، هو آخر البحوث التي كتبها شيخنا الجليل وفيه تسجيل واضح لكثير من القضايا الادارية في السودان .

واهتمامه بشئون الادارة يرجع الي ايمانه بالتكامل في المجتمع .. فينبغي ان نأخذ المجتمع ككل واحد ، ما يؤثر علي جزء واحد يؤثر بالضرورة علي بقية الأجزاء ...

فهو يري ذات الرأي الذي ذهب اليه سيجرست مؤرخ الطب الذي يقول : « إن أي تغيير يصيب أي وضع من الاوضاع الاجتماعية بالمعني الشامل للكلمة ، يحدث قرعاً ودوياً وصدي في كافة المؤسسات الاجتماعية سياسية كانت أم أقتصادية ، فان الإطار الاجتماعي العام لا يضع في داخله المؤسسات كقطع الفسيفساء (المزايكو) التي تنتظم في وحدة

ميكانيكية الروابط نستطيع أن ننتزع الواحدة منها لاستبدالها بأخري دون أن يفسد النمط ويتغير مضمونه تغييراً شاملاً وذلك لأن طبيعة النمط الاجتماعي من طبيعة الجستالت كما تقول المدرسة الالمانية ، أي وحدة كاملة منسجمة إذا ما فقدت عنصراً من عناصرها ضاع النمط لأن النمط أكبر وأبلغ من مجموع أجزائه ..» (١٩) ويرجع اهتمامه أيضاً بشئون الادارة الي عمق تخصصه في العلوم النفسية ، والموظف والعامل يقضي جل يومه في العمل ، ولاشك أن المعرفة الدقيقة لطبيعة عمله وسلوكه أثناء العمل يفيد كثيراً في تشخيص حالته النفسية .. ويرجع اهتمامه أيضاً بشئون الادارة وهذا أمر مهم للغاية الي إيمانه العميق بأن العمل عبادة ، وما دامت الادارة هي المنظمة للعمل فهي جديرة عنده بالبحث والتقدير .

وهويري أن عامة الناس يعرفون من مزايا العمل أنه مصدر الرزق والكسب وبه ضمان الحياة من الفاقة ولكنهم لا يلمون ببقية مزاياه التي لابد لهم من معرفتها ومنها :-

١ - انه نشاط حيوي ينزع اليه الكائن الإنساني الحي بفطرته (أيضاً الرياضة واللعب عند الاطفال) يحقق موازنة وتعادلاً بيلوجياً وسيكلوجياً للطاقة يتم به قوام المهايأة بين الجسم والعقل وقيام الصحة واستقامة المزاج وهذه من بين عناصر السعادة والاسعاد .

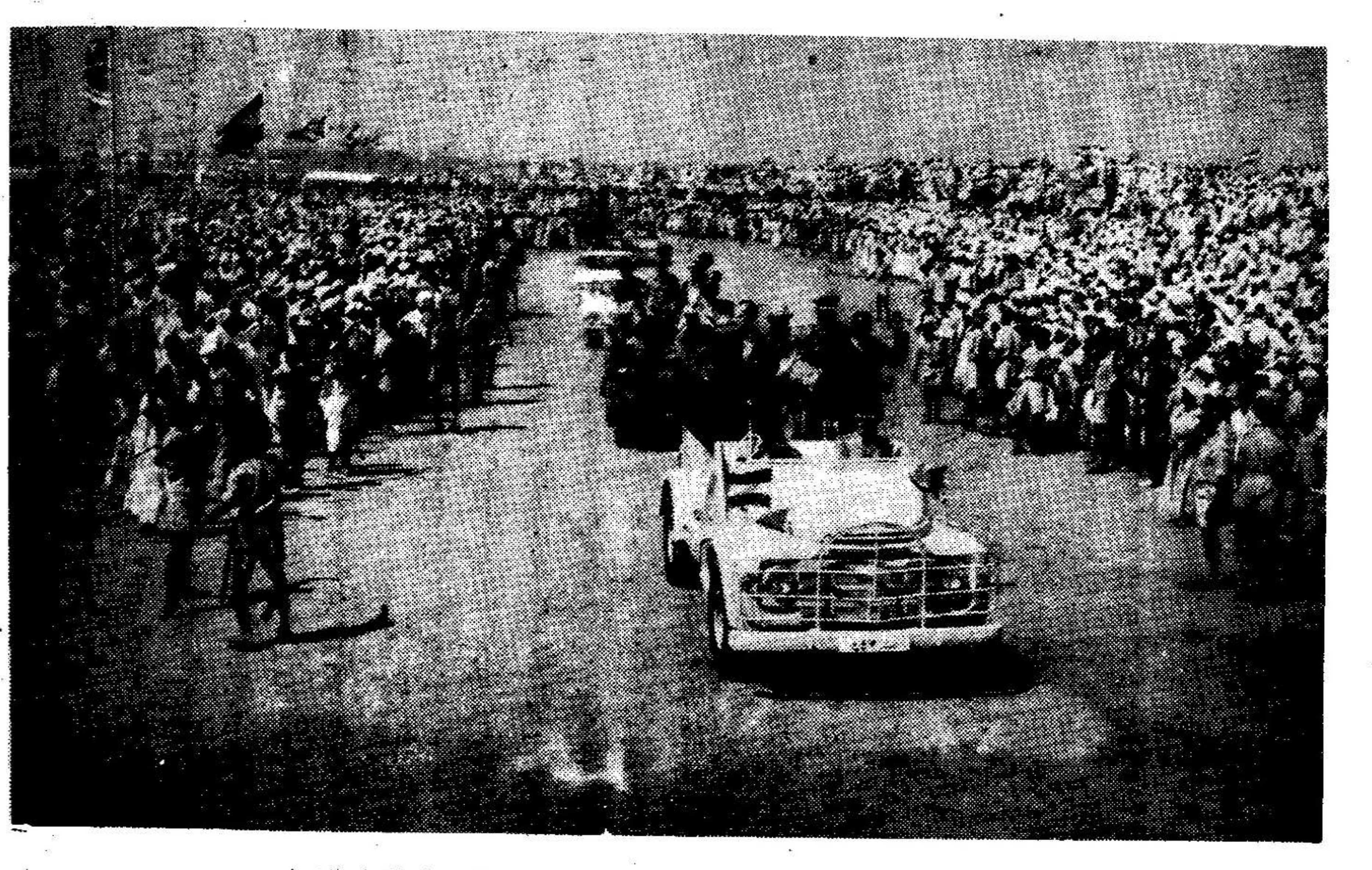
٢ - انه من مقومات الاستقلال للنفس أن يسهم في نمو الشخصية وتكاملها ورفع الفاعلية والقابلية والوجدان ويثمر النضوج .

٣ - يخلق اهدافاً وجذوراً وغايات للانسان ويهيء له وضعه وموضعه وبذلك ينمو فيه شعور الانتماء والاحساس بأن الحياة والمجتمع أغراض وأهداف في حياته ووجوده .

٤ - العمل طريق الأسرة تقول : فلسفة التطور أن الحياة لها أهداف كثيرة ولكن غاياتها المطلقة أو سبيلها الأول في تعبيرهم هو بقاء النوع « فالمهنة حرفة العمل والعمل حرفة الحياة والحياة حرفة البقاء » ، (٢٠) .

لهذه المزايا العظيمة للعمل فهو يري أن نعمل باجتهاد لتحقيق الاستقرار في العمل وذلك لا يتأتي ولا يكون ذا أثر فعال إلا إذا تحقق هذا الاستقرار في أربع بيئات :-

البيئة الداخلية للانسان (سجاياه ، طاقاته ، قدراته وتجاربه) والبيئة المنزلية ، والبيئة الاجتماعية وبيئة العمل ، وهذا ناتج من تصوره الواقعي لماهية الانسان فلا يستطيع الفرد بأي حال من الاحوال أن يتخلي عن المؤثرات النفسية والاجتماعية التي يعيش فيها خارج اطار العمل الرسمي عند ممارسته لعمله .. لهذا فلابد لنا عندما ننظر للانتاج في العمل أن ننظر اليه نظرة متكاملة تقودنا الي كافة العوامل التي تؤثر فيه وتتأثر به .



د. التجاني الماحي يرافق الملكه اليزابيث في عربه مكشوفه بميدان سباق الخيل بالخرطوم

والعمل بطبعه نتاج مركب لا يمكن الاستفادة الكاملة منه إلا بالادارة الحسنة والاشراف الواعي .. والادارة عنده هي « علم وفن ، علم في موضوعها الذي يضم نخبة من العلوم المجمعية في هيئة منظمة مؤتلفة من العلوم المختارة لأغراض الادارة ، وعلم في مناهجها التي هي مناهج العلوم المقننه عن طريق التقييم والتقويم التجريبي ، وفن في ممارستها وتطبيقاتها وصلاتها وأسبابها وغاياتها ، والادارة في مجملها العلاقات الانسانية ، في جوهرها الناس ، في غاياتها الانتاج ، في مغزاها الالهام في اسلوبها التعاون في ادارتها الجماعة » . (٢١) .

وهو تعريف كما ترى لم يترك جانباً من جوانب الادارة إلا وأحصاه ووضع كل جانب في ترتيبه من الاهمية .. ولا أذكر أني قد قرأت في علم الادارة وفنها ما هو أشمل من هذا التعريف وما هو أدق منه في ذكر التفاصيل فهو موضح للجانب العلمي في الادارة الذي يقوم علي الدراسات التجريبية والذي يقتبس من كافة العلوم الاجتماعية ، وهو موضح أيضاً للفن الاداري الذي يقوم علي المهارة الفردية .. ولعل ترجيحه لهذا الجانب الأخير قد قاده الي القول بأن « الادارة والقدرة علي التنظيم هبة مركبة لا توجد في كل الناس .. ولكي نبسط الامر قليلاً لأغراض البحث نقول ان الادارة تنشأ من نوعين من الملكات الخاصة بالذكاء والشخصية ، وعوامل الذكاء : الفكر الثاقب ، التفكير التأليفي التركيبي ، التفكير التحليلي ، وأما عوامل الشخصية فهي : القيادة وروح الابتكار ، التجديد والخلق ، المشاركة الوجدانية ، المبادرة ، البديهة (٢٢) » .

وهو رأي نتفق ونختلف معه في آن واحد ، نختلف معه لأن الاعتماد علي هذه الهبات المركبة ينفي من الادارة الجانب العلمي فيها وهو رأي رآه أستاذنا في تعريفه للادارة ، كما أنه ينفي الصفة الادارية في القطاعات الوسطي والدنيا في الهرم الاداري لأن هذه الصفات عادة لا يمكن اختبارها إلا في القيادات الادارية التي تلاقي من المسائل المعقدة ما يمتحن هذه المواهب فيها .. والعمل علي تنميتها ، ونتفق معه من الجانب الاخر لأن هذه المواهب ضرورية للقيادة الادارية التي تتلخص مهمتها الاساسية في معالجة القرارات الحرجة السريعة والتي تحتاج الي كل او بعض هذه العوامل للوصول للقرار الحكيم . وعلي كل فهذا رأي يؤمن به كثيرون في مجال الادارة يعرف بتحديد السمات القيادية Traits of Leadership ولكنه يقابل بكثير من التحفظ لسبب هام ، وهو أن القيادة تتكيف بواقع المجتمع الذي تعيش فيه ، وقد يكون بعض من هذه السمات ليست من طبيعة المجتمع

في بعض الحالات ، فهل ينفي ذلك وجود القيادة الادارية في ذلك المجتمع علي كل حال .

ويتضح من تعريف أستاذنا للادارة أنه يجعل المكانة الأولي للعلاقات الانسانية ، وترجع أهميتها عنده ليس فقط لدورها في تدعيم الانتاج بل لإنكائها عنصر المشاركة فهو يقول : «والعلاقات في مجال العمل لها أهمية لا في بث روح التعاون للانتاج فحسب ، بل في تنمية عاطفة المشاركة بين المواطنين التي لها صدي كبير في حياة المجتمع وقد أصبح تنظيم العمل يستدعي بث العلاقات الحسنة وحسن الثقة والتفاهم بين العامل والعامل وبين المخدم والعامل . ودلت التجارب علي أن بعض المشاكل التي تنشأ من اضطراب هذه العلاقات قد تصل الي حدود المرض النفسي ، وقد تؤثر بدورها علي الاسرة وعلي الصلات الاجتماعية بوجه عام » . وحقيقة الأمر أن العلاقات الأنسانية جديرة بكل هذا الاهتمام لأنك لا تكاد تجد مبدأ واحداً من مباديء الادارة ابتداء من مفهوم السلطة وسبل الاتصال الاداري ، وماهية الاشراف والتوجيه لا يعتمد في مضمونه ومنهجه علي العلاقات الانسانية فهي العماد الأساسي فإذا انهار تداعت كل العناصر الأخري وأصبحت كما زائلاً .

وقد قاده ايمانه العميق بالعلاقات الانسانية في العمل الي رفض القوانين واللوائح المجردة التي لا تعتمد علي روح الجماعة ، فهو يري ان الاتصالات الشخصية والصلات المباشرة أكثر فاعلية ، وهو أمر جدير بالتطبيق ، ما كان ذلك ممكناً ، لكننا في بعض الأحيان نري صعوبة في ذلك لنمو المنظمات والمؤسسات نمواً كبيراً يصعب معه الاتصال الشخصي ... لكننا ايضاً نري انه حتي في مثل هذه الحالات لا ينبغي الاعتماد الكلي علي اللوائح والقوانين بل لابد للاداريين من السعي بجد لمقابلة مرؤسيهم لمعرفة المشاكل التي تعترضهم ولكي يتفهموا لنفسياتهم ومقترحاتهم فيما يؤدون من عمل ... وأستاذنا يسخر من أولئك الذين يحتفظون بالقوانين واللوائح ويتخذونها حداً فاصلاً لا يتعدونه فلا يتفهمون لانغلاقهم هذا نفسية الجماعة ويبتعدون بذلك عن الاهداف الأساسية لما يقومون به من عمل . يقول : « ان نمط الخدمة المدنية القديم - الغابر من فضلك - نمط يقوم علي الروتين (النظم الرتيبة) ويمشي في ركاب القوانين واللوائح ويحرص علي الوسائل أكثر من حرصه علي

الأهداف ويضع القوانين واللوائح فوق فائدة العلم وجدواه ويعد الكلمة المطبوعة أشد حقيقية من حقيقيتها ويحسب الناس حروفاً وأرقاماً علي الورق ، ولغتهم وأسلوب انشائهم بدفعهم خوف المسئولية لأسلوب الحكيم وأفعال المقاربة والرجاء والشروع ويتهربون من انجاز أي شيء ويجادلون بلوائحهم جدلاً سقراطياً في الرد ـ ورد الرد ورد رد الرد والنفي ونفي النفي ونفي نفي النفي مصابون بعقدة التنزيه والانبهار » (٢٤)

ويري أستاذنا أن الادارة ستلعب الجانب الاكبر في مختلف أوجه التطوير في بلادنا لا سيما في مجال الصناعة «فإن الادارة هي الخطوة الحتمية تاريخياً وتطورياً للصناعة في السودان في هذا الطور وهي العالم الوحيد دون غيره الذي يستطيع أن يحل مشاكل الانتاج » (٢٥) . ويثير في هذا الجانب قضية هامة لا تزال موضوع جدل ونقاش بين علماء الادارة وهي عدم صلاحية الفنيين للادارة لمجرد الاعتبار الفني ويستشهد في ذلك قوله «ان الطبيب مثلاً قد يكون اهتمامه بالمرض فهو موضوع فنه اكثر من اهتمامه بالمريض وشئونه الأخري وقد يصرفها في ادارته للعمل باعطاء الناحية الفنية أكثر مما تتطلب وقد قام كادر من الاداريين من غير الأطباء ونجح نجاحاً كبيراً في أوروبا وأمريكا » (٢٦) . وهذا رأي نتفق فيه مع أستاذنا كل الاتفاق ونضيف الي السبب الذي اورده جملة أسباب أخري تعزز هذا الرأي ففي المكان الاول نجد ان الفنيين بحكم تخصصهم قد ألموا بجانب واحد من مجمل التخصصات وهذا الجانب الوحيد سيصبح ملازماً لهم في عملهم الاداري ، وذلك ما يقودهم الي تفضيل الجانب الذي تخصصوا فيه علي الجوانب الأخري التي ينبغي ان تعامل بدرجة متساوية ، والاداري ينبغي ان تكون له النظرة الشمولية غير المتحيزة لكل المؤسسة .. وثانياً نجد أننا نفقدبعض المتخصصين المدربين تدريباًعميقاً في حدود عملهم بنقلهم الي المناصب الادارية ، وفي مثل هذه الحالة نكون قد فقدناهم في مجال تخصصهم ، وزدنا الامر تعقيداً في مجال الادارة .. وثالثاً ان الادارة علم يحتاج الي الدراسة والتخصص وفن يحتاج الي التجربة الطويلة وهذا لا يتأتي لفني ينتقل من تخصصه في يوم واحد لمجال العمل الاداري . ولعلي لا أعدو الحقيقة إذا قلت أن الرغبة عند الفنيين في كثير من البلاد

النامية للانخراط في الجانب الاداري نابعة من تفهم تقليدي للسلطة الادارية ، فهم يرغبون فيها للمركز الاجتماعي في المكان الاول .. ولعل هذه القضية ستجد حلاً بمرور الزمن عندما يتغير مفهوم السلطة الادارية من جانب الامر والنهي الي جانب المشاركة الفعلية والتفهم والإشراف المبني علي سايكولوجية الجماعة . كما أننا نري أن التخصصات الادارية الجديدة كإدارة المستشفيات ستساعد كثيراً في الحد من هذه المشكلة ... كما أن عدم ربط ترقي الفنيين بالمناصب الادارية يقلل نشوء هذه المشكلة .

وقد وضع أستاذنا النقابات والاتحادات المهنية في وضعها الكبير من الاهمية فهي ادارة يمكن ان تحقق للادارة فعاليتها وذلك بمساعدتها في تحبيب العمل وخلق الروح الجماعي وهو يري ان النقابات في بلادنا «قد نجحت في جمع شمل العمال وتوحيد صفوفهم وكلمتهم وأثارة الوعي وجعلتهم يستكشفون ذاتهم وهويتهم .. ورفعت كرامة العمل والحرفة وثقافتهم وصار العمال ينعمون تحت ظلها بالقوة والمناعة ولكن السؤال ماذا كانت نتائج هذا وانعكاسه علي العمل الانتاجي ؟ وأقول أنه عكسي لأن النقابات تتبع سياسة عمياء في حماية العمال لا العمل وتضع كل إمكانياتها وقدراتها دفاعاً عن المهمل والكسول دون اعتبار للعمل والانتاج » (٢٧) . وفي اعتقادنا أن النقابات يمكن أن تتلافي هذا النقص بتحديد قيم سلوكية يلتزم بها الافراد وتلتزم بها الجماعة ، ويصبح بذلك كل كسول ومهمل معاقباً ادبياً قبل معاقبته الرسمية ، كما يقع ايضاً علي الاتحادات والنقابات توعية أعضائها وتثقيفهم في دائرة عملهم وفي أهمية ما يقومون به من عمل ولا شك ان التدريب والتوعية يزيد من معرفتهم مما يقوي إمانهم بعملهم ويكسبهم مهارة هي ضرورة لازمة للعمل ويخلق في نفوسهم من الخصال الحميدة كالمشاركة وحب التعاون الشيء الذي يجعل العمل أمراً محبباً ومطلوباً .

أورد أستاذنا في نهاية بحثه «أهمية الانسان في عملية الانتاج » بعض الاقتراحات الهامة في مجال الادارة في بلادنا ، رأيت تلخيصها في نهاية دراستي هذه في إيجاز ، لإيماني بفائدتها الكبيرة لا سيما ونحن نسعي سعياً جاداً للاصلاح الاداري السوي ، ومن

هذه الاقتراحات :

١ ـ قيام التشريعات واللوائح لحماية الانتاج .

٢ ـ تحديد نصابه للعاملين ، إي تقييم وتقنين مقدار العمل الذي يجب أن ينجزه العامل او الجماعة او المصنع في فترة معينة حسب طبيعة العمل .

٣ ـ تشجيع التعليم الحرفي وتنمية الحاسة الميكانيكية بالتثقيف الحرفي .

٤ ـ تنمية الروح الجماعية بالحافز الجماعي وبث روح الولاء القومي .

٥ ـ تبني وتطوير الكادر الاداري وحمايته من تغول الفنيين .

٦ ـ تحديد المسؤليات في حالات سوء الانتاج .

٧ ـ قيام نواة للصحة المهنية وقد بدأت شعبة الصحة العامة والطب الاجتماعي جامعة الخرطوم ترود هذا العمل الهام .

٨ ـ الاهتمام بالتأمين الاجتماعي .

وبعد لم تكن هذه إلا دارسة موجزة لآراء التجاني الماحي ، العالم الموسوعي ، في مجال التاريخ والادارة وهي كما تري قد أضافت الي عملنا في الموضوعين إضافة كبيرة .. وهي ستقف شاهدة علي مر الأجيال توضح قدر عالم جليل ، قل أن يجود الزمان بمثله ، مات قبل أن يكمل الستين ، ولكنه في هذه الفترة الزمنية علي قصرها استطاع أن يعيش الماضي حقبة حقبة ، موصولاً لها بفكرة في حلقة متصلة مستلهماً منها أروع التجارب الانسانية ، وعاش حاضره مشاركاً بفكره ووجدانه وخطط للمستقبل متكأ علي المعرفة وما اعظمها من سبيل .

اعضاء مجلس السياده عقب ثورة اكتوبر

السادة اعضاء مجلس السياده الموقر ١٩٦٥م ــ ١٩٦٨م

راجع :

١ ـ التجاني الماحي : أهمية الانسان في عملية الانتاج ص ١

٢ ـ د. التجاني الماحي : مفهوم الصحة العقلية في التاريخ ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن سنة ١٩٥٩ ص ١٨٧ .

٣ ـ د. عبد المجيد عابدين : مقدمة في تاريخ الطب العربي ، الطبعة الاولي ، يناير ١٩٥٩ ص ٤

٤ ـ د. التجاني الماحي : مقدمة في تاريخ الطب العربي ، الطبعة الاولي ، يناير ١٩٥٩ ص ٦٩ .

٥ ـ د. التجاني الماحي : مفهوم الصحة العقلية في التاريخ ص ١٨٢ .

٦ ـ د. التجاني الماحي : مقدمة في تاريخ الطب العربي ص ٦٩ .

٧ ـ مفهوم الصحة العقلية في التاريخ ص ١٨٥ .

٨ ـ أهمية الانسان في عملية الانتاج ص ٣٠ .

٩ ـ المرجع السابق ص ٣ .

١٠ ـ مفهوم الصحة العقلية في التاريخ ص ١٨٣ .

١١ ـ أهمية الانسان في عملية الانتاج ص ٨ .

١٢ ـ مفهوم الصحة العقلية في التاريخ ص ١٥٨ .

١٣ ـ د. التجاني الماحي : العلاقات الانسانية وأثرها في تربية المواطن العربي ، الخرطوم ديسمبر ١٩٦٨ ص ١١١ .

١٤ ـ مفهوم الصحة العقلية في التاريخ ص ١٥٨ .

١٥ ـ مقدمة في تاريخ الطب العربي ص ١٨ .

١٦ ـ مفهوم الصحة العقلية في التاريخ ص ١٦٨ .

١٧ ـ مقدمة في تاريخ الطب العربي ص ٦٥ .

١٨ ـ د. عبد المجيد عابدين : مقدمة لكتاب مقدمة في تاريخ الطب العربي ، الطبعة

الاولي ، يناير ١٩٥٩ ص ٥

١٩ ـ أهمية الانسان في عملية الانتاج ص ٨ .

٢٠ ـ المرجع السابق ص ٤ .

٢١ ـ المرجع السابق ص ١٨ .

٢٢ ـ المرجع السابق ص ١٩ .

٢٣ ـ د. التجاني الماحي : العلاقات الانسانية وأثرها في تربية المواطن العربي ،

نوفمبر ١٩٦٨ ص ٦٥ .

٢٤ ـ أهمية الانسان في عملية الانتاج ص ١٩ .

٢٥ ـ أهمية الانسان في عملية الانتاج ص ٢٠ .

٢٦ ـ أهمية الانسان في عملية الانتاج ص ١٩ .

٢٧ ـ أهمية الانسان في عملية الانتاج ص ٤١

الدكتور التجاني الماحي واتجاهه الموسوعي

بقلم / الدكتور جعفر محمد علي بخيت

لعل أبرز مايميز التجاني الماحي في أجيال المثقفين السودانيين انه من القلائل الذين استطاعوا ان يواصلوا رحلة الثقافة بنفس طويل إمتد طوال العمر وبسرعة كانت تتصاعد في مجتمع كانت نظرية فائض القيمة المتلاشي تدريجياً هي طابع حياة مثقفيه وسمة وجوده الفكري .

ما أكثر المثقفين السودانيين بين الشيوخ والكهول والشبان الذين بدأوا حياتهم بتقديس الكتاب وعبادة الفكر ووهبوا الثقافة وتحصيل المعارف زهرة أيامهم وغالبوا بجدهم لا فقط ندرة المصادر وضعف الحوافز وضغط الواجبات الاجتماعية عليهم وانما ايضاً استعداداتهم الطبيعية وقدراتهم المتضائلة الي جانب مايرمون اليه من شرف عظيم .

ولكن ما أكثر الذين شبعوا من مائدة الثقافة سريعاً وأروي غليلهم للمعرفة شرب معلوم فانحرفوا باهتمامهم عنها وشغلوا أنفسهم بضروب أخري من السعي وراء السلطة أو وراء الثروة أو وراء أصلاح حياة الناس .

ومثلما يتكاثر في السودان أرباب المعاشات طوعاً او كرهاً يتكاثر المتقاعدون من المثقفين والأدباء ومعظمهم قد تقاعد قبل ان يبلغ السن القانونية إن كان هناك مثل هذه السن ويلاحظ ان كل مثقف او أديب يتقاعد وفي ذهنهم مجموعة من القيم والافكار والمختزنات الثقافية تتجمد في خاطره ولايجري في داخلها أي تطور ويتأتي من ذلك انفصام الاجيال وسط المثقفين السودانيين ووجود طليعة ثائرة متقدمة فوق قاعدة جامدة موزعة الانتماءات وخطورة هذه الظاهرة إنها تمنع التراث الثقافي من ان يتفاعل في أطواره التاريخية المختلفة وتمنع الوعي الثائر الطليعي من ان يستمد قوته من جذور ضاربة في كيان المجتمع الثقافي .

وحياة الدكتور التجاني الماحي في حسباني الظاهرة الشاذة التي تثبت القاعد
وتجعل من شخصيته معلماً بارزاً ورفضا يانعاً في دروس حيوات المثقفين السودانيين .

لقد كان الدكتور التجاني الماحي في بادىء حياته طبيباً عاماً وكان في حدود مهنته ما يشبع حسب الظواهر التقليدية إهتمامات المثقف السوداني العادي ولكنه لم يكن عادياً ونفذ بثقافته المهنية الي ماوراء العلل الجسمانية ومن النفس الواعية الي تخوم اللاوعي ولم يكن هذا الاهتمام بالطب النفساني ظاهرة عامة عند أطباء السودان بل إنفرد الدكتور التجاني بها وظل إمام هذا اللون من الطب حتي انتقل لرحمة مولاه .

وفي مجال إهتماماته بالطب النفسي والعقلي برزت عبقرية الدكتور التجاني في الاهتمام بالبيئة المحلية باعتبارها العامل الرئيسي في الصحة العقلية وقاده هذا الي إعتبار العوامل الاجتماعية والثقافية ذات اثر هام في تطوير البيئة ودفع عجلة التاريخ .

وكان الدكتور التجاني الماحي مفتوناً بفكرة النمو الحضاري والتغييرات الحضارية ولم تكن المؤسسات الاجتماعية وعلاقات الناس وقيمهم سوي إنعكاس للمضمون الحضاري للمجتمع وفي محاضراته وأحاديثه عن المشاكل العامة كان الدكتور التجاني يلح في إثارة الجوانب الاجتماعية ويلفت النظر الي ضرورة الغوص الي ما تحت الجزء الظاهر من جبال جيولنا المتعددة .

وبالرغم من تهويماته الخالدة وسرحاته المشهورة فان نظرة الدكتور للمسائل الد... نظرة واقعية ، لقد كان يؤمن بالتبادل الحضاري والاستفادة من الخبرة الانسانية وكان ... واسعاً بالقدر الذي يحمله بعيداً عن كل تعصب وأكبر من كل قالب ومع ذلك ففي ... لوسائل الاصلاح ولأساليب الثورة كان الدكتور التجاني لا يرفع عينيه عن مواطنيء أقد... إذ كان يحس بان الخامات المحلية والأفكار الملتصقة بالارض هي التي يمكن أن ... الظروف المواتية للتغيير الاجتماعي .

وفي تقديري فان الدكتور التجاني الماحي كان يري في حمي الشعارات التي ... البلاد بعد اكتوبر مظهراً وعرضاً من مظاهر القلق النفسي وكان ذكياً بالقدر الذي ...

يربط بين صيحات أولاد الشيخ المنتشرين في العاصمة المثلثة بجببهم المرقعة وأباريقهم وبين هدير المظاهرات التي كانت تخرج من أبي جنزير يتزعمها أولاد الشيخ الآخر رافعة أعلامها ومشرعة مكروفاناتها والتغيير الاجتماعي والتكيف الحضاري اللذان هما عمدة حركات الاصلاح والثورة في السودان كانا يبرزان أمام الدكتور مشكلة أعصي من أن تحلها المظاهرات والشعارات وهي مشكلة السعادة النفسية من جانب والتقدم التكنولوجي والمادي من جهة أخري والتفاؤل الاجتماعي والبيئة ووسائل الانتاج وطرق التفاهم ، كما كان يهتم كثيراً بالنزعات الجماعية وآثارها حول الاستقلال الفردي للناس .

ولم يكن الدكتور التجاني من رأي المؤمنين بالاتجاه النظامي المعبيء للطاقات والمشاعر في خدمة هدف واحد إذ كان يحس ان كثرة الضوابط والضغوط تخلق كبتاً في النفس وكان من رأيه إن وجود منافذ « للتنفس » في مختلف ضروب العمل العام ضرورية ولم تكن شجاعته الادبية بالتي تخفيها ضغوط المتزمتين ولا شطحات المتعصبين السياسيين ولا صرخات المهيجين ولهذا فقد كان شجاع الرأي مع عفة اللسان ورفق بمعارضيه خاصة الذين يجهلون ويظنون إنهم يعلمون .

لقد كان الدكتور التجاني موسوعي المعرفة والاتجاه بالرغم من تخصصه وأهتمامه بالأثار والكتب القديمة والخرائط وأوراق البردي معروف ولكن وراء ذلك توسع في الأهتمام وعنايته بالمضمون لا نجدها عند هاوي الأثار العادي في بريطانية وأوربا ، وفي التاريخ والشعر والسير والتصوف وجد الدكتور التجاني ضالته في علم موسوعي يأخذ فيه من كل شيء بطرف ويبدو انه فتن شأن الفلاسفة القدماء بالمعرفة وتعدد ضروبها وحار في هذا البحر الذي لا ساحل له كيف يمخر عبابه وهي مشكلة حار كل مثقف فيها ولقد سمعته في إحدي محاضراته يعدد أمهات المجلات الشهيرة التي تصدر عن الصحة العقلية ويتحسر علي الوقت المحدود والطاقة المحدودة للإنسان .

لقد أدي هذا الوله الموسوعي بالثقافة بالدكتور التجاني الي أن يكون متعدد المعارف متنوع الاهتمام قادراً علي ربط العلوم ببعضها وايجاد صلة بينها ، ولكن هذا الشغف كانت

له سلبياته فقد حرم الدكتور التجاني من إبتداع منهجية خاصة به أو مذهب يفسر به ظواهر الحياة العامة كما انه قوي من إتجاه أسلوب تلقي المعاني الذي جعل بعض محاضراته يفقد التركيز الموضوعي حتي يصير أحياناً مثل مسرحيات اللامعقول عند صوموبل بيكت .

وفي رجعته للتراث العربي كان الدكتور التجاني يحاول أن يجد جذور المشاكل العامة والاجتماعية في الميثولوجيا والتاريخ وأراء ابن خلدون وقصص الفراعنة وكان حسباني انه وقد إهتم بالزار في بدء حياته وعمل في الصحة العقلية اخصائياً واستاذاً وإماماً أن تعتمد منهجيته الثقافية علي الدراسة العقلية لا علي التراث الحضاري لشعوب وأمم تعددت وتحددت مصادر صلاتها الحضارية .

وكان المنتظر منه أن يكون صميم الصلة بالسوثيولوجي والانتربولوجي لصلتهم بالقضايا التي يركز عليها وهي قضايا الحضارة ما وفد منها وما أصل في مصادر الناس .

وفتنة الدكتور التجاني بتحصيل المعرفة وجمع مصادرها قد عاق الي حد كبير جهوده التي كان من اليسير مضاعفتها في الكتابة عن انفعاله بما قرأ سواء كان ذلك في صيغة اصيلة أو في نقل معارف لقرائه ، ولو لا اتجاه الدكتور التجاني الموسوعي المبالغ فيه لكان هناك توازن بين المقروء والمكتوب عند عالمنا الكبير وهذا التوازن لكان سيفيدنا كثيراً في متابعة تطور أراء الدكتور التجاني وطريقة توصله للنتائج التي ينتهي إليها لقد كان الدكتور التجاني فذاً وسط مثقفي السودان ولم يكن لشغفه بالمعرفة نهاية وكان جم التواضع باشاً هاشاً لا يخلق حول نفسه هالة من العلم المرعب والي جانب هذا كله كان فكهاً نافذ البصيرة مستبشر بالناس والحياة .

الدكتور التجاني الماحي
وعلم الإدارة العامة

الاستاذ / قلوباوي محمد صالح

لقد عرفت أول ما عرفت اسم المرحوم الدكتور التجاني الماحي في أواخر الاربعينات حينما كنت في المدرسة الثانوية بوادي سيدنا كأول رائد لعلم النفس (السايكياتري بالسودان) وذلك حينما لمع اسمه علي صفحات الجرائد السودانية وفي دوائر مجتمع المثقفين .

وقد كان أهم ما لفت النظر إليه وساهم في نشر أخباره (التي كانت في حكم الطرائف والمعجزات هو مجيئه كرائد ونبي عصر جديد) ، جاء يشارك ويناقش المشائخ والمشعوذين والفلاتة وشيخات الزار في معالجة أمراض الجنون والأعصاب والعقد النفسية ، وذلك ليس بدق الطبول وسلاسل القيود « والمكاويات » والكي بالنار والفصادة والضرب المبرح ، وخلاف ذلك من الأساليب التقليدية العتيقة ، ولكن بالحقن والغذاء والعقاقير وحبوب الفيتامينات وغير ذلك من اساليب العلاج العلمية الحديثة التي جاء بها عصر العلم والتكنولوجيا الحديث .

وفي أوائل الخمسينيات سنحت لي الفرصة وكنت طالباً بجامعة الخرطوم ، لرؤية الدكتور التجاني عن قرب والاستماع إلي أحاديثه العلمية الدسمة الشيقة في المحاضرات والكلمات التي يأتي بين الفينة والأخري ليلقيها في الأمسيات بدعوة من اتحاد الطلبة وجمعياته العلمية أحياناً بمفرده وأحياناً في معية بعض كبار العلماء الضيوف الذين أخذوا يفدون علي السودان من الامم المتحدة ومن بعض دوائر علم السايكولوجي الأخري بالعالم العريض والتي تسمع بالدكتور التجاني فتأتي لزيارته والاستماع إليه والتفاكر معه كما تدعوه للاشتراك في مؤتمراتها العالمية .

وفي الفترة الواقعة بين أواسط الخمسينيات وأواسط الستينيات كما تحدثنا ترجمته المسرودة في غير هذا المكان » لم يعد الدكتور التجاني كفاءة سودانية فقط ولكنه أصبح كفاءة عالمية صارت تتلقفه الدوائر العلمية العالمية وعلي رأسها منظمة الامم المتحدة وغيرها من المؤسسات العالمية وأصبحت تأتينا عبير سيرته وأخباره وعلمه وشهرته بين الفينة

د. التجاني الماحي في استقبال ملكة بريطانيه

د. التجاني والملكه اليزابيث وزوجها ابان فترة اختياره رئيساً لمجلس السياده

والأخري لا كسودانيين ولكن قد تكررت نفس عملية التوسع الجغرافي في شهرة الدكتور التجاني الماحي في عالم العلوم ، فدكتور التجاني الذي تخرج طبيباً من كلية كتشنر الطبية عام ١٩٣٥م خرج يغزو علم النفس ثم علم الاجتماع وبقية العلوم الاجتماعية الواسعة علماً علماً ، ثم العلوم الدينية والحضارية ، وبالاضافة لحبه للأدب والشعر والعلوم الانسانية الاخري ، فقد زاد شغفه بعلم التاريخ حتي أخرج عن طريقه أهم مؤلفاته « مقدمة في تاريخ الطب العربي » والموسوعة الميسرة عن تاريخ الطب العربي » .

وفي أوائل عام ١٩٦٧م حددت موعداً عن طريق المسرة مع الدكتور التجاني الماحي لزيارته بمنزله بغرض دعوته للاشتراك في مؤتمر المائدة المستديرة الثامن لمعهد الادارة العامة ، الذي حدد له أيام ١١ ـ ١٦ مارس ١٩٦٧م لمناقشة موضوع « مشاكل المدن الكبري في العاصمة المثلثة » وحيث أن هدف تلك المؤتمرات التي ينظمها المعهد هو إثراء علم وتجربة كبار قادة الخدمة المدنية في القطر ، فقد كان همنا الاول أن ندعو لها كبار عظماء رجال الفكر والعلم الذين يجتذبون إهتمام هؤلاء الكبار ويحفزوهم للحضور والمواظبة والاستماع والاستمتاع ، وكانت هذه هي الفكرة الاساسية التي جعلتني إتصل بالدكتور التجاني الماحي رجل العلم والفكر والدولة والأدب والذي توجت البلاد به نفسها كقائد ورئيس في أوج عصر ثوراتها السياسية والفكرية من أجل الحرية ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤م العظيمة كرئيس وعضو لمجلس سيادة الدولة السودانية .

وقد كانت هذه فرصة فريدة وسعيدة لشخصي الضعيف إذ سنحت لي مجالسة الدكتور والقرب الحسي والروحي والمعنوي منه ، الذي ضاعف من اجتماعاتنا التي فاضت موضوع المؤتمر ، فقد اكتشفت أثناء هذه الجلسات التي تعددت في منزل الدكتور وبين مكتبته العامرة ، وفي عيادته وبين طلاب علمه وحكمته وبراعته ، من هذه الاجتماعات المتعددة اكتشفت جانباً جديداً في شخصية الدكتور وعلمه البحر ، فقد اكتشفت انه قد إستوعب علم وفن الادارة العامة وإهتماماً كأعمق ما يكون الفهم والاستيعاب ولم إستغرب ذلك في باديء الأمر لعلمي إن علم الادارة العامة هو أحد العلوم الاجتماعية التي تتصل اتصالاً أخوياً وعضوياً وثيقاً بعلوم النفس والاجتماع والاجناس Anthropology وغيرها من العلوم الاجتماعية الأخري ولكن كلما تعمق بحثي معه كلما إكتشفت الجديد من غزير علمه في هذا الشأن ، فإن إدراكه وأهتمامه ومعرفته بعلم وفن الادارة العامة لم يقتصر علي هذا الحد ، وإنما ذهب لأبعد من ذلك لادراكه أهمية وخطورة الادارة العامة للأقطار النامية علي وجه

الخصوص ومعرفة أثر الادارة العامة في أداء الخدمات عن طريق التنسيق بينها وتنظيم هذا الجهد البشري الانساني الهام عن طريق الاجهزة الادارية العلمية الحديثة والاستعمال العلمي الواعي للمقدرات المادية والمالية والبشرية المتاحة ، والاهتمام بتطوير وتدريب الجانب الحيوي البشري الانساني في الادارة كمفتاح لكل العمليات والعناصر الاخري عن طريق التخطيط والاشراف والتنفيذ ، والاستعمال الأجدي لحوافز النفس البشرية البالغة التعقيد .

وذهبت اهتمامات الدكتور لأبعد من ذلك في هذا المجال ـ مجال التطبيق العلمي والفني للادارة الحديثة فعرض علىّ العديد من بحوثه في مجالات إدارة الخدمات الطبية والصحة العقلية وإدارة شئون الطفول والأحداث ومشاكل الصحة العقلية في الريف وفي أفريقيا والمشاكل النفسية بين طلبة الجامعة وغير ذلك وحيث أن موضوع المؤتمر الثامن الذي سعيت لاشراك الدكتور التجاني الماحي فيه كان عن (مشاكل المدن الكبري في العاصمة المثلثة) فقد خرجت من الدكتور التيجاني بثروة ضخمة من المراجع والكتابات عن مشاكل المدن الحديثة وتعقيدات الحياة الاجتماعية والنفسية فيها ، خاصة في مجالات الانحراف ، والأحداث البغاء ... الخ واخيراً وليس آخراً خرجت منه بمحاضرة قيمة ختم بها المؤتمر في الفندق الكبير كان موضوعها عن (حياة الحضر والمدن والتغيير الحضاري) وهي من المساهمات الأصيلة الرائدة في هذا المجال . كما كان لارائه التي رددها خلال جلسات هذا المؤتمر الكثير من المتعة والأصالة وعمق الثقافة والتجربة .

الا رحمة الله علي الفقيد العالم ، وعوض السودان والعالم فيه بنابغة نتمني ان تكون من السودان ، والمأمول أن يدرس شبابنا سيرته وحياته وعلمه ونشاطه عسي ان يتمثلوا ببعض ما يتحلي به من صفات نحن ومجتمعنا الناشيء في أشد الحاجة إليها وهذا ما يجعلني ان اختم مقالي هذا بالثناء العاطر علي (مجلة الخرطوم) الغراء لاخراج هذا العدد الخاص عن حياة عالمنا الطبيب الاداري القائد الدكتور التيجاني الماحي طيب الله ثراه .

دكتور تجاني الفنان

بقلم : احمد محمد شبرين

حرصت في الاعوام العشرة الأخيرة حرصاً أكثر من فضولي .. علي ملاحقة مجالس العالم الجليل دكتور التجاني ولم تكن أسباب تلك الملاحقة لدوافع أكاديمية او رغبة في الوقوف علي وجهة نظر معاصرة حول الفن والفنون قديمها وحديثها ورغم إنني اعتقد كثيراً في المنحي البحثي وجدواه - وأن الظاهرة الفنية والأدبية تثري نفسها بطرح السؤال ولا تقبل نصف الجواب .. الا أنني وعلي غير تركيز سبق عندي كنت أكف عن السؤال وأتخطي عن منحي التحقيق والتدقيق حيث اجد نفسي بين الذين جمعهم سحر الجمال علي صوت المواطن المحبوب والعالم الفذ دكتور تجاني .

وبالطبع كل إنسان يعلم عن نفسه أكثر مما يعلمه الآخرون عنه وأنا كذلك أعلم عن نفسي .. إنني مناكف ألح أن أكون بطئاً في الاقناع لنفسي قليل الرضي بما الاحظ وما آخذ وما أعمل ربما تكون كلها سلبيات الا ان الذات لها مجري سيرتها وباعث تفهمها لحالها في الرفض والقبول وكنت أعتقد ان هذه الاشياء عظمت او قلت مهمة في كل زمان وكل وقت ، لا من حيث أنها أسباب ينبني عليها تدافق العقل مع المعقول ولا انها حالة وجودية تعيش داخلها خلايا الحرية والمسئولية ولكن فوق كل ذلك شيء يشترك فيه الناس وان قل حظ البعض عن الآخرين ، وأنا في أكثر من مرة كنت أسأل نفسي عن أسباب المتعة للعقل والروح حيث أجلس بين عالمنا الجليل وهو بلا كلفة بلا تكبر بلا إستدلالات ومقدمات طويلة يتخطي مرحلة حقائق العلم آخذاً الجمع بيمينه الي أعماق الحق والانسان سالكاً درباً ممهداً لخاطر الانسان وفاتحاً مليون ينبوع من المعرفة الحقة للضمائر المعذبة في هذه الارض ، وهي قد أعياها البحث والتنقيب عن العقل والمعقول ، عن السهل والميسور ، كان عالمنا يحدثنا في مجالسه عن الانسان في الفن وعن العلم وعن العلم والفن في الانسان وعن الانسان والعلم والفن في الحق وعن الحقيقة في ثنايا التصور وعن الجميع في وجود الواحد

هكذا كنت أتصور ما يحدث عنه وهكذا كنت أفقه ما استمع إليه وكنت في كل مرحلة من تتبعي لتصوره العظيم تتسع أمامي مسافات الخير والجمال وتطرد هواجس المحدود وتكرار المعتاد عظمة الاحاطة وروعة الجديد ولقد الفته عقلا وخاطراً ووجداناً وبدء من هذه

---

* مجلة الخرطوم - ابريل ١٩٧٠م

الألفة تساقطت أمامي كل حواجز الرفض والتردد والشك في يقين عقل حاضر .. وغائب وهكذا استمع اليه حينما يتحدث في الفن يبدأ من حيث يتعشق الانسان البدء وينتهي حيث يصير المستمع جزء من النهاية وتتحول مفردات اللغة وتراكيبها الي هيئة فطرية لا تنفك عن الانسان ويتمني الانسان رغم ما يتهم به ورغم الاوصاف اللئيمة في انه خبية الأمل الكبري في حساب المكان والزمان رغم كل هذا الجور فهو بحق الرغبة الوحيدة للحياة من أجله تجود تمطر وتنبت وتتلاقح وتثمر .. وتنشر نفسها من جديد لتنبت وتزهر وتخضر . وكان هذا المعني ومعاني اعظم تتفتح عليها رؤية سامعيه حيث يرد في أسلوب قصصي فنان بدء رحلة الانسان في عوالم المغلق بحثاً عن الاتهام والفتح ..

وحيث يحدثك تنعدم تماماً ملامح البلدان والجغرافية وتقصر عوالي الجبال أمام البصر وتتساوي الأشياء وتنزل إلي بعدها المادي الأساسي ويبقي الأنسان الحكاية الأنسان الأسطورة ، الأنسان الماضي والحاضر والمستقبل علي منصة العرف والادراك وعلي صحائف الوجد الأسماء ، يحدثك عن الفن المصري القديم ، وكأنه قابل الآله في مجالس عظمتهم حيث تستقر في قرارهم رغبة الوجود الأبدي وتداعي تحت هياكلهم وداخل أهراماتهم ومغاراتهم وتماثيلهم تهديدات العدم وتصورات الأيام القصيرة ، يحدثك عن قطعة وكأنه كان عاملاً في مناطق قطع الحجارة البيضاء والرمادية ، يحدثك عن هيئة النحت وكأنه كان فناناً يفصل تلك القطعة «بازميله » الحاد وضرباته المبدرة ، وكأنه أشتم رائحة غبار ذلك الحجر وتتبع ضوء عينيه نسج المادة الحجرية التي تكيفت عليها صلابة الصخر يحدثك عن « الهيروغليفية » وكأنه خطاط فصل قلمها وخلط عمارها الأسود والازرق والأحمر والبني ، يحدثك عن كل هذه الاشياء وهو غير ملتزم بفكر جاهز وغير مرتبط بايدولوجيات بعينها ، رغبته الاولي والأخيرة ان تجسد طموح الانسان في البقاء ، وان يطرد اسطورة الشر والعدم من حضرة البشر . هكذا عرفته هكذا أستمعت إليه ولهذا كله الفت فيه كل شيء له واسع .

التجاني كمتحدث

الدكتور متوكل أحمد أمين

كان يأسر مستمعيه الذين كانوا يملؤن القاعات التي كان يحاضر فيها لا في داخل بلادنا الحبيبة فحسب ، بل في خارج حدودها .

نعم أينما تحدث الدكتور التجاني تجد القاعة مكتظة بالحاضرين سواء أكان الحديث بالعربية او بالانجليزية ، وذلك لتمكنه العلمي ولغزارة مادته وسعة أطلاعه وحلو حديثه مع نبوغه الفكري ولا يمله السامعون بل لا يملكهم الا ان يقفوا مبهورين بعلمه الفياض وفكره الخلاق ومنطقه القوي ، وأسلوبه الذي سحر به مستمعيه أياً كان جنسهم ، او لونهم ، او ثقافتهم ، او مهنتهم لم لا فقد تكلم عن العلم فأبدع وعن الادب فأجاد وعن التاريخ فأمتع ، عن القلب فأفاد تلاميذه وزملاءه في الداخل والخارج حتي اطلق عليه زملاؤه الأجانب لقب (ابي الطب) في السودان بل في افريقيا .

كانت الدعوات تنهال اليه من شتي انحاء العالم لالقاء المحاضرات او الاشتراك في الندوات والمؤتمرات ، كما قال الدكتور بعشر كان بحق (نجم المؤتمرات) ، فأن غاب هلالنا اليوم فقد ترك من التراث ما يبقي ساطعاً ينير الطريق لرواد العلم وأجيال المستقبل .

وفي محاضراته كنا نلاحظ ان الدكتور التجاني كثيراً ما يخرج بالمستمعين الي أجواء المعرفة وكل ما يحيط بالموضوع في تعمق وتحليل وتمحيص حتي يخال اليك انه خرج من الموضوع غير ان هذه هي شيمة العلماء المتبحرين في علومهم والملمين بكل ما يحيط بموضوعات محاضراتهم فيخرج المستمع بحصيلة وافرة من المعلومات المفيدة الواسعة العميقة .

قابلته أول مرة في مستشفي الخرطوم بحري منذ أكثر من عشرين عاماً مستفسراً عن أحد أفراد الأهل الذي كان طريحاً سرير المستشفي ، وإنني لأذكر الي يومنا هذا حسن إستقباله وهو لم يعرفني من قبل وقد إستوقفني لطفه وحلو حديثه حتي كدت أنسي ان لي مريضاً جئت لزيارته ، وهذا الإسلوب المحبب من الحديث هو الذي كان يتبعه مع الزوار والمرضي ومع ممرضيه وأذكر كلمات احد الذين كانوا معه ، والتي قال فيها «علمنا الدكتور التجاني كيف نخفف عن المريض بالكلمة الطيبة قبل العلاج بالعقاقير » والكلمة الطيبة فن

---

* مجلة الخرطوم ـ ابريل ١٩٧٠م

لا يجيده كثيرون مع الأسف بالرغم من أنها تنمق الحياة وتزينها وتعالج الكثير من المشاكل بل تزيلها والتقينا ذات مرة في باريس عندما كنت أعمل ملحقاً ثقافياً جلسنا ومعنا عدد من السودانيين في احدي مقاهيها المشهورة وأظنها (كافي دي لابيه) وقد تحدثنا عن موضوعات كثيرة أهمها علي ما أذكر أوجه المدينة الغربية ، مساوئها ومحاسنها وكان يتحدث عن المجتمع الغربي ويحلل نفسية الأنسان الغربيّ في أسلوب طريف فلسفي محبب يحلو أن تستمع اليه دون توقف أو ملل ويترك في نفسك أحاسيس تعيش معها زمناً طويلاً .

وهل تدلني علي موضوع لم يتحدث عنه الدكتور التجاني ؟ في أي ميادين المعرفة في الطب ، والتربية ، والاجتماع ، والتاريخ ، والفلسفة ، والسياسة ، (الانسانية لا الحزبية) ؟ !

تحدث كثيراً وعمل كثيراً عن الطهارة الفرعونية وكما يذكر الكثيرون ، كان لهذا الموضوع حديث الساعة لزمن طويل في الاربعينات « وكان الحديث عنه والعمل فيه يحتاج الي قوة وشجاعة والي صبر ! هذه المزايا التي كان يتحلي بها الفقيد والتي أكسب تلك القضية قوة ومنطقاً وعدلاً وإنسانية » .

تحدث وكتب عن الكثير من تقاليدنا الاجتماعية تلك عن (الزار) كظاهرة إجتماعية ، وعن إرتباطها بالمسائل النفسانية ، حتي كاد المستمعون أو القراء أنفسهم يصابون بسحر الزار ومنذ أن استمعوا اليه بدأ الكثيرون يشعرون أن في الزار شيئاً أكثر من دق الطبول والموسيقي والرقص والريح الاحمر والشيخة ؟ وكان يعجبني تحليله لشخصية شيخة الزار ، وبعض أغانيها وتأثيرها وذلك في أسلوب مرح سلس منطقي ، جذاب .

ثم تلك المناظرة الانجليزية المشهورة في قاعة الإمتحانات ، وموضوعها « هل الدعارة ضرورة إجتماعية ؟ » وكان الدكتور التجاني يقف مؤيداً الموضوع وحده وهذا يحتاج الي الشجاعة والقوة والمنطق وكاد الدكتور التجاني أن يقنع المستمعين الذين ملأوا القاعة ، بضرورة هذا المرض الاجتماعي وقد عالج الموضوع من زاوية إنسانية إجتماعية هامة وقال « اذا اردنا أن نقضي علي الدعارة فلابد أن نبحث عن أسبابها ، وهذه الأسباب عميقة تكمن في تكوين الإنسان البايولوجي ولذا يتعسر أن نقضي عليها بالقوانين » الدعارة تخضع لعوامل كثيرة ، نفسية ، وإجتماعية ، وثقافية ، وإقتصادية الخ الي أن قال « إن الخمر ممنوع حسب القوانين ولكنه يباع في الحانات ليل نهار وكذلك الدعارة بأنها تمارس في كل وقت رغم أن القوانين تحرمها أنتهت المناظرة التي أشترك فيها الدكتور بعشر معارضاً غير أن النقاش عن الموضوع ظل حامياً وأستغرق ساعات وساعات وأظنها كانت

المناظرة التي حضرها أكبر عدد من المستمعين في الجامعة » .

والدكتور التجاني يتحدث كثيراً عن التاريخ ، وكثيراً ما يستشهد بالمؤرخين العرب أمثال ابن خلدون وعن تاريخ السودان القديم وكثير ما يستشهد بلوحة بعنخي ، ولعله أول سوداني يبدي هذا الاهتمام الكبير بشخصية من أعظم شخصيات التاريخ القديم ومكتبته زاخرة بالكثير من المراجع النادرة والمخطوطات الهامة وقد أهتم بحل رموز الهيروغلفية ليبحث فيما خفي من تاريخنا ويتأمل فلسفات الأمم الماضية ويستشهد بها في أحاديثه ودراساته التي كم أستفاد بها تلاميذه من الباحثين وطلاب المعرفة » هذا ويمكن أن نضاعف الأمثلة لمحاضراته وأحاديثه التي أصبحت ذات قيمة علمية لا تقدر بأي ثمن ويا حبذا لو قام قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم وزملاوه وأحباؤه ومعجبوه بجمع كل ما قاله في الداخل والخارج وطبعوه للقارىء السوداني بل العربي والعالمي ويكونون بذلك قد أدوا العلم والمعرفة ليتعرفوا إن هناك رجالاً كرسوا وقتهم للعمل الإنساني الكبير ، ولم يقعدهم ذلك عن الدرس والتحصيل ، والاطلاع المتواصل والبحث .

وارتياد ميادين فكرية طالما تهيبها الكثيرون نعم ليقدموا للأجيال القادمة دكتورنا العالم التجاني كخير مثال يحتذي به وخير نبراس يهتدي به في طريق العمل الجاد والانسانية وعلو الهمة والدرس والتحصيل طول حياته .

هذا هو التجاني المتحدث البارع والمحاضر الممتاز الذي كم أمتع مستمعيه بحلو إسلوبه وعمق تفكيره وغزارة معلوماته وسعة اطلاعه وحاضر بديهته وحسن إختياره لموضوعاته الحية المبتكرة .

رحمه الله رحمة واسعة ، جعل له في جناته مكاناً فسيحاً بقدر ما أداه للإنسانية بالعلم من أجل الخدمات .

شهادات التجاني الماحي

بقلم /عبد الله علي ابراهيم

يا قاريء الألواح من قانون حمورابي لمسلّة بمانخي ضمير مستتر وجوباً

وإذ أجلس لأكتب عن العالم العلامة الحبر الفهامة قطب زمانه وغوث أوانه سيدي وزخري وسندي التيجاني الماحي أحس بالقوافي الشرود التي لم يسلك وعر دروبها الا فحول الشعراء لتطرق بابي طيعة بأدب وامتثال ، السجع الذي ابتذلته الركاكة والادعاء والزخرف والوشي الخلب يسلسل قيده ويمنحني نفسه مختاراً لأنيع فضل هذا الكاهن سادن المعرفة والقائم بأمر سقاية طلابها المجهدين المكدودين ، وإذ أشرع في شكره أزيد طولاً وانتشر عرضاً وأتسامي كالأثير ، كافواف الزهر ، كالعطر ، كزيفة مطلع الخريف ، كأريج بهار القهوة في جلسة مكسال علي ظل الضحي اندغم في الوجود ، يندغم في الوجود ، انبهر ، واستهتر ، استكبر ، كفتي ينحني لشبال من هو بها كلف مغرم بعد أن استحقه شراً وسياطاً يزدان بها ظهره ، بشكر سيدي التيجاني الماحي أقرط أذان السامعين الصماء ، وأحلي جيد الزمان العاطل ، وأزين وجه الحياة المبتئس اذا جلست الي سيدي التيجاني الماحي فلا رفث ولا فسوق ، وكأنك تعود عبر ظهر الزمن الي يوم من أيام رمضان في عهد ابكار الاسلام مهاجرين وأنصار .

اذا تكلم ختم كل مقطع قائلاً (شيء غريب) فيعود للمعرفة بدهشتها القديمة التي ظلت تدفع بالمكتشفين من الحمام الي الشارع عراة كما ولدتهم أمهاتهم يلجم المعرفة بالدهشة في زمان تشنجت فيه قسماتها من خلف الرتب والألقاب والنياشين العلمية والكادر وبدل الميل للسيارة وبدل الثرثرة في ندوات الاذاعة والتلفزيون ولجان الاختصاص وعصابات القصاص من شعب حسن النية ما يزال يدفع الطلبة والدقنية والقطعان والعشور ، يتحدث عن الطبري وابن خلكان وابن خلدون والقلقشندي والمسعودي ، شيء غريب ، عن ابن طباطبا وابن طراوة وخلف الاحمر وحماد الراوية شي غريب ، عن عبد الحميد وابن العميد والقاضي الفاضل وابن الاثير ، شيء غريب عن علقمة الفحل والجاحظ وسيبويه وابن ماسويه وابن شهيد ، شيء غريب ، عن سوفكليس وشكسبير وودورث وشوسر ، شيء غريب يتصاعد العلم من رأسه دخاخين دخاخين .

وتوبخك لازمته (شيء غريب) فترتد غرا جاهلا وجهولا وتتناي المعرفة ـ ضالة المؤمن

ـ ويشق طلابها وتتأكد الوصية أن أطلبوا العلم ولو في الثورة الثقافية البروليتارية بالصين (شيء غريب) تعود لبحر المعرفة اللامحدود له بعد أن حسبه آخرون مجري الماء الفاسد والراجع مما تصنعه البلديات علي مدي العام وتصنعه بلدياتنا بأهمال مخل ، تعود المعرفة محيطاً بلا ساحل ولا خفر سواحل ، بلا تقعر ولا طنطنه ولا شقشقة .

وذا التقيت به تأكد لك لماذا ظلت تلاحقنا شتائم أهلنا علي عهد طفولتنا حين كنا ننتهز غفلتهم فنتسلل الي المطبخ نختلس اللحم من قبل نضوجه أو حين يضجرون من عبثنا العابث فتندلق علي رؤسنا شتائمهم (يا ولادة الليلة المظلمة) ، (يا ولادة الغضب) فنحن أبناء الليلة المظلمة لأنه وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر ، من ظننا فيهم للخير وتوسمنا فيهم القدوة تركونا لمناهج المدارس ومقرراتها العجفاء ، وتدافعوا بالمناكب يجنون ثمار السوينه بولع وشره ودناءة وأخمدوا ما كان مامولا أن يسطع بدراً ، وفقئوا عين نار القرآن والعلم فقأ الله عيونهم ـ فلا حكمة تصيب عندهم ولا حقيقة ، تتضور مكتباتهم جوعا فلا جديد يضاف إليها منذ عهد الرسالة وكتابات جرجي زيدان وبعض كتابات ديكنز التي غطاها الاهمال والزهو الزائف طبقة من الغبار وأستهوتهم مسرات الحياة : البوتجاز والثلاجة والراديو ، وراديو العربة ، وسلسل مفتاح العربة وجراج العربة ، وعصاد العربة في الطرقات المظلمة والمضيئة معا ، نحن أبناء الليلة المظلمة حقاً لأن كل منارة وعدت بخير ووميض ذات يوم ، عادت فأنتكست وتسرب اليها السوس وماتت طمأنينة ومتعة حسية وركضا مميتا موحشا هلعا وفزعا في مسالك درجات الحكومة ، لا سامر ينعقد لتدارس الحكمة ونشدان الحقيقة وأنما شلل الليلة تتجرع السحت وتتداول الفحش ببلاغة وظرف أبله ، مجالس أستبدلت الشيخ العارف بربه ، الفقير اليه ، الحافظ القاريء صاحب الرواق ، والمريدين والحيران المبتغين حكمة يتبغون بها جفاف الحياة وغصصها ، أستبدلوا ذلك (بالميجر) والجنرال) و(الادميرال) وتخيروا لها من عزابهم شرارهم أشدهم سكرا وأوغلهم فحشا وأغزرهم تهتكا وأطولهم باعا في الخصي والتخنث ، وأبناء الغضب أيضا وسنظل ، لأننا ضجرنا هذا الانحدار اذ يمشي علي حساسيتنا حتي ما عاد يجدي الصبر والمدارة ، ظمأنا الي الأصيل الرائع وما يطهر الوجدان من البثور والأدران ، يؤجج نيران غضبتنا فنرفع قامتنا في وجه الشمس وفي مدار الفضاء رفضا ، رفضا ونقول للذين تركونا في رعاية المناهج والمقررات العجفاء ليس عبثا حكمة أهلنا القديمة القائلة بأن القلم لا يزيل بلماً الجثث ومناهج الخراب التي تشح مغلولة اليد من أن تمنح برحابة وبذل ووهج نقول لهم موتو بالطمأنينة او بالعراك

في سلم خدم الميري وبصلبان السكري وبالتخمة والسكتة القلبية وبثقافة الفترينات في المحلات البورجوازية البائخة ، ومزقوا ما في مكتباتكم بعد أن تنفضوا الغبار الذي يكسو كتبها الشاحبة وأفتحوا دوركم للعهر والتخنث فضجرنا ينمو حتي في براري الظلام كعناقيد غضب وينز ثورة تأتي علي أخضركم ويابسكم . فهذا جيل المصيبة المعلقة بالسيبية ولادت ساعة الندم ، ولكنك ياغوث الزمان وقطب الأوان - سيدي التجاني الماحي - صنف آخر من الرجال . في مجلسك المحضور يتسلل الي من قاع الزمن حكيم شعبنا البطحاني العارف بأسرار الزمان شيخي وعدتي ورتبتي فرح ود تكتوك بعبارته الدقيقة الحكيمة اللبقة أسال بعفوية :

سيدي وسيد العارفين ما رأيك في الزمان وأهله فيحدثني شفيفا شفيفا - هذا زمان الخسيسة والخسيسا ، المرؤة والنجدة تركت للبوليسا ، النصيحة تدليسا ، والمجالس تهليسا وحكم ألامة من وراء الكواليسا .

- زدني ياشيخ ، انقع غلتي بالكلمات العتيقة زدني يا أبي . فيحدثني شفيفاً شفيفاً .

- هذا زمان القيافة والهيافة والرهافة الضيف دخلوه في بدل الضيافة ياحليل أيام سكاكينا اللوم رعافة ، دا زمن دا .. دي سخافة .

- وأهلالي ياشيخنا وأحلالي وما المخرج ! ؟

- اذا أصابت المسلمين شقوي ، فالثورة تقوي في مجلسك المحضور يا تيجاني الماحي أحس وكأنني وحين أرتمي عند مكتبي غدا سأجد علي منضبدتي خطابا أفضه وإذا به من محمد أحمد المهدي يقول لي (كاتبت جيل الأجداد منكم الي الهجرة الي موضع يقال له ماسة ، بجبل قدير لنجز وبر الفساد المستشري ونغلق سوق التشاشة في الضمير وقد أبلو البلاء الحسن وصبوا في شرايين التاريخ العافية وفي أوردته الفخر وأغلقوا فوهات مدافع الكفرة بالايمان والفطرة السليمة ورباطة الجأش فأزدانت بهم مقابر فلوات وباركتهم الشواهد الصخرية وأكاتب جيل الأحفاد في هذا الزمان المتقع هزيمة وسفسفة وكذبا للهجرة بموضع يقال له بئر السبع بالأراضي المحتلة من فلسطين لأن صلي الله عليه وسلم قد اخبرني إن الصهيونية لا تطهرها المواعظ بل لا يطهرهم إلا السيف ويتوعدني أن لا يقف بيني وبين هذه الهجرة جاه ولا قطاع في الميري لأن متاع الدنيا قليل لا يزن جناح باعوضة) .

وفي مجلسك المحضور يا سندي وسيدي يأتي الي من غيب الغيب وشظايا الوجود

وأنا في حالة يقظة خال من الموانع الشرعية من نوم او سكر ، يأتيني جدودي أيحاء بلحم ودم تنفتق عنهم شجرة النسب التي احتفظ بها كراسة قديمة ، يأتوني في الهجوع ضيوف هجوع ، ينظرون الي ديوان المتنبيء في يدي وقد لفتهم غلالة صمت مستمدة من الأساطير ومن الخرافة ، وفي عيونهم يرقد توبيخ هائل وتقريع مريع :

- ماذا تقرأ يافتي ؟

- شاعري ويلسمي المتنبيء

- وبأي شعر له تتمثل ؟

- ولكن الفتي العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

- وهكذا ابداً سيظل الفتي العربي عند شعب بوان وعند شاطيء بحيرة طبرية ويهمون بالإنصراف.

- الا تنتظرون ، حدثوني ، سأذبح لكم نعجتنا البرقاء .

- من يذبح لضيوف الهجوع حقا هو من يستطيع أن ينفي الغربة عن وجهه ويده ولسانه ، هذه المدية ينتظرها عمل هائل في عنق الوجود الاسرائيلي الدميم . لن تغرينا بعشاء الميتين فالبكاء علي الحي أجدي وأجدر . حقا تلد النار الرماد ويلد المؤمن ذنوبه الي الغيب بطن الغيب يعودون وقد لفوا ثيابهم البيض ، ولمحتهم لدي إنصرافهم شاكين السلاح بوقار وشمم وصلف . وسألتهم همسا لنفسي : الا تنعمون بسؤال منكر ونكير الا وقد احتقبتم سيوفكم وصوارمكم . وحقا تلد النار الرماد ويلد المؤمن ذنوبه .

سيدي وسندي وملاذي في هذا المنعطف التاريخي من حياة أمتنا الذي أنقرض فيه الرجال وأستنشرت فيه الجثث ومحق فيه الرشد وصال الغي والغواية ، وكبرت كلمة من الأفواه ان يقولوا الا اداعاء ولجاجة في هذا الزمان تبدو لي ياسيدي التيجاني الماحي كأنك تنتسب الي جيل من الزهد والفحولة والهداية ، تسمق آثاره من بين قمم النخيل ، وأعالي الطلح قباب واضرحة حافلة بالريات مطرزة بالنذور تتعطر فيها الدعوات المجابة وتمتد منها اليد العاطية واللاحقة . الي جيل خوجلي ابوالجاز ، حمد ود أم مريوم ، وتيران الكرو، واولاد جابر ، حسن ود بليل تنتظم في عقدهم درة وجوهرة يضن بها المحار وتشح بها البحار . ولو كان الزمان غير الزمان ، والحال غير الحال ، واليقين غير اليقين ، لشرعت النسوة أيديهن اذا ماحل بهن ضيق او برم أو فقد عزيز وملأن أزن الريح بالنديهة (يالتيجاني يالروحاني ياقاريء الباثولوجي ويا عارف الاركيلوجي ياسر الهيروغيلفي والناس سخر الوظيفي

ياسايح وفي الدروس رايح تلحقنا وتتجدنا) لشد ما تغيرت الاحوال .

خبر من عشرات الاخبار التي تأتي لي سماعها من التيجاني الماحي . اخباره التي لا تنقطع تتداخل الاخبار ، وتمتزج ، ويقود واحدها الي الآخر ، ويتفرع بعضها من بعض ، وبين شفاه مستمعيه هذه المساحة الفاغرة التي تشي بالدهشة تارة وبالفخار تارة ، دهش لأن المتحدث قرأ كل هذا عاش كل هذا وأستوعب كل هذا ويحكي كل هذا . والفخار لأن حظاً من الحظوظ قد ألقي بك مستمعاً وغارقاً في هذا التيار المثير من الاطلاع والقرآءات والخبرات والاخبار .

ينتاب هذا الخبر ذاكرتي ، عميقاً ونابضا . (الاستعدادات تجري علي قدم وساق لاستقبال نوبة من نوبات تفتيش المستشفيات التي تعتري مسئول استعماري عن الصحة تعرفون مثل ذلك الأستعداد ، طلاء ابيض أيضاً يتسلق سيقان الشجر التي تحف بالطريق والممرات ، وطلاء أبيض أيضاً يتسلق سيقان الأشجار حتي منتصفها ويتمطي علي جذورها البارزة (غداً يزورنا سعادته لا أريد أن أري شعيرات نقنك النابتة دائماً) .

وأمتد الاستعداد الي المرضي ، بدل الملاءة ملاءتان ، بدل الوسادة وسادتان ، بدل القميص البالي قميص جديد أو قميصان جديدان ، شيء واحد أعجزهم أن يمنحوا المرضي العافية السريعة ليكونوا في استقبال سعادته ، وقد تورّدت خدودهم صحة وعافية ، كانوا يزيفون مهرجاناً من الطلاء والشعيرات المبادة والمرضي الناعمين حالاً ، إحتج التيجاني الماحي علي هذه التهيئة المصطنعة للاشياء ، هذا التلفيق ، هذه المظاهر التي تفتري علي الواقع ، كان يريد لسعادته أن يري الأمور كما هي الأمور ليست وردية تماماً وبحجمها الطبيعي .

اسمع عندك

- الشحاذون يملأون الطرقات حتي ليحسب السواح أننا أمة من الشحاذين .
- منازل العاهرات تطوق المدارس وداخليات الناشئة ، كما يحيط السوار بالمعصم ، الخطر ، الخطر .
- ماسحوا الأحذية يملأون الفرندات صغار كاليتم (تمسح تمسح يا أفندي)

لم يبقي لنا غير ان نمشي حفاة

الزيف ، البورجوازيون العاطفيون عاطفة مفضية بهم الي الزيف ، أدفق الطلاء علي سيقان الأشجار ، نتف الشعيرات النابتة ، أبعد الشحاذين عن طريق السواح ، أنقل بيوت

العاهرات الي منتهي المدينة باعد بين ماسحي الأحذية الصغار وأحذية مرتادي المحطة الوسطي ، من بعد هذا كل شيء علي ما يرام ، تغير الواقع ، أصبح واقعاً مقبول المسئول عن الصحة ، للسواح ، لنظريات التربية ، وسيكولوجية المنتطين الزيف .

* * *

السودان هو ال Micovocosm of the micovocism

- اذا الشعب تكلم ، الشعب فعل ، التاريخ لا يرحم .

- الزار Psycho- drama

- كان الطب معدوما فأوجده ابوقراط

- وميتا فاحياه جالينوس ومشتتا فجمعه الرازي وناقصا فاتمه ابن سيناء .

- البناء في ذلك البلد ينهض علي نحو معماري شبيه بالجمل ، للهيكل المعماري للجمل بصمة علي كل شيء .

- المجتمعات كالانسان لها طفولتها ...الخ

- ابن خلدون

علم النبات والحيوان ، الكيمياء والفيزياء التاريخ والفلسفة وعلم النفس ، والاقتصاد المنزلي الهيروغريفي والخط الكوفي والكتابة المسمارية ، ادونيس وعشتار ، بعانخي وتوت عنخ أمون ، لعنة الفراعنة وخبز وحشيش وقمر ، الذين يخطون علي الرمل ويرمون الودع ، الذاكرون والمتهوسون ، والمتجلببون ترنحا واستغراقا .

مدار من الحديث المتنقل من أثر الي أثر ، (في مكتبة افريكانا كان المشرف علي المكتبة يقدم له آخر ما وصله من الكتب عن الطيور) مدار من الحديث علي قنطرة من الشفافية .

« أهدي التيجاني الماحي الي ملكة بريطانيا مجموعة نادرة من الرسائل التي تصم غردون بالفحش وسرقة أنواع نادرة من البلاط » .

" أخلاقنا في السودان لا تسمح لنا بمثل هذا الأبتزاز

مدار من الحديث علي قنطرة من العرفان ، أخذ المؤرخ الفرنسي جاك بيرك الي التيجاني ذات مساء وبعد حديث طويل كان وجه جاك بيرك لوحة من العرفان والامتنان .

شيء غريب . شيء غريب . شيء غريب . شيء غريب . شيء غريب .
شيء غريب . شيء غريب . شيء غريب . شيء غريب . شيء غريب .

شيء غريب . شيء غريب . شيء غريب شيء غريب . شيء غريب .
شيء غريب .

ـ لماذا يولع الرجل هذا الولع المذهل بالمخطوطات والكتب الخ .

فاجأني هذا السؤال وأنا علي عتبة صلتي الأولي بالتيجاني الماحي . لا يغني هنا أن نرد علي هذا الولع الي شيء في نفسه فحسب الي طبيعة فيه . الي مسألة خصوصية وذاتية لا أكثر ولا اقل . كنت قد دخلت من قبل بيوت من هم في سن التيجاني من طلائع المتعلمين ـ اللبنة الاولي في الطبقة البورجوازية السودانية . مررت بعيوني علي مكتباتهم ورصدت الحدود التي أنتهت اليها في الادب : ديوان العباسي وأشتات من معركة الديوان بين العقاد وشوقي الخ . في السياسة والادارة مجلات كالهلال . والمختار ومسألة السودان والعبقريات في الأدب الانجليزي شيء من ديكنز وشو و (مزرعة الحيوانات) لجورج اورديويل الخ . ومن بعد هذا الغبار . زرات تأتي وتنفض وزرات في ذيلها آل كل السودان لطلائع المتعلمين ليحكموه ، إداريين وقضاة ومحامين وأطباء وسياسيين ونواب برلمانيين (ووكلاء برلمانيين) ووزراء رؤساء وزراء وأعضاء "ورئيس" لمجلس السيادة ، إندلقوا من غربال السودنة وهم يكنون العداء لحركة الطبقة العاملة والمزارعين التي لم تزعن لشعاراتهم الممسوخة عن إستقلال "تحرير لا تعمير" . قصد البورجوازيون من وراء تلك الشعارات الإستحواز علي النشاط المستقل للطبقات الشعبية ، والتي أستمسكت بغلظة وإنتباه ـ بالاستقلال السياسي ذي المضمون الإجتماعي . كانوا يريدون للطبقات الشعبية ان تدخل من تحت معطفهم تسير وفق إشاراتهم ، يغرقونها بالشعار ويشدون العصابة علي بصيرتها السياسية ، فتصحوا تسبيحاً بحمد من جلبوا الاستقلال وتغض جفونها المقرحة ـ مساء ـ عرفانا بعضلهم ، وتتكاثف من حول المنابر تنقط خطبهم بالتصفيق الحاد والهتاف لهم بالحياة أبداً ، والخلود مجدداً .

لم يكف البورجوازيون عن تخريب المنظمات الديموقراطية والشعبية (بالعواء المخربون) . عنبر جودة تنفس المزارعون . ثاني وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وثامن الف ثلاثة الف أكسيد الكربون وهم يمرون أنوفهم الي ثقب المفتاح عسي ان يسترقوا شيئاً من الهواء النقي .

كانت طلائع المعلمين البورجوازيون يحكمون البلاد بلا حكمة معاصرة . لا كتاب عن هذا الدوي العصري الذي يخرج من غربة الآلات وعلاقاتها الانتاجية الذميمة لكي يكيف

التاريخ عقد من العطلات لم يقرأوا كتابا واحدا عن الفلاحين الفقراء او المتوسطين . الاشتراكية في ـ نظرهم ـ لم تكن سوي دب روسي في الصقيع السيبيري يزأر من وراء الستار الحديدي متلمظا لاحتواء العالم الحر عالم وست منستر House of Commons وحديقة الطرف الأغر (التي تتحدث فيها كما تشاء ، المصابون باللوثة يلعنون المصابين بالعقل ، تصور !!)

جيل الطريق الي البرلمان ...

جيل وطبقة التيجاني هما جراحة المثخنة كان التيجاني ضميرا لأولئك التافهين ضيقي الأفق . كان يعوض عنهم بمافاتهم من حكم وقوانين الحياة . كان ينكب قراءة من داخل سورهم المعتم وفطنتهم (مع إيقاف التنفيذ) كانوا جيلا من الطاعنين في السن ، الذين تعجبهم مسرات الحياة . والثورة في أحشاء القوي العشبية الجديدة بذرة تنتظر الشاتي ، وفارس يلوح في الأفق وحوافر فرسه تقول تسقط البرلمانية الليبرالية .

كان التيجاني يقرأ لهم جميعا . جيل الطريق الي البرلمان . عنقريب . قطية . قندول . فانوس . " اذا الشعب فعل . التاريخ لايرحم ، انهم لا يقرأون التاريخ " .

ما أزال أذكر إستقالة التيجاني الماحي من الحزب الوطني الأتحادي في جريدة ذلك الصباح مثل بطاقة حب اذكرها . ان لا يجد طبيب نفسي صبرا في نفسه ولا سعة من وقته للبقاء في تلك المؤسسة ، فهذه إشارة بالغة الدلالة علي إستنفاد تلك المؤسسة لأغراضها تاريخياً ، وعلي مجافاتها الحقيقة الإجتماعية في البلاد مجافاة لارجوع منها وإن (المصحة) السياسية قد إستعصت علي المروض النفسي ، فترك الملتاثين سياسياً في ذمة الافلاس وعتبة النهاية .

ظلت الحركة السياسية في بلادنا ترصد ـ في تقديراتها السياسية ـ الطبيعة المزدوجة لأحزاب البورجوازية الوطنية (الوطني الاتحادي واحد منها) : الطبيعة التقدمية والطبيعة المغرقة في الرجعية . وظلت الحركة الثورية تتعامل مع تلك الاحزاب بالتفات الي تلك الطبيعة المزدوجة في معالجتها لميزان القوي الأجتماعية والسياسية . وكان خروج التيجاني الماحي وأمثاله من ذلك الحزب موثراً الي غلواء الطبيعة الرجعية لذلك الحزب ، ودلالة علي غلبة تلك الطبيعة الرجعية علي وجهه التقدمي ، مما يصم هذا الحزب نهائياً في معسكر الردة والمحافظة ، ويتيح لجماهير العاملين أن تتبين طريق الثورة واضحاً ولاحباً .

إستقالة التيجاني الماحي في جريدة الصباح كالفرح

لم نعرف عن البورجوازيين من طلائع المتعلمين الاستقالة كتعبير ينتصف للضمير والموقف السياسي والاجتماعي . فلقد كانوا يرابطون حيث حلوا في خانات الخدمة المدنية او السياسية بعيون تقدح شررا للخانة التالية ـ الشاغرة او غير الشاغرة يملأون المجالس تفجا وإشمئزازا اذا ما تخطاهم متخطي ويوزعون التمر علي مسايد الفقراء نهارا وكئوس الويسكي يمينا ، اذا ما انتقلوا صعداً في درجات السلم الوظيفي يبدأ العالم عندهم بـ J وينتهي بالمجموعة الاولي . يبدأ الكون ببوابة الحديقة وينتهي عند غرفة النوم . تبدأ المعرفة بالحروف الابجدية وتنتهي ببطاقات التزكية لقبول عطاء فلان (وفلان ابو القاسم) . تبدأ الثروة بالرشوة وتنتهي بالاختلاس . تبدأ الحياة العائلية " بستر الماعون " وتنتهي بالخيانة الزوجية . زهرة حياتهم الاطفال ومنتهاها الميراث (ورثة فلان ضد ...) الأطمئنان الاستكانة . الصمت الحرز الأسترخاء الاستنكاف ، مضارفة المؤمن علي نفسه حسنة . الفناء للشر فتح الابواب للريح التمسح بالميري وبتراب الميري بروقراطيون (محول للنظر . للعلم . علي مسئولية أربابه) وزراء ظل وظلال وزراء لم تدخل الاستقالة قاموسهم فهي أبغض الحلال عند طلائع المتعلمين البرجوازيين كالقطط الأليفة كأليف القطط هؤلاء المرابطون عند ثغور الوظائف وبوابات مدن المجموعات .

التيجاني الماحي حمل عنهم جميعاً وزر جيل وطبقة قراءة وعكوفا . وحين شهدهم يشاجرون التاريخ ويتعنتون مع إرادته ، أوجز إستقالته في كلمات . تاركا الملتاثين الملتاثين صادق التيجاني حركة الضاجة بالرثاثة والركض والحيل الملوثة . وحيوية وصدق مع ضميره بارح الساحة .

يريدون ان يجعلوا التيجاني هاويا للتحف جامعاً للمنسوخات والمخطوطات والمنقوشات والعوائد والأوابد يتربص بها عند دكاكين الوراقين وتتقطع أنفاسه لهثا من ورائها عالما مكبا مترفعا عن لقط السابلة والمارة ، ومقايضاتهم ومفاضلاتهم ، ملازماً الكتب

وغرائب المخطوطات والأسفار.

وهذا خطل بين ، وتجريد لظاهرة إنغماس التيجاني الماحي في القرأة وتجميع المخطوطات الخ عن أساسها القائم في مجريّ الحياة وجلبتها وباعتها وسوقتها ومخزونيها ومنعميها .

قال (صديق أخذني التجاني الماحي ذات مرة الي منزل في ديوم الخرطوم بحري كان المنزل هيكلا من الجفاف والإنزواء . تعهد التيجاني المريض العجوزبالسؤال الشفيف والعلاج الادق وحين خرج التيجاني كان العجوز يظلع في أثرنا ليكون متحاملا علي نفسه في وداع التيجاني)

«قال حسن الطاهر زروق (علي عهد الديكتاتورية العسكرية ٥٨ ـ ٦٤ ، التقيت بالتيجاني الماحي في حفل سفارة صديقة . أخذني التيجاني جانبا ، وأسقط مالا في جيبي قائلاً : تحتاج الي هذا اعرف انك تحتاج اليه) » .

حين توفي ابن التيجاني قرابة عام او دون ذلك ، إعتصر قلب التيجاني حزن خاص غامر وغامض ، لا كحزن أب بل كحزن كل الآباء علي كل الأبناء .. حزن من أحزان النهاية وقال :

انا اقرأ لـ .. " لا أذكر اسم المؤلف " كتابا اسمه «الجلد في موت الولد » .

ظلت الحياة تطرح أسئلتها علي التيجاني الماحي كما تطرحها علي كل لسان آخر والحياة التي شهدها ـ وما نزال نشهدها ـ هي حياة من غط معقد ومركب ، المدن تنشأ مثل بقع الحبر علي جسد بلادنا وأشقياء الريف ورقيقه ويهجرونه موجة إثر موجة ، ويتحرشون بالمدينة من أطرافها كرتونا وديوما وعششا وزقلونة وطردونا .. هجر الاشقياء والرقيق سادتهم الطبيعيين وأداروا ظهورهم للوصايا " الابوية " و(العشائرية) مبارحين مواقع الاقتصاد المعاشي الي إقتصاد السلع في المدينة ، وكان إن انحسر عنهم ثوب العافية والأمن البالي الذي كان يشره عليهم الآباء الطبيعيون : شيوخ الطريقة ، العمد والنظار

د. التجاني الماحي في منطقة اثار سقّاره بالقاهرة

ورؤساء الأسر والبطون والافخاذ الخ واقتحم اشقياء القري ورقيقها إقتصاد المدن السلعي بلا معين ولا متكأ ولا سند وأخذت المدينة تنقسم يوماً بعد يوم الي كومي الأثرياء والفقراء ، العمال والبورجوازيين ، الديوم والعمارات .

وكانت هذه الحياة البالغة التعقيد تطرح ثمارها المريرة أسئلة علي كل الساعين في دروبها ، إرتضي المتطمون البورجوازيون ان يجيبوا علي مرارة الحياة وطعمها الفحمي بالاحتماء وراء المرتب وبدل الميل للسيارة ، وبدل الضيافة والحدائق الشوكية الجدار إحتماء وراء العافية والرواء والتحصيل المادي والشخصي إحتماء شبيه بإحتماء أبي القدح بظهره الصدفي الثقيل ، إحتماء الانقراض المؤجل تاريخيا .

وأشقت ثمار الاسئلة المريرة أمثال التيجاني ، كان يعود المرضي البؤساء في منازلهم كان يريد أن يؤسس مهنته الطبية علي اساس من الشرف والأستقامة ، فيصدر كتابا عن الطب العربي : استطالة في الماضي وانغماسا في الحاضر ودرأ لمهنته من أن تكون امتيازا فحسب وحين اصدر التيجاني كتابه زيّنه بعلم السودان وباهداء رفيع إنساني ، وهذه خصلة معدومة في الاكاديميين الذين لا يصلون من نتاجهم الفكري وحوادث السياسة حتي لو كانت في ضخامة حادثة الاستقلال وعلي المستوي الشخصي والعام ، كانت الحياة لدي التيجاني فاجعة مثل فاجعة فقدانه لولده توفي ابنه فأنكب علي كتاب " الجلد في موت الولد " ، وكانت الحياة تتحلل من حول التيجاني ، ويتسابق قاطنوها بعضهم علي كتف البعض ويتهرأ المجتمع القديم ويتكشف المجتمع الجديد عن فقراء بروليتاريين بلا طمأنينة ولا ملاذ ، فينكب التيجاني علي الكتب والمخطوطات يجمعها ويصنفها باحثا عن إجابة لحليب أسئلة الحياة المريرة ، ويصح لنا ان نسمي مكتبة التيجاني العامرة بالمخطوطات والمنسوجات والنوادر علي هذا النحو (الجلد في وجه مرارة الحياة) .

ما كان التيجاني سائحا في بطون الكتب ومغارات المخطوطات ، كان التيجاني إنسانا ديموقراطيا يدرأ بالاطلاع والمسلك المنبني علي ذلك الاطلاع المكثف مرارة التفتت

والتحلل الذين أصابا حياة مجتمعنا السوداني : من إقتصاد طبيعي الي إقتصاد السلعة ، من الاباء الطبيعيين في الريف الي البورجوازيين المتقعي السحنة ، من البصير الذي ينتقل بقدمه الي بيوت مرضي القرية الي الأطباء الذين يلخصون شرف مهنتهم في طول وعرض اللافتة التي يدعون بها المرضي الي عياداتهم الخاصة .

حين أمتقع التيجاني وهو يري المستشفي يخلونه لكي يبدو مقبولا للمسئول الاستعماري عن الصحة ، كان التيجاني قد وضع يده علي جوهر المجتمع البورجوازي ، الزيف ، الزيف ، الزيف يمينا ، الزيف شمالا ، الزيف شرقا ، الزيف غربا ، الزيف الوجوه ، الوجوه الزيف ، الزيف بداية ومنتهي .

وكان التيجاني بذلك ـ وطوال إزدهار طبقة وجيل بورجوازيين علي إعنة بلادنا ـ ضمير مستتر وجوبا .

كتب هذه السطور الحوار المحقور المبتغي شمول عناية ربه الغفور عبد الله بن علي بن ابراهيم العبد المحيسير والاشتراكي المغيرير والبورجوازي الصغير تحريراً في يوم الخميس مطلع ربيع الثاني من سنة ثمان وثمانين وثلاثة عشر للهجرة النبوية الكريمة وصلي الله علي سيدنا محمد ، علي آله وصحبه مع التسليم .

استاذي التجاني

بقلم : د. الزين عباس عمارة

إن الكتابة عن التجاني الماحي في شتي صورها مدعاة للعجز عن تحمل وزر الانتقاص من قدرات التجاني التي واكبت تاريخنا المعاصر في شمولية وصلت حد الاعجاز ، والقصور في استيعاب اللمحات الأسطورية في حياة التجاني نفسه .

واعترافا بهذا القصور أبدأ محاولتي المتواضعة في استبصار عميق لروح العنوان ، إن التجاني من الظواهر الانسانية التي أفرد لها تاريخنا المعاصر صفحات حافلة بالعطاء ، لقد جالد الحياة التي يخوضها في سبيل اكتشاف عالم جديد كله عدالة وأمان لم يكن مثالي يحوم في حدود (مدينته الفاضلة) فكان يعلم أن تلك المدينة لا تقوم الا في اذهان الذين نفضوا أيديهم من طينة البناء وزهدوا في المحاولة وتجردوا من روح المعايشة للواقع المثخن بجراحات العصر النفسية .

لقد عرفت التجاني كما عرفه الكثيرين من أبناء وطني عالما نفسانيا ومفكرا انسانيا وفيلسوفا معاصرا واستمعت اليه في محاضراته في شتي المجالات خاصة في الطب النفسي والعقلي وشدني إليه العمق الذي يشعرك ببشاعة الاحساس بالطفو علي السطح كلما أستطرد - وكثيرا ما كان يستطرد - ويتوسع في رحابة مهيئاً ذهن الفرد للتحول والقبول والرفض والمجادلة خلال سخريته المره من الجهل والخرافة ونظرته الكاشفة للمدي البعيد الذي وصل اليه الفرد من الشجن النفسي ، ومن خلال الانصياع الجبري للاستماع للتجاني تحس بالرغبة في الالتصاق به أكثر وأكثر في حين لا يفصله عنك سوي شبر واحد هو مسافة الفرق بين الجسد والجسد ولا تملك الا ان تحبس انفاسك مستمعا اليه يروح ويغدو في القاعة مركبا شراعياً يرحل في ضوء أخاذ .

عندما كان التجاني خبيراً منتدباً لهيئة الصحة العالمية لاقليم الشرق الاوسط في الاسكندرية كان يلتقي بطلبته في كلية الطب في لقاءات متفرقة تبدأ بالطب وتمخر عباب الفلسفة وتعبر دروب التاريخ لتنتهي عند الرازي وابن سيناء وابن خلدون وكان يصعد بالأرواح المنصتة الي قمة وجدانها ، أذكر عندما كان يحاضرنا في تاريخ الطب العربي باللغة الانجليزية وقف السير ماريوت نيكز استاذ كرسي الجراحة بالكلية الملكية وأحد

* مجلة الخرطوم- ١٩٧٠م

أساطين علم الجراحة بالكلية الملكية بلندن وكان رحمه الله ـ من جيل التجاني وفي سماحة التجاني وقف قائلا « سيدي ، لقد كان لدي الكثير مما كنت أود ان أقوله ، ولكنني الآن أحس باحساس رجل الشارع الذي يستمع الي طبيب يتحدث في دائرة اختصاصه .

وعندما عاد التيجاني الي السودان واعتلي كرسي الأستاذية في علم النفس بجامعة الخرطوم كنت خارج العاصمة وعندما عدت والتحقت بقسم الأمراض العصبية مرة أخري انخرطت في سلسلة محاضراته في كلية الطب .

لقد كانت وسيلة التعارف بيننا في حد ذاتها إحدي سمات التواضع والسمو في شخصية التجاني ، لقد كان زميل يلقاني يبادرني قائلا سمعت بروفسير التجاني يسأل عنك ويطلب ان تقابله ، وكان مثل كل لقاءات الكبار وجها لوجه ينبغي أن تعد نفسك لها فبدأت بالتنقيب في مؤلفاته وقرأءة محاضراته ومراجعة أرائه في كل شيء اذا وقفت أمامه وجد شيئا من توقعاته في أحد تلامذته ، حتي كان اليوم الذي قابلني فيه أمين مكتبة الكلية وقال لي : بروفسير التجاني يسأل عنك ، فذهبت اليه في مكتبه بكلية الطب ، دخلت اليه يتنازعني مزيج من الشعور بالرهبة والرغبة ، وهيبة المخاطرة في دخول عالم فوق الادراك والمحسوس والرغبة في الوصول الي وجدان هذا العالم واستنباط مكنوناته .. .. الخلفية ، الالوان ، الأسلوب ، تناول الموضوعات ، اللوحات المعلقة علي الجدار ، التماثيل الأبنوسية أصناف الكتب والمخطوطات ، وجدته وسط هذا الحس الدرامي الذي يجذب الناظر ويغوص به في داخل الفنان .

قدمت له نفسي فما كان منه الا ان وقف وخرج من دائرة مكتبه ليقابلني في عتبة الباب ممسكا بكلتا يديه مستدرجا بي الي الداخل ليزاوج بين ترددي في حضرته وفرحتي بلقائه فقال لي : يا أبني انا سعيد بلقائك .. لقد سألت عنك كثيرا عندما قرأت لك وعلمت انك تعمل في قسم الامراض العصبية شيء غريب ، وكثيرا ما كان يردد هذه العبارة كيف لم نتقابل طيلة هذه المدة ، لقد علمت أنك خارج العاصمة عندما أرسلت في طلبك شيء غريب قرأت لك كثيرا من الشعر ، هذا الفن الذي يعد من اقسي انواع الفنون في كثافة الرمز وعمق الاحساس واستكشاف نفسية الفرد ، لم يترك لي فرصة الحديث وتمنيت الا يفعل ذلك فلم يكن في وسعي ان أتكلم ، فقد كان حجم المفاجأة أكبر من خيالي القاصر في تصورها واستطرد قائلا « يقولون انك مشغول بالشعر والأدب وأقول لهم : هذه هي نشاطات الفكر هذه هي قضايا الطب النفسي ، إن مشكلة التعبير عن العلاقة بين الأديب والجمهور هي صلة

التعاطف بين الطبيب والمريض والقدرة علي هذا التعبير بالشعر ، بالنحت ، بالموسيقي ، هي عناصر الموهبة التي تطوع أصابع الطبيب وترهف حسيه وأذنه وتثقل ضميره بعبء مسئوليته تجاه المرضي ، ماذا يكون الطب النفسي غير الحديث عن المرضي ورصد أحاسيسهم والتعبير عن هذه المزاوجة في الشعور وماذا يكون الادب غير التعبير العميق عن إحساس الفرد في هذه الضجة الهائلة التي أولها التوتر النفسي وآخرها المرض العصبي والتعبير بأصالة عن صيحات الاستغاثة التي يطلقها الفرد في لحظة الأنهيار ومهمتنا ... الصعود بالفرد من مجرد العلم بأوهامه الي حتمية انتصاره علي المرض ، لم يترك لي شيئاً أقوله ولم أكن في وسعي دخول أبواب فتحها علي مصرعيها وأضاء دهاليزها بالمصابيح المقدسة ، ومنذ ذلك اللقاء لم أفارق التجاني حتي رحل عنا وكنت كالذي وجد الفردوس المفقود وكنوز المعرفة فلم يبرح الظل ولم تنفك قبضته عن مفتاح الكنز فكثر ترددي عليه في مواقع نشاطه الثلاثة البيت ، المكتب ، والمكتبة وحتي عندما يكون خارج المنزل كنت أجده في حتي دور الكتب يبحث عن صاحبه الأعظم . الكتاب كان التجاني اكثر ((الطلاب)) حرصا علي الحضور للمكتبة بانتظام وكان مقعده الوحيد بين كل الطلبة يظل ممتلئاً بالكتب والمخطوطات .. وكثيراً ما جمع الطلبة داخل المكتبة ليطلعهم علي إحدي المخطوطات النادرة . زرته في أمسية في المنزل وبدأ يتحدث كعادته مستغرقاً ... مستطرداً - مستجمعاً ذكرياته وسوالفه وتشعب الحديث وعن لي أن أساله عن سبب استقالته من مجلس السياده فقال (تسألني عن أبغض الحلال الي نفسي (الاستقالة) ان الاستقالة اضعاف ظاهر للحق ... واذعان مستتر للباطل وانحناءة للمصاعب والذي يتعود علي الانحناء يتقوس ويحدودب ولا تستقيم قامته الي الأبد .. ولكنني رفضت أن أكون (بصمجياً) يوقع في الأوراق الرسمية واستدار نحوي قائلاً : صحيح أن جيلنا كان جيل التضحية الذي صنع لكم الحاضر الذي تنعمون به ولكننا لن نعمر الي الأبد فقط نستطيع بالتوجيه والتوعيه وبالتخلي عن الانانية والأثرة والأدعاء ان نؤهل الجيل الذي ينجز ما فشلنا او عجزنا او قصرنا في انجازه . لا تسمع حشرجة الذين يتشبثون بالحياة وهم في سكرات الموت إن فاقد الشيء لا يعطيه . شيء غريب .. ان التحول الاجتماعي الذي يحدث في بلدنا جزء ضئيل مما يحدث في البلاد الأخري ... صحيح أن جيلكم وأد عملية البحث والتفكير في الانغماس في الملذات الحسية والانشغال عن الدراسة والتحصيل ولكنه ليس جيلا ساقطا كما يصورونه ... إنه جيل متمرد علي القيد والعصا . أذكر له بالفخر والاعتزاز مواقفه البطولية مع كل الأطباء من أجل الحق

والعدل واستشهد بموقف وقفه بكثير من التضحية عندما حدثت لي مشكلة في محيط العلم ولم يكن طرفاً في أطراف المؤامرة ولكنه تعود ان يلتقط القفاز منتصراً للحق في كل ميدان . طلب مني ان أقابله وقال لي لقد تكلمت مع ... وارجوا ان تحمل له هذه الرسالة .... وكتب يقول بخط يده .« عزيزي ... لقد أصبحنا غرباء في ديارنا شيء غريب .. ان نوطن انفسنا علي هذه الغربة النفسية ولكن ان يكون الحق غريبا بيننا فهذا نهاية المطاف اعرفك بفلان وكفي » وحملت تعويذتي اطرق باب المسئول الذي احكم قفله وعدت إليه فاحتد قائلاً : أرجو أن تحضر لي صباح الغد في المنزل ونذهب سويا فاذا اشتط في عناده فسوف تلحقك بالقسم هنا بعد ان يخلي سبيلك وعندما ذهبنا للمسئول إياه وقف مرحبا علي اطراف اصابع قدميه ومناديا بالبارد والساخن فما كان من التيجاني الا إن قال : لقد جئت به اليك وأنا اعلم انه بوسعك ان تطرده من مكتبك ونحن نطرقه دون استئذان او موعد سابق ولكن ليس في وسعك محاربة الناس في ارزاقهم . فقال المسئول : والله انا دائما مهتم يا استاذ .. فقاطعه التجاني (لو كنت مهتما لما جئنا اليك نحن نبحث عن الحقيقة الضائعة وفي غمضة عين وانتباهتها يصبح الظالم مظلوماً والقابض مقبوضاً .. ارجو ان تخلي سبيله لنا في الجامعة . فقال المسئول « ليحضر لي يوم السبت » ،. وامتدت الي شهور حتي صدقت نبوءة التجاني يوم تفجرت الثورة واقتلعت جذور العابثين بمصالح الناس . لقد لازمته في الايام الاخيرة ملازمه الظل وكان رغم المرض الذي هد قواه الجسمانية كثير الحركة والنشاط والتأليف والكتابة للوزارات الحكومية والمؤسسات التعلمية وكان يكتب منذ الصباح الباكر وحتي مغيب الشمس ويحضر الي المكتب بعربة اجرة ويجلس الساعات الطويلة في المكتبة . لقد كانت زيارتي للتجاني لها طقوس خاصة في نفسي أولها لتهيؤ النفسي والذهني وآخرها القدرة علي التسجيل والاستيعاب والاسترخاء فكلما تحدث الي خيل الي انني استمع اليه لاول مرة وفي موضوع لم اسمع به أو أقرأ عنه قبل اليوم لقد أعطي التجاني الأستاذية معني كبيراً وبعداً جديداً اضفي عليها من خبرته وحنكته ومن علمه وحكمته وصعد بها الي مراقي الابوة ومرتبة النبوة وأصحاب الرسالات فلم تكن قاصرة علي جهده في قاعة المحاضرات ولا دور المكتبات وإنما إمتدت الي الناس في الشارع والأماكن العامة يتعاطف ويجادل ويعطي الكثير من وقته وراحته . لقد علمني التجاني من فضائل الحياة في شخصه وسلوكه ما اعانني كثيراً في إدراك إبعاد الكون الحقيقية فان اصبت نجاحا في الحياة فلأنني تمثلت حكمته واستوعبت تعاليمه واكبر الفخر عندي إنني تتلمذت علي يديه فترة من

الزمن شرفني فيها بصحبته العامرة وقربني الي نفسه المطاعة التي تغرس البذرة الطيبة في الأرض الصالحة لقد كان التجاني حكيما الفي علي كتفيه تبعة الصاق المطلق بالجزئي واتباع المحسوس بالمنظور وكان رسولا مناديا للصم يرفع عقيرته في وجه الباطل ويسقط من لعنة الآخرين وسومة الماكرين ويقبلها برضى علي إنها قدره المحتوم ... ومنها قولته الشهيرة لأحد زملائه الذي رفض النزول للمعاش لانه ليس هنالك مؤهل يخلفه قال له (ان هذه اكبر وثيقة لادانتك واحالتك للمعاش .. ان رسالتك ليست في البقاء الي الأبد وإنما في تأهيل من يخلفك عندما يدركك العجز أو الموت) لقد كان نصيرا للحق .. مجاهدا في غسل الصدأ العالق في وجه الأمة .

رحم الله استاذي التجاني فقد كان في حركته الدائبة وحيويته الغالبة امة كاملة في شخص رجل واحد .

التجاني الماحي *
ابو الطب النفسي في أفريقيا

بقلم : د. احمد الصافي

في الساعات الأولي من صباح الخميس الثامن من يناير ١٩٧٠م توفي الي رحمة مولاه بمستشفي الخرطوم الملكي استاذ الجيل البروفسير الدكتور التجاني محمد الماحي .

ولد التجاني الماحي بمدينة الكوة بمديرية النيل الابيض في ٧ يناير ١٩١١م وتلقي تعليمه في الكوة ورفاعه والخرطوم حتي تخرج في مدرسة كتشنر الطبية في عام ١٩٣٥م التحق بعدها بالمصلحة الطبية السودانية طبيبا وعمل في مناطق مختلفة من السودان منها امدرمان الخرطوم ، وادي حلفا ، وكوستي بعد قضاء عامين في معهد الطب العقلي والنفسي بجامعة لندن نال دبلوم الطب النفسي في يوليو ١٩٤٩م فكان بذلك اول افريقي يجاز في هذا التخصص .. بعد رجوعه السودان مباشرة قام التجاني بتأسيس اول عيادة للأمراض العصبية بالمصلحة الطبية السودانية بالخرطوم بحري في اكتوبر ١٩٥٠م . في عام ١٩٥٦م تطوع في الخدمة العسكرية في حرب القناة بمصر .

من عام ١٩٥٩م الي ١٩٦٤م شغل منصب مستشار الصحة العقلية لمنطقة شرق حوض البحر الابيض المتوسط (منظمة الصحة العالمية) بالاسكندرية .. وبعد ثورة ٢١ اكتوبر ١٩٦٤م اختير عضوا ورئيسا مناوباً لمجلس السيادة السوداني .

وفي سنة ١٩٦٩م عرضت عليه جامعة الخرطوم درجة الاستاذية في الطب النفسي فقبلها والتحق بالجامعة رسميا . من حينها إنصرف لإنشاء قسم الأمراض العصبية والنفسية بكلية الطب حيث كان يعمل الي أن وافته المنية المحتومة في الساعات الاولي من صباح الخميس ٨ يناير ١٩٧٠م وأنجب اربعة أبناء وبنتين .

التيجاني الإنسان : -

تميز التيجاني الماحي بعمق إيمانه وبتفاؤله الدائم بالانسان والانسانية . كان متواضعا ، دمث الاخلاق ، لبقا ومحدثا مثقفا ممتازا تأسرك أحاديثه وإن استطرد وضاع منك موضوع الحديث وما ضاع منه . كان راق في دعابته بشوشاً هاديء الصوت والحركة .. ومن ممن عاصروه لم تفتنه جلسات (البروفسير) الطويلة في كرسية (الهزاز) امام مكتبة

---

* من كتاب : التجاني الماحي مقالات مختارة تحقيق د. احمد الصافي ود. طه بعشر

كلية الطب والكتب حوله وتحته وفوق فخذيه .

وحين تقف بجانبه ينسي كتبه وما حوله ويحدثك فيما تريد الساعات الطويلة .. يوجهك لمراجع ما كنت تحلم بمعرفتها لولاه .. وهنا كانت استاذية التيجاني الحقة .. تمكنه العلمي وعمق المعرفة وذاكرة قوية حاضرة .. فقد فتح التيجاني الدروب الواسعة للعديد من تلاميذه وأعطاهم بسلوكه المثال والقدوة .

كان لايفتأ يذكرك في تواضع بجهله (وبجهلك) حين يكرر لازمته الشهورة (شـيء غريب) .. وحين يعدد العلماء ويسهب في سـرد سيرهم واعمالهم .. وحين يكرر ويكرر القول ان (البيلوغرافيا نصف البحث) يذكر هذا لكل باحث .. يعدد أهمية إستقصاء مصادر البحث .. يذكرك بشمس الدين الأبهري صاحب كتاب (الهداية) وأحد اعلام الفكر في القرن الثامن الهجري ويذكرك بمذهب فلسفة العلوم المنهجي وأن الأبهري ومن تبعه من العلماء العرب قد رادوا فكرتها منذ اوائل القرن الحادي عشر الميلادي . فعرفوها وشرحوها وطبقوها وحثوا عليها وعوها إسلوبا لفلسفة العقل او نوعا من الحكمة .

وكانت عظمة التيجاني ايضا في سيرته الشخصية طوال حياته .. في شجاعته في الحق ووقفاته التي ما زالت تذكر بكثير من الاعزاز والاكبار في ارتفاعه عن الصغائر وعن السفه وعن المنافسة علي المناصب والتهافت والتكالب عليها .. وفي كرهه الشهرة وبعده عن الاضواء رغم إنه من القلائل الذين كانوا دائما في الساحة ملء السمع والبصر .

فكان اذ اجمعت عليه الاراء ... عند إختياره عضواً في مجلس السيادة وعند إختياره نقيباً للأطباء . وعندما عرض عليه كرسي الاستاذية بجامعة الخرطوم .. وعندما منح كرسي الأستاذية بجامعة كولومبيا .. وعندما منح درجة الدكتوراة الفخرية في القانون ... وعند إختياره عضوا بالمجمع اللغوي بالقاهرة .. وعندما أختير مستشاراً إقليمياً لمنظمة الصحة العالمية في الصحة العقلية .. وعضوا بلجنتها وعضوا في اللجنة التنفيذية للاتحاد العالمي للصحة العقلية وعندما كان ملء السمع والبصر .. عضوا بارزاً في مؤتمر الخريجين .. يتحدث لعامة الناس في الراديو والتليفزيون وفي الصحف .. ويتحدث في المنتديات العلمية داخل وخارج السودان .. كان مكتبه وبيته قبلة المريدين والعلماء من كل حد وصوب .. لم يعرف منتداه يوما بعينه او ساعة بعينها فقد كان دائما للناس . بشوشا مرحبا كريما وعنده الاجابة الشافية او النصيحة والتوجيه .

التيجاني الطبيب : ـ

كان التيجاني طبيبا حازقا متفان في العناية بمرضاه وفي كل حياته كان مثال الخلق المتين والأخلاق النبيلة ، فحافظ علي كرامة المهنة وسمعة الطبيب حين كان طبيباً ممارساً وحين كان نقيباً للاطباء .. إن الطبيب الذي لا يستطيع أن يخلق من إدراكه للمرض تجربة شخصية له لا يستطيع قياس المرض .. فعاش مع مرضاه همومهم وسهر معهم طبيباً ومواسياً .. كان كثير الاشارة لقول القفطي في كتابه (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) إنه (ينبغي للأطباء أن يتفلسفوا فإنها أي « المهنة » لا يجب تعاطيها إلا لمن كان علي سيرة اسقلبيوس) .

التيجاني الباحث

كان التيجاني مولعاً في كل اعماله باثبات الحق والتنويه بفضل السباقين الرواد .. وقد كان كذلك منذ يفاعته فقد كتب بداخل غلاف كتيب صغير باللغة الانجليزية بعنـــوان (كتيب علم النفس) قائلاً : (ان هذا الكتيب أهدانيه الاستاذ إسماعيل الازهري في عام ١٩٢٥م وانه أول كتاب أقراه في علم النفس) ، عند عودة التيجاني إخصائياً في الامراض النفسية حمل الكتيب لأزهري ليمهره له بامضائه مشيراً إشارة دقيقة المعني لفضل رجل عليه وعرفاناً بفضله .

إن إثبات الحق إحدي الدعائم الأساسية في البحث العلمي ومن أوجب صفات الباحث .. هي الامانة العلمية في توثيق المنقول وتبيان مصدره وإسناد القول لصاحبه لتاكيد السبق .. هي واجب أدبي وخلقي في المقام الأول .

وكتابه (مقدمة في تاريخ الطب العربي) ثبت علمي جليل حقق فيه التيجاني ما لم يحقق من قبل وأشاد بفضل العلماء العرب والمسلمين وأبرز أسمائهم وعرف الناس بهم فجل مصادر هذا الكتاب هي المصادر الأولية التي تفقه التيجاني وأمعن في فحصها ، فحب التيجاني لجمع المخطوطات لم يكن حب الاغتناء والامتلاك لكنه الجري وراء الحقيقة في مظانها الأولي فمخطوطاته (٢٦٥٠ مخطوطاً) وكتبه (٨٠٠٠ كتاباً) وخرائطه (٧٦٠ خارطة) جميعها لم تغنه عن البحث بل زادته شغفاً ، تعلم الهيروغلوفية وبرع فيها ليسبر غور حقيقة حضارة وادي النيل أم الحضارات .. وتعلم اليونانية والفارسية والفرنسية ولغة الهوسا وغيرها لشعوره بأهمية معرفة اللغات في قرآءة النصوص في أصولها قبل تأويلها .. يذكرني ذلك هنري سقـرمست الذي درس أربعة عشـر لغة قبل الشروع في كتـابة مؤلفه

(تاريخ الطب) .. لم تكن ما حوته مكتبة التيجاني الماحي من كتب ومخطوطات هي كل ما قرأ فقد جاب مكتبات العالم الكبري بحثاً عن ورقات قليلات من مخطوطات تبعثرت بين مكتبات العالم أو تحقيقاً لمخطوط أو إثبات للحق أو ضحضاً لفرية .. لم يكتف في تقصيه الحقيقة بالقرأءة والأطلاع الدؤب فليس من قرأ كمن سمع أو رأي فقد زار غندار ليري بنفسه قبر بلاودن أول من وصف الزار وشبهه برقصة التمتم في كتابه (رحلات في الحبشة وبلاد القالا) الذي نشر عام ١٨٦٨ بعد وفاته .. وزار جزيرة كوس اليونانية ليعيش بعض الوقت في المكان الذي ولد فيه أبقراط أبو الطب .. أما مصر التي أحبها والتي وصفها (بأم الحضارة وتاريخها رائد التاريخ وشعبها قائد الشعوب ودليله وحضارتها أصلاً تفرعت منه حضارات الانسانية) مصر هذه جابها شبراً شبراً جال في فارس وفي الجزيرة العربية وفي غير هذه وتلك وفي كل رحلة دايم الملاحظة ، عند وصوله في رحلة تفقدية للسعودية كانت إحدي همومه ان يتأكد من مدي إنتشار (دودة الفرنديت) والتي وجد انها قليلة الانتشار وقد كانت منتشرة ومعروفة في عصرابن سيناء وهو أول من أشار إليها وسماها (العرق المديني) اعتقاداً منه إنها قطعة من عصب الانسان برزت من مكانها ونسبها للمدينة المنورة التي كانت تكثر فيها .. وكان الرازي أول من أثبت انها دودة طفيلية في الجسم .. هذا هو التجاني دائماً وراء الحقيقة واثبات الحق .

اعمال التيجاني :ـ

إن في حياة التجاني وفي أعماله وسيرته مجالات لا تحصي للدرس والبحث لا نرجو هنا غير الاشارة لبعضها كتب التجاني كثيراً في الطب وتاريخه وكان يري ان الطب والصحة (العقلية) مترادفان .. وكان مغرماً باستقراء التاريخ والمثولوجيا التي درسها واستوعبها لمعرفة جذور العلل المستحدثة .. عني عناية فائقة بالتغيرات الاجتماعية والحضارية وأثرها علي صحة الانسان .. فكتب في العلاقات الانسانية وأثرها في تربية المواطن العربي .. وفي رعاية الأسرة والطفل وعلاقتهما باضطراد العمران .. وفي أهمية الانسان في عملية الانتاج وديناميكية الصراع والتحول الحضاري .. كما كتب أوائل الأبحاث المثبتة بالعربية عن القات وناقش مشاكل الادمان وكيفية علاجها وكتب عن الحشيش والخمر والقهوة .. كتب عن عادات الطعام والمصنوعات الحضارية .. وعن العقاقير وكيف يحسن إستعمالها وكيف يساء .. كل ذلك باستقراء التاريخ وتحليل الواقع الاجتماعي والحضاري بالشواهد العديدة والحجج الدامغة .. أما فلسفته وتصوره لخدمات الصحة العقلية فقد كانت متميزة فريدة .. كان

التجاني الماحي رائد دراسات الطب التقليدي (الشعبي) دون منازع اتصل (بالفقراء) وكان مريداً وصديقاً للعديد منهم منذ منتصف الثلاثينات ، كتب عن الزار وعن الأصول العربية للطب الشعبي في السودان .. وفي كل مقال من مقالاته العديدة الأخري كانت هناك إشارة أو إشارات لأهمية الطب التقليدي وإمكانية الاستفادة منه وتوظيفه في طرائق إيصال العلاج للجميع وترقية الصحة وكتب في غير الطب والصحة .. كتب عن الخيل وأسمائها في الجاهلية والإسلام وبعض أخبارها .. ترجم اشعاراً لنزار وللتجاني يوسف بشير وأعاد صياغة العديد من الأعمال الشعبية الليبية والترانيم والتعاويذ الدينية المصرية بأسلوبه السلس باللغتين العربية والانجليزية أما محاضراته وأحاديثه فقد كانت الحجة الثقة الذي تتلهف المحافل الدولية للاستماع اليه .. قدم محاضرة هيري مودسلي في معهد الصحة العقلية بلندن في ١٩٦١ كما قدم محاضرة وليام جيمس ومحاضرة أدولف مايير في الولايات المتحدة .. في هذا المجال أطباء النفس وحدهم يعرفون أي شرف تكلل هامتك به الأسرة العالمية بدعوتك لالقاء أي من هذه المحاضرات .. وحاضر في الجمعية الفلسفية السودانية عن فلسفة العلوم .. وحاضر وتحدث في كل مجال داخل السودان وخارجه الي ان وافته المنية وهو يتحدث ... وعند صدره كتاب .

التجاني الرائد :-

كان التجاني الماحي رائد للطب النفسي في أفريقيا له مدرسة متفردة ومنهج مبتكر .. تبني افكاره بعضهم في اماكن اخري من هذه القاره وحفظو له الفضل .. فقد نقل زميل دراسته وصديقه اديو لامبو الي قرية ارو بنايجيريا ما عرف (بنظام القرية) .. ذلك النظام الذي يستفيد من مهارات المعالجين التقليديين ومن ثقة الناس بهم وما يتمتعون به من إحترام ورهبة . وفي السودان انشأ اول عياده للامراض العصبية بالخرطوم بحري ثم انشأ شعبة الطب النفسي بكلية الطب ، جامعة الخرطوم .. وكان الرائد قبل نصف قرن من الزمان للدراسة العلمية الميدانية للطب التقليدي السوداني . فكان ان عني بتسجيل ممارسات الزار تسجيلا علميا دقيقا تشهد بذلك المخطوطات القيمة التي تركها .. فقد حلل الانماط الشيخية (مشايخ الزار) وعدد وظائفهم واهمية كل ذلك في التشخيص وفي علاج بعض الأمراض النفسية . مقالاته عن الزار في عام ١٩٤٤م ومخطوطاته التي بداها في عام ١٩٢٧م معالم بارزة في تاريخ هذه الدراسات . كان من اوائل من قرأوا (الطبقات) بعين الطبيب الحصيف ونوهوا بما تحويه من تراث طبي حيث نجد الجذور اليونانية القديمة

ونظرية الاخلاط الاربعة كجزء من التراث الطبي التقليدي السوداني .. وقرأ (مختارات الصائغ) ونوه بفضله وكتب عنه وكان من اوائل الرواد من الطب النفسي العالمي الذين يعطون المرضي النفسيين الذين ينتهكون القانون الحماية الطبية والاجتماعية وكان ذلك في مصحة كوبر التي أنشأت لعلاجهم ورعايتهم وحماية المجتمع . وكان التجاني رائداً في إسلوبه وفي منهجه وكان شيخا من شيوخ المعرفة تصبو للتعلق بهم والتعلم منهم .

جيل التجاني :ـ

كان التجاني ممثل جيله وحاديه . لم يشذ عنه الا تفوقا وترهبنا في العلم ... كان جيل التجاني الأصاله والتسامي جيل الرجولة والفحولة والتواضع ... جيل النذير وساتي ومنصور وجمال والسلمابي وعبد الله رجب والنصري ونصر الحاج علي وداود و .....و ...... كان ذلك الجيل ولظروف تاريخية جيل الكبت والحرمان من التعلم لذلك كان شعور الذين اوتوا فرصة التعليم شعوراً حاداً وقوياً بالمسئولية نحو الوطن والمواطن والنفس . فأنكبوا جميعاً علي التحصيل والتجويد والمران علي الدرس والبحث والخطابة فبان ذلك جميعه في إنتاجهم وسلوكهم . كان جيلاً كادحاً جيل كلية غردون يقـول جمال محمد احمد (تعلم النابهون علي زمان التجاني بكدهم وسهرهم الليالي مع الصحف التي تجيء طريقهم والكتب التي يجدون فكان المهندسون والاطباء والشعراء وكان الكتاب والادباء الذين أشاعوا الحس القومي والوطني في البلاد .. التجاني ظاهرة من ظواهر ذلك العهد .. إشارة من الأشارات الي ان العبقرية السودانية تستطيع ان تزدهر وان عزت وسائل الازدهار.. جيل جاءت بعده (أجيال المصيبة) كما قال عبد الله علي ابراهيم .. أجيال موزعة الانتماءات مشتتة الاهتمامات همها الكسب السريع والتسلق العامودي وبعد ذلك التقاعد الاختياري في سن اليأس . كان التجاني عالما وحده ونسيجا نادرا من العلم والمقدرة والاجادة والابداع ... ما تحدث احد عنه او كتب الا تضاءلت حوله العقول والمقدرات وتباعد البون بينه وبين غيره بل بينه وبين عصره ومعاصريه . ما وصفه احدهم الابانت نقائص ما آل اليه العصر وبانت كبوات المثقفين وهفواتهم وتهافتهم ولين عودهم . لم تفت هذه الملاحظة علي ذكاء جعفر محمد علي بخيت حين وصف التجاني قائلاً : (انه من السودانيين القلائل الذين إستطاعوا ان يواصلوا رحلة الثقافة بنفس طويلة إمتد طوال العمر بسرعة كانت تتصاعد في مجتمع كانت نظرية فائض القيمة المتلاشي تدريجيا هي طابع حياة مثقفيه وسمة وجوده الفكري) ولم تفت هذه الظاهرة علي ذكاء عبد الله علي ابراهيم الساطع القاطع .. لم يفت عليه وهو

يكتب في شكر الرجال . الا ان يمدح في مقال اخاذ العظمة الانسانية الاسرة في انبل تجلياتها فيصف التجاني بالكاهن سادن المعرفة والقائم بأمر سقاية طلابها المجهدين المكدودين ويقول : سيدي وسندي وملاذي في هذا المنعطف التاريخي من حياة أمتناالذي إنقرض فيه الرجال وانتشرت فيه الجثث ومحق فيه الرشد وسال الغي والغواية وكبرت كلمة من الأفواه ان يقولوا الا إدعاء ولجاجة .. في هذا الزمان تبدو لي ياسيدي التجاني الماحي وكأنك تنتسب الي جيل من الزهد والفحوله ولاهداية تسمق إثارة بين قمم النخيل وأعالي الطلح قبابا وأضرحة حافلة بالرايات مطرزة بالنذور تتقطر فيها الدعوات المجابة وتمتد منها اليد العاطية والاحظة .

ثم ماذا بعد التجاني :-

أن نذكره ونقتدي به ونقتفي أثره .. وأن نخلد ذكراه باحياء كل الدروب التي إرتاد وهي كثيرة .. وأن نكمل ما لم يستطع أن يكمل في حياته .. وأن نلملم ما تفرق من أعماله التي إنشغل عنها بما هو أهم .. وشيء آخر أن ندعو مع بروفسير النصري الذي يرعي مخطوطات التجاني الماحي الي أن يتجه الأهتمام القومي الآن لفهرسة ووصف هذه المخطوطات ، فمكتبة التجاني ومخطوطاته ليست ملكاً للسودان وحده الان بل للعالم أجمع .. وبإضافة مجموعة المخطوطات تلك صارت مكتبة جامعة الخرطوم من أغني وأهم المكتبات في العالم .. فلنجعل هذه المكتبة قبلة للعلماء والباحثين إكراماً للرجل الذي بذل كل ماله وجهده وعرقه وأفني في جمعها ..

أما عن أعماله الأخري فقد كان إسهامنا المتواضع في تجميع أعمال التجاني المشتتة لتحقيقها وقد ظهرت بحمد الله وعونه وتتبني دار النشر جامعة الخرطوم المجموعة الأولي من أعمال التجاني باللغة الانجليزية في العام السابق ثم مجموعة أعماله العربية التي هي بين أيديكم الآن ، هذا وتعد دار النشر الطبعة الثانية من (مقدمة في تاريخ الطب العربي) والذي نشر في عام ١٩٥٩م ... نرجو أن يظهر هذا الكتاب القيم قريباً .. أخيراً هذا بعض دين التجاني علينا وعلي هذه الأمة التي شرفها ....

د . أحمد الصافي

الخرطوم

١١ فبراير ١٩٨٤م

التجاني وعالم الكتب والمكتبات *

بقلم البروفسير / عبد الرحمن النصري حمزة

لقد كان التجاني رحمه الله موسوعة بشرية متحركة مما يجعل الكتابة عنه من أعسر الأمور وأمثال التجاني يجب أن يكتب عنهم من هم في مرتبته ويشفع لي أن أتناول جانباً من جوانب هذه الموسوعة الانسانية التي مكنتني ظروف المهنة والعمل في عالم الكتب والمكتبات وكان عالم الكتب هو عالم التجاني المفضل الذي عشقه منذ صباه وكان التجاني يسعي لمكتبة الجامعة حيناً ليهدي الكتب النادرة والمخطوطات والخرائط النفيسة في المناسبات المختلفة وحيناً يسعي يطلب المشورة الفنية فيما يتعلق بأمر الكتب والمكتبات وحيناً آخر يسعي بحثاً عن مرجع من المراجع لايجده في مكتبته العامرة وكنا دائماً وأبداً نتعلم منه لأنه كان أيضاً عالماً بيلوجرافيا كبعض أسلافه العرب الذين عشقهم أمثال ابن النديم صاحب الفهرست وحاجي خليفة صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون هؤلاء الذين وضعوا أسس علم البيلوجرافيا قبل أكثر من ألف سنه وسبقوا في ذلك جميع الأمم وقد كان التجاني مثلهم بل كان هو نفسه فهرساً وكان أيضاً كعلماء الاغريق الذين عاشوا في الاسكندرية كما عاش هو أيضاً أخيراً لعدة سنوات أمثال بطليموس واراتوستنيت أولئك العلماء الذين أثروا بوجودهم وزينوا مكتبة أسكندرية التي كانت منارة العلم والحضارة وكان التجاني وهو في الاسكندرية يسبح بخياله عبر القرون لتلك الأيام الخالدة في تاريخ الحضارة البشرية ويذكر أولئك العلماء وكتبهم ومكتباتهم .

والتجاني لم يكن هاوياً من هواة جمع الكتب والمخطوطات والطوابع والوثائق فحسب بل كان قارئاً في المقام الأول وهو من القلائل الذين قرأوا ما يملكون من الكتب والمخطوطات وكان لا يكتفي بما طبع ونشر من الكتب لأننا كما نعلم فان تراثاً عربياً أصيلاً ضخماً لا زال في شكله المخطوط لم يجد طريقة للمطابع ولابد للعالم المدقق أن يبحث في فهارس المخطوطات منقباً وباحثاً عن المراجع المختلفة وهذا ما فعله التجاني حينما جمع المخطوطات لتكون عوناً له في دراساته وجمع من الكتاب المطبوع طبعاته المتعددة شأن الباحث المدقق ودراسات التجاني كما نعلم جميعاً متشعبة شملت الطب حتي أصبح عالماً نفسياً عظيماً والتاريخ فتحسبه مؤرخاً والأدب والفلسفة فتحسبه أديباً أو فيلسوفاً وذلك لأنه

---

* مجلة الخرطوم ـ أبريل ١٩٧٠م

أمن بوحدة الفكر والعلم ولم يكن يعترف بالتقاسيم والحدود غير الطبيعية التي وضعت لكل فرع من فروع المعرفة وجعلته حكراً لفئة تسمي نفسها المتخصصين والتجاني كان يقول هذا ويؤمن به وكان يؤمن بأن التاريخ أب كل العلوم وهذا ما دفعه لدراسة التاريخ عامة ثم تاريخ الطب واستهواه فكانت ثمرة ذلك كتابه الفريد مقدمة في تاريخ الطب العربي كما كان يؤمن بمكانة اللغة وأنها أم العلوم والحضارات وأن لها اسراراً لابد من حلها وقد بدأ أخيراً في دراساته في اللغة يستكشف أسرارها وأثارها ودورها في تاريخ الحضارة الانسانية والمجتمع الانساني ، والتجاني يقرأ في موضوع من الموضوعات يوفيه حقه من البحث والتدقيق وربطه بالموضوعات المشابهة - جاء مرة يطلب كتباً عن الزلازل والبراكين ليبحث فيها عن رسم « للسموجراف » وهو جهاز لقياس الهزات الأرضية وكان يحمل معه بعض الكتب الطبية وبها بعض الرسومات وقال أنه أراد المقارنة بين بعض أجهزة قياس الهزات العقلية التي تصيب الأنسان وأجهزة قياس الهزات الارضية وقال ان هنالك تشابهاً عظيماً بينهما - بين الجهازين - وعندما بدأ غزو الانسان للفضاء مثلاً لم يكتف التجاني بقرأءة الكتب المطبوعة والحديثة فقط عن الفضاء وعلم الفلك بل رجع لمكتبته العامرة التي تحوي مجموعة فريدة من المخطوطات عن المذنبات والتي كتبها العرب قبل مئات السنين ولابد ان بعض زوار دار التجاني قد استمعوا بعض ما قرأه عليهم منها ، وحكي التجاني أنه ذات مرة أصيب بنوع من العدوي مما سبب له بعض الحساسية وعجب من أمرها حتي تبين له أن تلك العدوي صادرة من بعض الكتب الأثرية التي كان يمتلكها فساقه ذلك للبحث فيما سماه « أمراض الكتب » كما قاده كما قال للربط بين مثل هذه الاشياء وبين لعنة الفراعنة التي يقال انها تصيب كل من ينبش مومياهم أو يحفر قبورهم وهل تلك اللعنة هي أمراض فتكت بالفراعنة فتنتقل عدواها لتفتك بمن يتعرض لها وهكذا كان عقله متفتحاً وإطلاعه واسعاً يربط بين الحدث والآخر مفسراً ومعللاً مخترقاً بذلك حدود العلوم المصطنعة وعبر قرون التاريخ .

وقد كان التجاني أيضاً هاوياً جمع المخطوطات النفيسة والكتب النادرة ككتب المهد أي الكتب التي صدرت عند بداية عهد الطباعة كما كان هاوياً لجمع الطوابع والخرائط والتحف التاريخية والخطابات الهامة وكانت تهزه شتي المناسبات فلا يبخل بأهداء بعض هذه الأشياء ، وله مجموعة نادرة من المصاحف أهدي منها مصحفاً مخوطاً لمكتبة الجامعة وهو مصحف مكتوب علي الرق الابيض بخط نسخي جميل يرجع تاريخه الي حوالي اربعمائة سنه كما أهدي لفافة من الرق الابيض بالعبري تحوي أجزاء من المزامير نسخت

في الجزء الاخير من " القرون الوسطي " وأهدي بعض الكتب التي طبعت في أوائل عهد الطباعة كما أهدي مجموعة من الخرائط لافريقيا وحوض النيل طبعت في أواخر القرن السابع عشر وقبل حركة الكشف الجغرافي الافريقي وعندما كانت أنهار افريقيا والنيل بالذات ترسم من الخيال ، مكتبة التجاني تحوي مثل هذه الاشياء الفريدة النادرة ولعل من المخطوطات النادرة حقاً والتي كان التجاني يعتز بامتلاكها ذلك المصحف الجميل الذي كان في يوم من الايام ملكاً لجوهر الصقلي ولم يكن يعرف التجاني ملكية جوهر لذلك المصحف الا بعد إن إستعان بالمتحف البريطاني فوجد إسم جوهر الصقلي مضغوطاً علي الورق ويملك التيجاني مجموعة نادرة من الكتب والوثائق عن تاريخ السودان ولعل أهم ما في هذه المجموعة جزء كبير من خطابات غردون كما أنه يملك مجموعة نادرة من طوابع السودان وكان التيجاني في تجواله وبحكم معرفته بباعة الكتب في معظم البلدان الكبيرة يجمع أي شيء عن السودان وكان يعجب كثيراً هو نفسه كيف انه استطاع ان يقتني مجموعة التصميمات الهندسية لوابور الماء والكهرباء ببري وكان رحمه الله يبحث عن الجهة التي يمكن ان تستفيد من تلك الرسومات ليقوم باهداء المجموعة لها ، وأنا أذكر ان أذكر بعض هذا عن مكتبة التجاني أعجز عن وصفها والكتابة عنها لم تهيء لي الظروف الا التعرف علي بعض ما فيها ولا شك ان هنالك من هم أعلم مني بها للكشف عن محتويات هذا الكنز العظيم .

كانت تراود التجاني افكار وأحلام متعددة كان يتمني أن تري النور وكان كثيراً ما يفكر شخصياً في تحقيق ذلك فكان يري تخلف البلاد في مجال النشر والطباعة وكان يتمني أن يري في بلاده داراً كبري للنشر ودوراً أخري كبري لبيع الكتب وان تنشط حركة الثقافة والمكتبات في السودان ليساعد ذلك كله في بناء السودان الحديث وكان متفائلاً ومؤمناً بوطنه وعزيمة شبابه وقد كانت له أمنية أخري وهي ان يضع فهرساً كاملاً لمكتبته وقد كان رحمه الله أدري الناس بعظم هذه المسئولية وكان يعلم أنه لا يستطيع أن يجد من وقته ما يصرفه علي مثل هذا العمل .. ومكتبة التجاني من المكتبات التي تحتاج فهرستها الي التفرغ الكامل وإلي ثقافة واسعة لفهرسة مخطوطاته ووثائقها النادر منها .

وفي الختام لابد أنْ نسجل ان المغفور له التجاني قد أدي ما أدي من خدمات لهذه الامة وأن من أجل وأعظم خدماته انه جمع من مشارق الارض ومغاربها مجموعة نادرة من الكتب والمخطوطات وغيرها جعل منها مكتبة لا نظير لها في بلادنا وإنها إحدي أفضال التيجاني علينا أن نترك في بلادنا كنزاً ثميناً كهذا نرجو أن يرعاه ذووه كما رعاه صاحبه وأن ينتفعوا به وينفعوا غيرهم به كما فعل صاحبه .

العلامة التجاني الماحي ومكتبته

بقلم : أحمد يسن نابري *

مقدمة :

آلت مكتبة المرحوم الدكتور التجاني الماحي الي جامعة الخرطوم في عام ١٩٧٢م ، قد جمعها صاحبها من مشارق الارض ومغاربها ، وبذل في جمعها الجهد والمال الكثير ، وتوجد بالمكتبة مجموعة فذة من الكتب قل أن توجد لدي فرد واحد علي نطاق القطر .

وأود أن أبين للقاريء الكريم بعض كنوزها والكتب القيمة النادرة ، التي حوتها رغم ان الكتابة عن مكتبة كهذه والتنقيب في محتوياتها ليس بالامر السهل ، إذ أنه يحتاج الي علماء وباحثين ينكبون علي ما فيها من كتب قيمة نادرة ، كما تحتاج الي جهد ووقت كبير ، ولكن استمحت لنفسي العذر لأني واكبت مكتبة التجاني منذ وصولها الي مكتبة الجامعة ، إذ كان علي عدها وفرزها وترقيمها بمساعدة زملائي في القسم ، وقبل ان اخوض في بحر مكتبة التجاني لابد من سرد شيء عن صاحبها .

المرحوم الدكتور التجاني الماحي : ـ

ولد المرحوم التجاني الماحي بمدينة الكوة في يوم الجمعة ٧ ربيع الثاني ١٣٢٩هـ الموافق ٧ ابريل ١٩١١م (١) وبعد تخرجه من كلية كتشنر الطبية في عام ١٩٣٥م عمل بالمصلحة الطبية السودانية حتي عام ١٩٤٧م حين أرسل في بعثة دراسية الي معهد الطب العقلي والنفسي بجامعة لندن . وعاد بعد إتمام دراسته بتفوق في عام ١٩٤٩م حيث أنشأ عيادة الصحة العقلية التابعة للمصلحة الطبية السودانية . وكان المرحوم ايضا استاذا بشعبة الامراض العقلية بكلية الطب بجامعة الخرطوم بناء علي دعوة من وزارة الصحة السودانية ، كما كان رئيساً للجمعية الطبية السودانية .

أتقن التجاني عدة لغات ، فقد كان حجة في اللغة الهيروغلفية كما كان يجيد الانجليزية والفرنسية واللاتينية والفارسية والهوسا اجادة تامة بالاضافة الي اللغة العربية بالطبع .

عين التجاني مستشاراً اقليمياً في الصحة العقلية لاقليم شرق البحر الابيض المتوسط بالاسكندرية في الفترة ١٩٥٩م ـ ١٩٦٤م وقد كان عضوا في لجنة الصحة العقلية

---

* مجلة الدراسات السودانية ـ العدد الاول ـ المجلد السادس فبراير ١٩٨١م .



د. التجاني الماحي بجوار الرئيس جمال عبد الناصر في رفع العلم بمدينة بورسعيد

وعضوا في اللجنة التنفيذية للاتحاد العالمي للصحة العقلية ، كما كان عضوا مساعدا للمجلس الأعلي للجنة المساعدات الفنية ، هذا وقد اشترك د. التجاني في العديد من المؤتمرات العالمية ، ومنها علي سبيل المثال المؤتمر الاول عن التعليم والطب العقلي الذي عقد في لاغوس وكان رئيساً له ومؤتمر كيفية التطبيق والافادة من العلوم والتكنولوجيا في البلاد النامية الذي عقد تحت اشراف منظمة الامم المتحدة بجنيف ، حضر ايضا مؤتمر افريقيا واثر التغيير الاجتماعي علي الصحة العقلية في نيويورك ، وقد قدم العديد من المحاضرات في الجامعات والمعاهد الامريكية اثناء الفترة التي قضاها هناك .

إشتهر المرحوم عالميا ببحوثه الاصلية في مجال الطب العقلي وعلاقة الامراض والعلاج بالبيئة المحلية . وسالحق قائمة ببحوثه في آخر هذا المقال ، قابل د. التجاني العديد من الشخصيات العالمية كالملكة اليزابث وجمال عبد الناصر وسوكارنو . منحته جامعة الخرطوم الدكتوراة الفخرية في القانون كما أهدته جامعة كولمبيا كرسي الاستاذية وهو موجود بمكتبته . كان عضوا بلجنة مكتبة جامعة الخرطوم وذلك لما عرف به من شغف بالكتاب والمكتبات ، وتعد مكتبته من أقيم المكتبات التي يمتلكها فرد علي نطاق القطر ، وقد كان مولعا بجمع الطوابع والموسيقي ، وهو يحتفظ ببعض المؤلفات عنها في مكتبته العامرة

كان التجاني عضوا بمجلس السيادة السوداني عقب ثورة أكتوبر ١٩٦٤م ورئيسا مناوبا له . وفوق هذا وذاك فقد كان رحمه الله دينا إذ أدي فريضة الحج في عام ١٩٦١م ، هذا وقد توفي الي رحمة مولاه في يوم ٨ يناير ١٩٧٠م .

مكتبة التجاني الماحي

اول مايبصره المرء عند دخوله المكتبة هو تمثال التجاني الذي اعده الفنان عبد الرازق عبد الغفار وهو ممسك بالكتاب ، الكتاب الذي احبه والذي كان في يده معظم الوقت ، وقد خصصت لمكتبته قاعة لقراء ثم مخزنا لكتب ، وفي اقصي المكتبة وضعت المخطوطات وبعض الكتب النادرة في مكان احكم اغلاقه .

تحتوي مكتبة التجاني علي نحو تسعة عشر ألف مجلد من كتب ومخطوطات وخرائط وخلافها ، ونفصلها كما يلي :-

المخطوطات ٢٦٥٠

كتب الطب ١٠٠٠ (منها ٢٧٠ باللغة العربية)

كتب علم النفس ١٠٠٠ (منها ١٠٠ باللغة العربية)

كتب عن السودان	١٣٠٠
كتب عربية	٢٥٠٠
كتب التاريخ القديم	٥٠٠
كتب التاريخ الحديث	٨٥٠
خرائط	٧٦٠

وبقية الكتب شملت كل علوم المعرفة الاخري تقريبا . كتاريخ العلم والفلسفة والرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الفلك ، كتب الزراعة وعلم النبات وعلم الحيوان والتربية والعلوم الاجتماعية والعلوم السياسية والاقتصادية والفنون التطبيقية والموسيقي والآداب والموسوعات والقواميس وكتبا بالعبرية وغيرها ، وبذلك يتضح مدي ضخامة وشمول هذه المكتبة . ولنصف بعض كتب هذه المكتبة وابتديء بالكتب عن السودان .

مجموعة كتب السودان

تعد هذه المجموعة من أكمل المجموعات عن السودان ، اذ توجد بها كل الكتب التي كتبت عن السودان تقريبا باللغات العربية والانجليزية وغيرها . ومن بينها كتاب «المهندسون البريطانيون » (٢) الذي نفذ من السوق منذ أمد بعيد ، وهناك نسختان من مجلد فيه خطابات غردون بخط يده (٣) وقد صدر هذا الكتاب في عام ١٨٨٥م .

وهناك ايضا احدي عشرة نسخة من كتاب سلاطين السيف والنار ، منها نسختين باللغة الايطالية طبعت عام ١٨٩٨م وأربعة نسخ من طبعة انجليزية صدرت عام ١٨٩٨م ايضا والطبعة الثانية لها وتاريخها ١٩٢٢م ، كما توجد نسخة باللغة الفرنسية طبعت بالقاهرة في عام ١٨٩٨م ، ونسخة طبعت في ليبزج عام ١٨٩٦م باللغة الالمانية . هذا وقد حوت مكتبة التجاني حوالي ثلاثين كتابا مختلفا عن غردون صيغ احدها شعرا وصدر في لندن عام ١٨٨٥م . توجد نسختان من كتاب نعوم شقير تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ويعد هذا الكتاب من المراجع التي يلجأ اليها كثير من المؤلفين والمؤرخين رغم ما يؤخذ عليه . ايضا توجد مجموعة كاملة من السودان في رسائل ومدونات منذ عام ١٩١٨م وقائع مجلس الحاكم العام منذ ١٩١٠م حتي ١٩٢٥م (٤) ويوجد ايضا كتاب عن بعثة لسنار ودنقلا صدر عام ١٨٢٢م ، ولعلها من النسخ القلائل في السودان اذ توجد منه نسخة واحدة بمكتبة الجامعة (٥) وتوجد كذلك كتب الرحالة الذين جابوا افريقيا مارين بالسودان ايام عهد التكالب علي المستعمرات امثال ستانلي وبركهارت وجونستون وبروس وغيرهم ، ايضا كتاب

تشرشل حرب النهر وهناك كتاب الزراعة في السودان الذي طبع عام ١٩٥٢م والذي نفذ كلية من السوق (٦) وهو بمثابة موسوعة عن الزراعة في السودان ، اذ كتب فيه عدة مؤلفين كل في مجال عمله وتخصصه ، وقد احتوي علي واحد وثلاثين بابا منها خلفية تاريخ الزراعة في السودان - نباتات السودان - مناخ السودان - جيوليوجية السودان - تربة السودان - المحاصيل ، الاعشاب ، الجراد ، والري .. وغيرها من المواضيع .

هناك اربع مجلدات حوت صورا قديمة عن السودان عند زيارة الرئيس الامريكي روزفلت للسودان عام ١٩١٠م ، وفي هذه المجلدات بالاضافة الي الصور الفوتوغرافية في عدة مواضيع تتابع رحلته داخل السودان قصاصات من جرائد امريكية ووضعت في هذه الالبوم الفريد وهناك طبعة خاص نادرة من ببليوجرافية السودان لابراهيم حلمي تحمل توقيعه ، وهي مجلدة تجليدا فاخرا مزركشا مذهبا ومبطنا .

يوجد كتاب يحوي مطبوعات المملكة البريطانية فيما يخص مصر والسودان (٧) به مكاتبات خاصة عن العمليات الحربية البريطانية في السودان والتي قدمت للبرلمان البريطاني عام ١٨٨٥م ، كما يوجد مطبوع يوميات عباس بك الذي قتل مع هكس عام ١٨٨٣م وقد طبعته دار المعارف بمصر ، ولهذه المذكرات اهمية خاصة اذ حوت حوادث الرحلة يوما بيوم سجلها صاحبها ساعة بساعة عما جري لهم في الطريق .. شح المياه وحرب الاستنذاف التي شنتها عليهم قوات المهدي ، وتنتهي مذكراته في أول نوفمبر ١٨٨٣م ، وقد وجدت مذكرات عباس بك في جيب احد جنود المهدية البواسل حين وجد مستشهداً في معركة امدرمان عام ١٨٩٨م .

كتب الفلسفة والدين والتفاسير

اقتني المرحوم التجاني عددا من كتب التفسير الشهيرة - شأن الكثير من الباحثين فهناك تفسير الرازي وتفسير الدر المنثور للسيوطي والكشاف للزمخشري ، وتفسير الثعالبي وتفسير ابن الخطيب وتفسير ابن تيمية وعدة تفاسير اخري .

وتوجد كتب السيرة كسيرة ابن هشام والحديث كمسند الامام ابن حنبل كما توجد كتب سيرة بلغات غير العربية ، وقد حوت المكتبة ايضا عددا من كتب الفلسفة الاسلامية ككتب ابن رشد واحياء علوم الدين للغزالي .

توجد عدة طبعات من التوراة يرجع تاريخ واحدة منها الي عام ١٥٤٩م كما توجد عدة نسخ اخري من التوراة باللغة العربية يرجع تاريخ بعضها الي القرن التاسـع عشر .

اللغة العربية والشعر : ـ

توجد في مكتبة التجاني الماحي طبعتان من كتاب الاغاني ومختصر الاغاني كما توجد عدة طبعات من كتاب الف ليلة وليلة بالانجليزية . ولم تخل المكتبة من دواوين الشعر كديوان المتنبيء وعدة شروح له ، كشرح العكبري وشرح العلامة الواحدي وشرح البرقوقي وشرح سليم ابراهيم صادر وشرح ناصف اليازجي وشرح لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر احتفالا بعيد ميلاد الشاعر الالف . وتوجد نسخ من شرح اخوان الصفاء لابراهيم القاضي فتح به حاشية من تفسير العكبري والواحدي وتوجد ايضا رباعيات الخيام وكتاب سقط الزند وشروحه .

كتب العلوم

بالمكتبة عدد كبير من كتب تاريخ العلم من بينها كتاب تاريخ العلم لجورج سارتون .. تطرق صاحبه الي مصر وبلاد مابين النهرين واليونان وهناك ترجمة لكتاب العلم عند العرب تأليف ألدو ميللي .

حوت مكتبة التجاني ايضا كتب الفيزياء والكيمياء وجزءا كبيرا من كتب صور الكواكب الثمانية والاربعين لابي الحسن الرازي ، وتوجد ايضا كتب علم النبات والزراعة وعلم الحيوان وغيرها .

كتب الطب

لقد كان التجاني طبيبا قبل ان يكون عالما نفسانيا ، لذ نجد ان ما احتوته مكتبته من كتب الطب بلغت حوالي الالف كتاب منها ٢٧٠ كتابا باللغة العربية ، ضمنها كتاب القانون في الطب لابن سينا والذي يرجع تاريخ طبعه الي عام ١٥٩٣م ، وهو كتاب ضخم به ١٠٣٠ صفحة (ثلاثون والف) بالحروف الدقيقة ، ويشمل داخله خمسة كتب لهذا المؤلف وهي في الطب ـ الادوية المفردة ـ الادوية المركبة ـ الامراض ـ وكتاب النجاة مختصر السعادة ، كما توجد ايضا نسخة لاتينية من هذا الكتاب طبعت عام ١٥٢٢م .

ومن بين كتب الطب العربية كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء للكاتب المشهور بابن أبي اصيبعة وقد نشر عام ١٨٨٢م وكتاب المعتمد في الأدوية المفردة ليوسف بن رسلو الغساني التركماني ، وهناك كتاب كامل الصناعة الطبية تأليف العباسي المجوسي ، وقد ألفه صاحبه للمك ، عضد الدولة بن بويه ، وكان هذا الكتاب يسمي الملكي وقد ذكر في كتاب «مجمع المطبوعات » انه «كتاب القانون لابن سينا فمالوا اليه وتركوا الملكي بعض الترك ،

والملكي في العمل أبلغ والقانون في العلم أثبت ... وقد صدر في بولاق عام ١٢٩٤هـ » (٨). ويوجد ايضا كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزيه المتوفي عام ٧٥١هـ طبعة عيسي الحلبي وهو غني عن التعريف وقد ذكره التجاني في مؤلفه «مقدمة تاريخ الطب العربي » .

تلك أمثلة أسوقها ولكن ماحوته مكتبة التجاني يفوق ذلك بكثير . فهل يغفل التجاني عن كتاب الحاوي في الطب للرازي او عن عمدة المحتاج في علمي الادوية والعلاج للرشيدي او الكتب التي تصف علم الطب المصري القديم وقد ذكرها في مؤلفه السابق ذكره ، لازال هناك الكثير الجدير بالذكر ولكن أقف هنا مع العلم بأني لم اذكر شيئا عن الكتب بغير العربية في هذا القسم .

كتب علم النفس

وهو العلم الذي ذاع فيه صيت المرحوم حتي بلغ الآفاق ، وقبل أن اذكر بداية شغف التجاني بهذا العلم .

فقد وجدت مذكرة بخط المرحوم علي غلاف كتاب في علم النفس (٩) نصها كما يلي «هذا الكتاب أهداه لي الصديق العزيز اسماعيل افندي الازهري يوم ١٩٣٥/٦/٦م وهو كتابه الذي قرأه في علم النفس بالجامعة الامريكية ، وهو أول كتاب في علم النفس اقرؤه » .

وفي مذكرة اخري علي غلاف نفس الكتاب كتب المعلومات السابقة مع الاضافة التالية «أهداه لي عام ١٩٣٥م في اول سنة تخرجت فيها ، وكان له أثره في إثارة اهتمامي بالطب النفسي الذي تخصصت فيه فيما بعد وأصبح مجالي الذي كرست له حياتي كطبيب » وقد ظهر توقيع المرحوم ازهري بالانجليزية بتاريخ ١٩٢٧/١٠/٢٧م . وايضا توقيعه بالاحرف العربية بتاريخ ١٩٢٨/٤/٢٣م.

بلغت كتب هذا القسم أكثر من الف كتاب والعربية منها جلها لمؤلفين من هذا القرن الا مطبوع تعطير الانام في تعبير المنام لابن سيرين والذي خطه صاحبه عام ١٠٩٦هـ . وتوجد منه عدة طبعات ، كما يوجد كتاب الفراسة للرازي . وأسوق ايضا بعض الأمثلة للكتب الحديثة في هذا المضمار . كرسائل الأرواح لفؤاد صروف وكتاب الطب النفسي في الحياة لعامة للدكتور صبري جرجس وبعض الكتب المترجمة

ولابد من الاعتراف بقصوري عن وصف جواهر الكتب بغير العربية في هذا القسم الهام الذي نبغ فيه المرحوم .ولكن هل يغفل التجاني عن اقتناء مجموعتي فرويد وجونق ؟

كتب اخري

حوت مكتبة التجاني عدداً من الكتب في التربية وعلم الاجتماع والجغرافيا والرحلات ، ومن بينها كتب الرحالة الاول الذين خاطروا بحياتهم وجابوا المجهول في سبيل اكتشاف المجهول امثال هكلويت البريطاني وما ركبولو وكابتن سكوت وغيرهم .

كتب التاريخ

للتاريخ القديم هوية خاصة في نفس المرحوم التجاني ويظهر ذلك في عدد الكتب التي حواها هذا القسم من كتب التاريخ القديم إذ يزيد عن الخمسمائة مجلداً منها اكثر من ٢٥٠ مجلد عن تاريخ مصر الفرعونية ، نجد منها ١٢٠ مجلداً من تاليف بدج وايضا مؤلفات ماسبرو ومؤلفات فلندر بتري الذي عهدناه مديراً لمصلحة الاثار السودانية في عهد الاستعمار ، ولا غرابة فقد بلغ شغفه بمصر الفرعونية ان أجاد اللغة الهروغلفية كما أسلفت

وفي التاريخ الاوروبي الحديث والحربين العظيمتين اقتني حوالي ٨٥٠ مجلداً منها جزء كبير عن تاريخ بريطانيا ، وفي مجال التاريخ الافريقي وتاريخ الشرق الاقصي يوجد عدد مماثل لهذا ، كما توجد توجد كتب عن الامريكتين .

توجد ايضا كتب العلوم السياسية والقانون والاقتصاد والفن والموسيقي ، وقد حوت المكتبة ايضا كتبا عن الاداب خاصة الفرنسي والانجليزي ، وبمكتبة التجاني عدد كبير من الكتب العبرية .

المراجع

من الطبيعي ان مكتبة كهذه لا يمكن الافادة منها الا بوجود مراجع ، فهناك عدة موسوعات ،أسرد منها الموسوعة البريطانية والموسوعة الاسلامية الطبعتين الاولي والثانية والتي مازالت طباعتها جارية ، موسوعة شامبرز ، الموسوعة البريطانية الطبية ، الموسوعة الدينية وكثير غيرها (١٠)

وبالاضافة الي هذه الموسوعات ـ بالطبع ـ يوجد العديد من القواميس وبعدة لغات ، توجد قواميس المانية وفارسية وباللغة الهيروغلوفية وقاموس ضخم عن أسماء النبات (١١) وعدة قواميس أخري من بينها قاموس عربي لاتيني (١٢) يرجع تاريخ طبعه الي ١٦٥٣ ، وقد استعان مؤلفه في تاليفه ـ كما ذكر ـ بالقرآن الكريم وبأمهات القواميس العربية مثل صحاح اللغة للجوهري والقاموس المحيط للفيروزابادي وكنز اللغة لمحمد بن معروف ، مجمل اللغة للرازي ، أساس البلاغة للزمخشري ، وهذا القاموس ربما يكون من النسخ القلائل

الموجودة الآن في المكتبات القومية العملاقة في البلاد المتقدمة .

بمكتبة التجاني الفهرس لابن النديم - اول ببليوجرافية عربية - وكتاب بروكلمان وملحقاته ومجموعتان من كتاب تاج العروس للزبيدي ، جلدت احداها تجليداً فاخراً ، ويوجد كتاب المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ، كما حوت المكتبة عدة فهارس لبعض المكتبات العريقة كفهرس المطبوعات العربية بالمتحف البريطاني (١٣) ولا يخفي سبب ذلك اذ يمكنه الرجوع الي تلك المكتبات لمراجعة ما ليس في مكتبته ومن هذه الفهارس فهرس المخطوطات العربية المصورة بجامعة الدول العربية وغيرها (١٤) .

ولم ينس التجاني ان يتحصل علي الكتب التي تعرفه بالكيفية التي يحافظ بها علي هذا التراث الذي امتلكه ، إذ كان بين كتبه كتابان أحدهما عن العناية بالكتب وتصليحها والآخر عن تاريخ الكتاب وانتاجه (١٥) .

خطابات غردون ولفنجستون وقصاصات جرائد

تضمنت مكتبة التجاني سبعة « اليومات » حوت عدة خطابات لغردون ولفنجستون وصامويل بيكر وونجت وغيرهم من بينها آخر ما كتبه في حياته في امدرمان يوم ١٤ ديسمبر ١٨٨٤ (١٦) قال فيه انه كان سعيداً بأنه فعل الواجب المنوط به ، وصورت هذه القصاصة في صفحة ٢٩٠ من كتاب الجنرال غردون الي اخته (١٧) .

وقد حوت المكتبة قصاصات جرائد منها قصاصة من عدد جريدة « التايمز » الصادر يوم ٦ فبراير ١٨٨٥ نشرت فيها برقية عن سقوط الخرطوم في ايدي المهدي وعدم معرفة مصير غردون ، وقد أرسل البرقية اللورد ولسلي الي السير أفلنج بيرنق (١٨) ومن بين الخطابات التي احتفظ بها المرحوم خطابات الرحالة ديفيد ليفنيجستون وأيضاً خطابات وزارة الخارجية البريطانية لابنته تؤكد لها وفاة والدها وعن اصدار التوجيهات لنقل رفاته الي بريطانيا .

احتفظ الدكتور التجاني الماحي أيضاً ببعض أوراق البردي « نبات أم صوفه » وهي أقدم المواد التي استعملت في الكتابة عليها قبل الورق ، وقد كتبت عليها كتابات عربية .

الدوريات

عرف الدكتور التجاني الماحي قيمة الدوريات العلمية وما تحويه من جديد من بحوث وأخبار علمية ، لذا نجد دوريات في مجال تخصصه - علم النفس - ودوريات الطب والجغرافيا ، كما نجد الدوريات التي تبحث علوم مصر القديمة والاثار (١٩) .

الخرائط :

ان عدد الخرائط بالمكتبة بلغ ٧٦٠ كما ذكرت ، وكلها أثرية إلا القليل النادر منها ، وأبين أدناه ملاحظاتي عن بعض منها :

- خريطة عن الحبشة والنوبة صدرت عام ١٨١٤ ملونه .

- خريطة الملاحة في شواطيء أفريقيا الغربية صدرت عام ١٧٦٥ بباريس .

- خريطة تبين النصف الشمالي من أفريقيا ، وان تاريخ البائع الذي وضعه عليها هو ١٥٢٥ ، وهي ملونة أيضاً ، وقد كتبت كلمة أثيوبيا كبيرة من حدود مصر حتي أعلي نهر عطبرة عند حدود الحبشة ، وقد كتب علي نهر عطبرة « نهر تاكازي » (٢٠) كما بانت الحلفاية والعيلفون وقد كتبت « حيلفون » ولم تظهر مدينة الخرطوم ولا أمدرمان ، وبالطبع لا يخفي علي القاريء حداثتهما بالنسبة لتاريخ صدور الخريطة ، وقد ظهرت بلدة قري ، كما كتب علي أرض البطانة علي إنها « جزيرة مروي » ، وضح النيل الازرق من منبعه الا أن بحيرة تانا كتب عليها بحيرة تزانا أو دينبا (٢١) ، ولم يكن منبع النيل الابيض معروفاً آنذاك ، لذا ترك في أواسط غرب أفريقيا من غير منبع ، وهو نفسه كتب عليه النهر الابيض (٢٢) كما كتب علي البحر الاحمر « الخليج العربي » .

والطريف ان امتداد الصحراء الذي يتاخم حدود السودان الغربية كتب عليه بخط واضح « أماكن غير معروفة » (٢٣) .

ظهرت أيضاً مدينة الكوة وقد كتب عليها « اليس » ويمكن الرجوع الي نسخة الخريطة المرفقة مع هذا البحث وقد عربت الاسماء .

المخطوطات :

بلغ عدد مخطوطات مكتبة التجاني حوالي ٢٦٥٠ مخطوطاً في مختلف العلوم ، ورغم ان الوقت لم يتسع بعد لفهرسة وتصنيف هذه المجموعة الا اني وجدت بينها مصاحف وتفاسير وكتب سيرة وأحاديث شريفة ومدائح ، ولفت نظري من بين هذه المخطوطات ما يلي :

- كتاب امداد الفتاح شرح نور الايضاح ونجاة الارواح للشيخ الامام العلامة الشرنبلابي الحنفي ، وهو في الفقه وقد خط عام ١٠٤٦هـ .

- كتاب المناهج الكافية الموضوع لشرح الشافية في التصريف ، تاليف العالم الفهامة جمال الدين بن عمر بن الحاجب ، وتاريخه ١٠٦٧ هـ وهو في النحو .

- كتاب شـــرح المفتاح للسيد الشريف قدس سره اللطيف ، معان وبيان وتاريخه ٨٧٥ هـ .

بعض الكتب النادرة :

أتي ذكر بعض الكتب النادرة ضمن الابواب السابقة ، وأود ذكر أمثلة أخري هنا رغم كثرة الكتب النادرة بمكتبة التجاني وأن حصرها يحتاج لمجال أوسع .

- كتاب في تاريخ تركيا من أقدم العصور حتي قيام الدولة العثمانية ، تاليف رتشارد نولس ، وقد نشر في لندن ١٦٠٣ ، ويلاحظ اختلاف تهجئة بعض الكلمات عما هو عليه الآن ، والكتاب رغم تاريخه القديم فهو يحوي صوراً ملونه بالوان جميلة للحكام الذين أتي ذكرهم في الكتاب (٢٤) .

سفريات السير جون شاردن في بلاد فارس والهند الشرقية ، . طبع في لندن عام ١٦٨٦م (٢٥) وتكمن أهمية كتب الاسفار هذه في ان هؤلاء المكتشفين جابوا الارض في أزمان كانت أممهم تجهل الكثير عن الأمم الأخري ، ومن ثم كان العديد من هؤلاء الرجال الذين سعوا ليكتشفوا المجهول وليخلدوا أسمائهم في سجل التاريخ ، وربما هم الذين مهدوا لأممهم استعمار بعض البلاد التي سافروا اليها ، وقد حوي الكتاب خرطاً لبعض المدن منها كاشان ، وقد كتبت بالعربية ، وهي مدينة مسورة بسور عال تتخلله القلاع - بعضها مهدم - ربما من الحروب ، كما توجد بعض المباني الخربة خارج أسوار المدينة ، وهناك جامع ترتفع مئذنته عالية ، بني قصر الحاكم داخل سور منفصل عن المدينة ، ومبانيه جميلة تتخللها حدائق غناء .

قيمة مكتبة التجاني :

بعد سرد بعض نفائس مكتبة التجاني والكتب النادرة فيها لابد من التفكير في قيمتها المادية ، وفي جملة واحدة أقول إنها لا تقدر بثمن ، وذلك لما تحويه من كتب نادرة طبعت في أوائل عهد الطباعة ، ولما حوته من خرائط لم ترسم بالدقة التي نعهدها الآن وحين كانت معظم أجزاء إفريقيا مجهولة لم تمتد اليها يد الحضارة والمخطوطات النادرة التي قد يكون من بينها الثمين الذي لم يحقق ولم يطبع حتي الآن ، كل هذه كنوز لا تقدر بثمن من الناحية التاريخية ، ناهيك عن القيمة المادية ، كما وإن كثيراً من الكتب المطبوعة قد نفد كلية من السوق .

وأود ان اقارن قيمة بعض المطبوعات النادرة اليوم والمعروضة للبيع وبين ما دفعه التجاني لنفس الطبعات مع العلم بأن بين كتب الدكتور التجاني ما هو أقدم من المعـروض للبيع .

من بين المعروضات للبيع حين إعداد هذا البحث ، خطاب لفردون (٢٦) وهو من

صفحة واحدة ، عرض بمبلغ ٢٥ جنيهاً . وقد ذكرت أن المرحوم احتفظ بعدد كبير منها ، يوجد أيضاً كتاب بيكر « بحيرة تنيانزا» (٢٧) صدر عام ١٨٦٦ في مجلدين ، والثمن الموضح عليهما هو ١٤٠ قرشاً بينما النسخة المعروضة الآن قيمتها ١٣٠ جنيهاً استرلينياً ، هناك كتاب لداروين صدر عام ١٨٧٢ (٢٨) والسعر المكتوب عليه هو ٣ شلنات ، بينما النسخة المعروضة للبيع الآن قيمتها مائة جنيه استرليني ، ويوجد كتاب عن أسفار في داخل افريقيا تاليف بارك طبع عام ١٧٩٩ (٢٩) السعر الموضح علي نسخة التجاني هو ٨ جنيهات بينما النسخة المعروضة للبيع قيمتها ١٥٠ جنيهاً ، بمكتبة التجاني نسخة من التوراة تاريخها ١٥٤٩ والسعر الموضوع عليها هو ٤٥ جنيهاً بينما توجد نسخة معروضة قيمتها ٣٠٠جنيهاً الا ان تاريخها هو ١٥٢٠ ، وهو فارق زمني بسيط من تاريخ نسخة مكتبة التجاني .

ويجدر بي أن أذكر إن هذه هي قيمة الكتب التي وجدنا مثيلاً لها معروضاً للبيع إلا ان في المكتبة ما هو أقيم من ذلك ، كما وأن الاسعار التي وردت ليست بأعلا الأسعار بالنسبة للكتب القديمة ، إذ أن بعضها والمعروض الان للبيع بلغ عدة الاف من الجنيهات .

التحف :

تضمنت المكتبة بعض التحف الأثرية من بينها تابوت خشبي مثل ما كان يستعمله الفراعنة في دفن موتاهم وابريق نحاسي كما يوجد كرسي الاستاذية الذي منحته جامعة كولمبيا للدكتور التجاني عرفاناً بعلمه ، هذا وقد ازدانت المكتبة بلوحات زيتية أهداها الاستاذ الفنان علي الماحي- شقيق المرحوم- للمكتبة .

خاتمة :

بالرغم من ضم هذه المكتبة لجامعة الخرطوم وتخصيص جناح لها يحمل اسم المرحوم ، وتسمية مستشفي باسمه وبالرغم من العدد الخاص الذي أصدرته « مجلة الخرطوم » عن التجاني الماحي فإني اعتقد انه يستحق اكثر من ذلك ، فيمكن مثلاً ان تخصص الدراسات في علم النفس يضمها مجلد ويهدي له في ذكري وفاته المقبل ، كما يمكن ان تخصص جائزة سنوية باسمه تمنح لابرز الطلبة في الطب تجدد ذكراه سنوياً ، فاننا قد رأينا الامم تكرم علماءها وأدباءها وتقيم الاحتفالات في ذكراهم ، ثم ان المكتبة التي حاولت ان ابين بعض محاسنها .. هل يكفي ذلك في حقها ؟ كلا ، فاني اعتقد انه يمكن ان تعد لها قائمة ببليوجرافية توزع علي نطاق العالم العربي والافريقي تعريفاً بعالمنا الجليل .رحم الله الدكتور التجاني الماحي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

الهوامش والتذييلات :

١- وجدنا هذا التاريخ بخط المرحوم في صفحة ٦١٥ من كتاب التوفيقات الالهية ، تأليف اللواء المصري محمد مختار باشا .

٢- E.W.C. Sandes , The Royal Engineers in Egypt and the Sudan . Chathan : The Institute of Royal Engineers, 1937 .

٣- C.G. Gordon . General Gordon's last Journal . London : Kegan Paul , Trench & Co,1885

٤- Minutes and Proceeding of the Governor General's Council London : Hassison and Sons , 1910 - 1925 .

٥- English . A Narrative to the Expedition to Dongula and Sennar . Boston : Lilly and Sons , 1822 .

٦- J .D Tothill . Agriculture in the Sudan London : Oxford University Press , 1952 .

٧- Correspondance Respecting British Military Operations in the Sudan . Lodon : H.M.S.O.,19...

٨- انظر كتاب معجم المطبوعات العربية والمعربة تأليف سركيس ، ص ١٦١٩ .

٩- R.S. Woocworth. Pychology . A Study of Mental Life. New York : Henary Hold & Co., 1925

١٠- Encyclopedia of Islam . Leiden : E. J. Br
Encyclopedia Britannica . London 1953 ill. 1960.
Chabers Encyclopedia. London ;George Newnes Ltd 1950.
Le Grande Encyclopedia. Paris H. Lamirault
British Encyclopedia of Medical Practice. London : Butterwoth & Co. 1943.

Encyclopedia of Religion and Ethic . Edinburgh :T &T Clark. 1953.

١١- H.L.G. Van Wijk. Dictioonary of plant Namees .
The Hague : Martinu Nijhoff . 1911.

١٢- J . Golii . Lexicon Arabico - Latinum, 1653

١٣- A . S Fulton & A. G . Ellis . Catalogue of Arabic Books
in the British Museum .
London : The British Meusum 1926 .

١٤- فهارس المخطوطات العربية المصورة بجامعة الدول العربية
فهارس المخطوطات العربية بمكتبة بلدية الاسكندرية
فهارس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية
فهرس المكتبة الازهرية .

١٥- H . M . Lydenberg & J. Acher. The Care and Repair of Books
New York : R.R. Bowker Co . 1960 .

١٦- D. Drinbger . The Illuminated Book : Its History and production
London : Faber , 1963 .

١٧- " P.S. Iam Quite hapy , thank god , and like lawrence .
I have tried to do my duty ' .C.G. Gordon Letters
to his Sister . London : Macmillan,1890

١٨- Korty Feb. 5 " Khartoum fell on the 26th. Sir C.
Wilson arrived at Khartoum on the 28th. and
found the plase in the hands of the enemy
.... The fate of General Gordons is uncertain"

١٩ Digest of Neurolly of Psychatry , 1953 - 1960 .
Ancient Egypt , 1914 - 1935 .
American Journal of Social psychology ,Vol. 1-13.

د. التجاني الماحي يرافق الملكه اليزابيث إبان زيارتها للسودان

British Medical Jounral, 1944 - 1963.
Antiquity, 1927 - 1956.
Punch, 1874 - 1933.
Geographical Magazine, 1947 - 1953.
Brain, Vol, 40 - 84
Journal of Mental Science, Vol. 78 - 106
Hygiene Mentalean, Canada, 1962 - 1965.

٢٠- River Tacazze
٢١- Tzana or Deinba
٢٢- Nile or Behr el - Abied or White River
٢٣- Unknown Territory

٢٤- R. Nnoles. The General History of the Turkes from the first Begining of the Nation to the Rising of the Othoman Family. London : Adam Islip, 1603

٢٥- John Charden. Travels in Percia and the East Indies.London : Mofes Pitt, 1686.

٢٦- See Francis Edwards Ltd. Catalogue No. 49, January 1976.

٢٧- Samuel W. Baker. The Albert Nyanza, 2 vols. London : Macmillan, 1866.

٢٨- C. Darwin. The Expression of the Emotions in Man and Animals .2nd. ed. London : John Murray, 1890.

٢٩- M. PArk. Travels in the Interior Districes of Africa. 1799.

ملحق

قائمة ببليوجرافية ببحوث الدكتور التجاني الماحي :

١ - ادمان المخدرات ، اللجنة الاقليمية لشرق البحر الابيض ، الدورة الثامنة ٣٠ أغسطس ١٩٥٨ ، ٦ صفحات (الاصل بالانجليزية) .

٢ - الاصول الشعبية للطب العربي في السودان ، صفحة ٥٠ - ٥٦ من كتاب الجامعة الشعبية بالخرطوم ، السادس عشر ، العروبة .

٣ - تقرير خاص بزيارة المملكة الليبية ، ١٧ - ٢١ أغسطس ١٩٥٩ ، هيئة الصحة العالمية ، المكتب الاقليمي ، ٨ صفحات .

٤ - تقرير عن زيارة طرابلس (ليبيا) في المدة من ٢٠ - ٢٣ يونيو ١٩٦٠ - هيئة الصحة العالمية ، المكتب الاقليمي لشرق البحر الابيض المتوسط ، ١٩٦٠ ، ٥ صفحات .

٥ - الخدمات المساعدة وكيف يرتبط تعريفها وتحديد مداها مع مستوي تطور الخدمات وتنظيمها ، المؤتمر المشترك بين الاقاليم عن تدريب الموظفين الصحيين والمساعدين ، الخرطوم ١٤ - ٢٠ ديسمبر ، ١٩٦١ (الهيئة الصحية العالمية) .

٦ - القومية وأثرها علي منهج التخطيط الصحي (لا يوجد هذا البحث بالمكتبة) .

٧ - رعاية الأسرة والطفل وعلاقتها باضطراد العمران ، مجلة الخرطوم ، ابريل ١٩٧٠ ، ص ٤٥ - ١٩

٨ - تاريخ الطب العربي ، الجمعية الطبية العراقية ، المؤتمر الطبي السابع ، المؤتمر الطبي السنوي الخامس لجمعية مكافحة السرطان في العراق (لا يوجد هذا البحث ، توجد أجندة الاجتماع فقط) .

٩ - خطاب بمناسبة الذكري العاشرة لمؤتمر باندونج (نشر الاصل في جريدة اندونيسيا هرالد اليومية بجاكارتا ، العدد الصادر يوم ١٩٦٥/٤/٢٣م ، ٣ صفحات) .

١٠ - الصحة العقلية ، الجمعية الطبية العراقية ، المؤتمر الطبي السنوي السابع ، والمؤتمر الطبي السنوي الخامس لجمعية مكافحة السرطان في العراق ، (لا يوجد الاصل ، توجد أجندة الاجتماع فقط) .

١١ - العلاقات الانسانية وأثرها في تربية المواطن العربي ، مجلة الخرطوم ، نوفمبر ١٩٦٨م ، ص ٦٣ - ٧٢ .

١٢ - مفهوم الصحة العقلية في التاريخ ، مستخرج من مجلة الجمعية المصرية

للدراسات التاريخية ، العدد الثامن ١٩٥٩ صفحة ١٥٧ – ١٨٨ .

١٣ ـ مقدمة في تاريخ الطب العربي ، كتاب في ١٨٦ صفحة (انظر الملاحق ٢ و ٣ من هذا البحث) صدر عام ١٩٥٩ .

١٤ ـ أهمية الانسان في عملية الانتاج (لم أجد هذا البحث ولكن هناك اشارة اليه في مقال الاستاذ حسن أبشر المنشور في عدد مجلة « الخرطوم » الخاص عن التجاني الماحي) .

١٥ ـ رأي في الحشيش لاخصائي في الامراض العقلية ، مهيء رهيب للفردوس الوهمي .. الهيئة الصحية العالمية سلسلة المختارات ، ١٣ أغسطس ١٩٥٩ ، ٤ صفحات .

١٦ - Cannabis Indica (Haslis) WHO
Regional Office for the Eastern Mediterranean
EM /RC 8/6.30 August 1958,PP. 1-7

١٧ - " The Concepts of Mental Health",
East African Medical Journal, vol. 37 No
6 ,1960 ,PP.472-476

١٨ - " Family and Child Welfare in Relation to
Urbanization " , Al - Hakim , No . 17, September 1964 , PP.
- 20 and WHO No. FM / MENT / 29/6 Jan 1963 , 15 Pages and
U.N. Regional Office for the Middle
East , Beiruit, AS/ FCW/ WHO, PP. 1-16.

١٩ - Food Customs and Taboos, WHO
Regional Office for the Med ., Joint FAO/
UNICEF / WHO / Nutrition Seminar Cairo 16 Spt.-
12 Oct . , 1963 EM / NUT/ 23 dated 14 Sept. 1163..

٢٠- Khati : a dream drug or a dope
Hamdard Medical Digest , vol. 2, 1963 , PP. (38-41)

٢١- Mental Health In The Eastern
Mediterranean Region , Typscript PP. (1 -5).

٢٢- Mental Health Problem of university students,
- ١٧٧ . Sudan Medical Journal , vol . 1 , No . 4, 1962 , PP
, 185. and Conference on Medical Education , Tehran
16 - 23 Oct . 1962 . EM/ CONF. MED . ED / 8 , August
1962, P.13

٢٣- Mental Health work in the Republic of the Sudan,
In Scientific Council for Africa South of the Sahara
Publication No . 35 , PP. (56,)
CCTA / CSA / WFMH - WHO meeting for specialists on
Mental Health Bukavu1958

٢٤- Mental Health Work in the Sudan address de-
. livered at the 9th annual Meeting of WFMH/ Berlin
August 1956/ World
Mental Health
Journal of Federation for Mental Health;
vol 9, No. 1, Feb. 1957. P..4

٢٥- A Prelminary study on Khat (catha edulis forskal) together
with the international history of coffee as a Beverage in relation to Kha
, WHO Regional Office for the Med ., EM / MENT / 4 March

1962, PP. 1 - 18 .,

٢٦- Problems of undergraduate medical eduction in relation to mental health teaching , WHO expert Committee on Mental Health. 9th. Session, Geneva 13 - 18 June 1960,P.4.

٢٧- Programme on " Mental Health in the Eastern Mediterranean Region , WHO / Reg. Office. EM / MENT / 29 / 5 May 1962 , P.5.

٢٨- " Psychiarty in the light of specific " Journal of Sudan Medical Association (vol. not mentioned) read in the Mental Health Seminar WHO Beirut, 23 Nov. - 5 Dec1953.

٢٩- Report on a visit to Ethiopia , Regional 11 - 23 Oct.1959, Office for the East . Med ., Em / MENT/23 JAnu. 1960, P.7.

٣٠- Report on a visit to Libya, 17-21 Auguest 1959, EM / MEnt / 21 Nov. 1959 , P.6

٣١- Report on a Saudi Arabia, 21 Sep. 3-oct 1959,WHO Reg. Office for E. Med .,EM/MENT/24 March 1960,P13.

٣٢- Report on a visit to Tripoli (Libya)25-23 June1960,

WHO Reg. Office for E. MED.. EM/MENT/28 August1960.

٣٣- " Schools of Contemporary Arabic Poetry", EMRO News , Vol. 1, No. 2, 1964, PP.15-16.

٣٤- Les Service Auxiliaries, WHO Reg. Office for E. Med. EM/Conf/Trg. AUX/8,13 Dec.1961,P.7.

٣٥- " Some Lyric of Mystic Poetry " EMRO News , Vol.1,No. 1,1963,PP.17-19.

٣٦- Techinques of Ethnopsychiatry in Relation to the Cultural Background of some countries of Africa,First Pan-African PSychiatric Conference, Abechuta, Nigeria , pp. 118-120, and

٣٧- WHO / EMRO / EM / MENT / 29 / 2 Nov. 1961,p.4. (Also a copy in French OMS/EMRO/EM/MENT/29/ 2,Nov.,1961,P.6.).

عود علي بدء :
التجاني الماحي ومكتبته

بقلم د. أحمد الصافي

قرأت في مجلة الدراسات السودانية العدد الأول المجلد السادس فبراير ١٩٨١م مقال الأستاذ / أحمد يسن نابري (العلامة التجاني الماحي ومكتبته) . أطلعت علي هذا المقال قبل نشره وكنت حينئذ أجمع شتات أعمال التيجاني الماحي المتفرقة توطئة لاعدادها النشر ، كان ذلك منذ عام او يزيد ، منذ ذلك الحين تجمع لدي العديد من المقالات المنشورة والمخطوطة التي لم يثبتها الاستاذ نابري في مقاله فرأيت أن أكمل قائمته البيليوقرافية التي نيل بها مقاله علي هذه المادة المنشورة علها تحفز اصدقاء التجاني الماحي العديدين الذين لديهم بعض مخطوطات أو مقالات أو قصاصات خاصة بصديقهم الراحل لم يجدوها مثبتة هاهنا للاعلان عنها أو بايداعها في مكتبة جامعة الخرطوم .

عرفاناً منا بفضل التجاني الماحي علي العلم والعلماء داخل هذا البلد وخارجه واسهامه الاصيل في كل ضروب المعرفة التي تطرق لها .

انكببنا منذ وفاته علي تجميع أعماله المكتوبة المتفرقة قبل ان تنسي ، وقد كان لدينا من قبل العديد منها ، ثم كانت مبادراتنا ودكتور طه بعشر في أن نحقق وننشر ما تجمع لدينا من أعمال ، وفي كل هذا الجهد للبروفسير عبد الرحمن النصري الباع الاطول في تشجيعي منذ اتصالي به أول مرة .

فقد وضع بين يدي كل محفوظات التجاني الخاصة للاطلاع عليها ، ثم زودني بالعديد من المقالات التي لم اكن أحلم بوجودها حتي ذلك الحين ، لبروفسير النصري أيضاً الشكر والعرفان علي مكاتباته واتصالاته التي أثمرت بقبول دار الطباعة والنشر بجامعة الخرطوم نشر هذه المادة علي نفقة الدار .

في سعينا المتواصل لجمع أشتات أعمال التجاني الماحي كانت خيبة أملنا كبيرة في أن نتحصل علي الأحاديث الاذاعية والمقابلات التلفزيونية العديدة التي سجلت للتجاني الماحي في حياته في شتي ضروب المعرفة ، فشلنا رغم الجهد الكبير الذي بذلناه ورغم اتصالاتنا العديدة بأجهزة الاعلام ، نرجو ان نسمع خيراً من أرشيف هذين الجهازين لنكمل جزءاً هاماً من نشاط التجاني .

---

* مجلة الدراسات السودانية - العدد الاول (معدل الثاني) المجلد السابع ، ديسمبر ١٩٨٢م .

واخيراً أضم صوتي لصوت الاستاذ نابري في أن ذكري التجاني القادمة لابد أن تشهد جهدا علمياً أكبر مما نري ، خطابي هنا للجمعية السودانية لأخصائي الطب النفسي وفي قيادتها الآن ألمع شبابنا وأكثرهم حماساً .

فهم يعلمون قبلنا ما للتجاني من مكانة سامقة في مجال الطب النفسي وتصوره العبقري الرائد لامكانات الطب التقليدي .. كأني بذكري التجاني القادمة ستكون مهرجاناً للثقافة الأصيلة وحدثاً من أحداث هذه المؤسسة العلمية .

تتمة قائمة نابري البيبليوغرافية :

جميع المقالات التي وردت في هذا المقال وفي مقال الاستاذ نابري تحت الطبع الآن بمطبعة جامعة الخرطوم في مجلدين تحت عنوان « الأعمال الكاملة للتجاني الماحي » . المجلد الاول للأعمال الانجليزية والثاني للعربية وهما من مطبوعات دار الطباعة والنشر بجامعة الخرطوم والتي تعد في نفس الوقت الطبعة الثانية من كتابه « مقدمة في تاريخ الطب العربي » والذي نفد من الاسواق منذ زمن .

١ ـ الرائد الذي لا يكذب أهله (الزار) جزئين .

الجـزء الاول : الزار في السودان (مخطوطة مكتبة جامعة الخرطوم) .

الجزء الثاني : تحليل الحياة النفسية للمرأة السودانية " السودان الجديد " ، السنة الأولي ٢٣ يونيه ١٩٤٤ ، ص ٦ البقية ص ١٩ .

٢ ـ مشائخ الزار في السودان (١٩٣٧ ـ ١٩٦٨) ، (مخطوط مكتبة جامعة الخرطوم) .

٣ ـ العلاقات الانسانية وأثرها في تربية المواطن العربي ، كتب إستجابة للدعوة الكريمة من المجلس الاعلي لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية برئاسة الجمهورية (ج . م . ع .) للمساهمة في حلقة وضع أسس التربية للعالم العربي نشرت في :

الجزء الاول : مجلة الخرطوم أكتوبر ١٩٦٨ ، ١٢٢ ـ ١٢٩ .

الجزء الثاني : مجلة الخرطوم أكتوبر ١٩٦٨ ، ٦٣ ـ ٧٢ .

الجزء الثالث :مجلة الخرطوم أكتوبر ١٩٦٨ ، ١٠٩ ـ ١١٣ .

٤ ـ أهمية الانسان في عملية الانتاج : بحث مقارن في ديناميكية العراك والتحول الحضاري (مخطوط بجامعة الخرطوم) .

٥ ـ الأصول العربية للطب الشعبي في السودان كتاب العروبة ، الكتاب السادس عشر

، الجامعة (بدون تاريخ) الصحيح ما أثبتناه هنا وليس الاصول الشعبية للطب العربي كما ورد في الاصل وفي مقال الاستاذ نابري) .

٦ - الخيل وأسماؤها في الجاهلية والاسلام وبعض أخبارها ، مخطوط بحوزة دكتور أحمد الصافي .

٧ - نقد لمعجم فيليب حتي الطبي .

٨ - كلمة الدكتور التجاني الماحي نيابة عن الجمعية الطبية السـودانية بواد مـدني (مكتبة جامعة الخرطوم) .

٩ - كلمة يخاطب فيها مدير الجامعة (مكتبة جامعة الخرطوم) .

١٠ - نبذة من كلمة يخاطب فيها الرئيس جمال عبد الناصر (مكتبة جامعة الخرطوم).

١١ - مسودة لمقال عن الطب في مصر القديمة (مكتبة جامعة الخرطوم) .

١٢ - نص عربي وترجمة أنجليزية هيروغليفية لقصيدة شعبية ليبية ، قصاصة بحوزة دكتور أحمد الصافي .

١٣ - ترجمة عربية لتعويذة مصرية قديمة (مكتبة جامعة الخرطوم) .

١٤ - ترجمة إنجليزية لقصيدة خبز وحشيش وقمر لنزار قباني ، مجلة الحكيم ، مجلد ٧ ، عدد ٣ ، يونيو ١٩٦٩م مقدمة بقلم الأستاذ جمال محمد أحمد .

١٥ - آراء ونصائح ٧ صوت المرأة ٢٦ أكتوبر ١٩٥٨م .

١٦ - العقاقير وكيف يحسن استعمالها وكيف يساء ، اللجنة الاقليمية لشرق حوض البحر الابيض المتوسط ، الدورة الثانية عشر هيئة الصحة العالمية ، المكتب الأقليمي لشرق حوض البحر الابيض المتوسط ١٦ أغسطس ١٩٦٢م (الأصل بالانجليزية) .

١٧ - القات (كاثا أيدوليس فورسكال) دراسة تمهيدية ، اللجنة الاقليمية لشرق البحر الابيض المتوسط هيئة الصحة العالمية الدورة الحادية عشر ، أغسطس ١٩٦١م (الاصل بالانجليزية) .

١٨ - تقرير عن زيارة للسعودية (٢١ سبتمبر - ٣٠ أكتوبر ١٩٥٩م) المكتب الاقليمي لشرق البحر الأبيض ، منظمة الصحة العالمية ١٩٦٠م .

١٩ - Psychiatry in the light of specific cultures Emro/ MHS/WP . 22, Alexandria , 1953, Also appeared in Sudan Medical Journal 1953 (3)27-32.

د. التجاني الماحي يؤدي القسم عضو بمجلس السياده

زيارة الملكه اليزابيث للسودان

٢٠- **The Undergraduate Teaching of Psychiactry and Mental Health Promotion, WHO / MENT / 206 Alexandria, 1960.**

٢١- The use and abuse of Drugs. WHO/EM/RC/12/6 Alexandria Also in Pharmacy, Vol.IV , Oct. 1968.

٢٢- Psychopathology of Hashish Sudan Medical Journal 1955, I,37.

٢٣- Mediterra- The Problem of Hashish in the Eastern nean. Feature Series No. 920. Ang. 1959, Who , Psychiatrist views on Hashish (2) WHO/EMRO Alexandria.

٢٤- The Alcohol Problem in the Sudan (No date) University of Khartoum Library.

من مؤلفات
الدكتور التجاني الماحي
مقدمة في تاريخ الطب العربي *

عرض وتعليق : علي المك

قرأت هذا الكتاب فور صدوره قبل أكثر من عشر سنوات ، وأعجبت به كثيراً .. وبعض موضوعاته لم تبرح ذهني قد يختفي بعضها زماناً ، وقد يطفو بعضها فيختلط بغيره ، ولكنها تظل باقية .

قرأته قبل أكثر من عشر سنوات قراءة عجلة لسببين : أولهما أني أستعرته من أحد الأصدقاء بعد أن تبادر القارئون الي أماكن بيعه فنفذ ، وكان علي أن أرده لصاحبه وثانيهما انا كنا ـ لذلك العهد ـ نقرأ في عجلة نريد ان نأخذ من كل ضرب ثقافة بطرف .

وحين نظرت فيه الان ـ المرة الثانية ، وقد مضت فترة علي نشره ، تقلب فيها الاستاذ الجليل في مناصب مختلفة ورمي في كل معركة بسهم ، وبز وتفرد وظهر حتي صار اسمه علي كل لسان ، أكتشفت فيه نواح كثيرة ، لم تكن واضحة تماماً .. ونحاول في هذا العرض السريع تقديم هذا السفر للقراء .

ينقسم الكتاب الي قسمين رئيسيين أولهما يعالج باختصار تاريخ الطب بين شعوب الشرق القديم ، عند المصريين القدماء والبابليين والاشوريين ، ثم الطب اليوناني ومن بعد ذلك الطب الفارسي .

وهذا القسم الأول ـ رغم اختصاره ـ يقدم للقاريء سردا مفيدا لتاريخ الطب بين شعوب الشرق القديم ، فانت تدرك ـ حين تنظر فيه ـ أن قدماء المصريين كانوا اول من وضع أساس كثير من العلوم كالطب والكيمياء ويعد (أمحوتب) اول طبيب يجيء ذكره في التاريخ ، وكان الي جانب عمله بالطب وزيرا للملك (زوسر) .. ولقد تبوأ (أمحوتب) مكانة سامقة في عصره وما تلاه من العصور.

ويحدثنا الكتاب ان (هرودوتس) قال «الطب يمارس في مصر علي طريقة الاختصاص .. فالطبيب هناك يعالج مرضا واحداً لا جملة أمراض ، والبلاد تعج بالأطباء فبعضهم لأمراض العيون وبعضهم لأمراض الرأس وبعضهم للأسنان وبعضهم للأمراض المجهولة التي ليس لها مكان معين » .

---

* مجلة الخرطوم ـ ابريل ١٩٧٠م

والامر كما علمنا يحس المرء أن هذا التخصص العلاجي يدل علي كثرة الاطباء اولا وعلي تطور علوم الطب جميعاً ، ولكنك تعجب حين تعلم ان من سمات الطب المصري القديم اعتماده علي الرقي اكثر من اعتماده علي العقاقير ، وقد جاء في احدي «البرديات» « لقد أتيت من مدينة الشمس ومعي شيوخ المعبد المالكون للشفاء والواهبون للأبدية ، أتيت من سايص في ركاب الام المنجية للآلهة الذين منحوني حماهم ، أتيت وفي حقيبتي وصفات من الآلهة الاكبر تشفي من كل داء عضال ارادته الآلهة او الالهات وتقي من كل سوء سببته ارواح الموتي » .

في بلاد ما بين النهرين كان الطب نوعا من السحر مثلما كان عليه الحال في مصر القديمة ولقد أكتشف الدكتور التيجاني الماحي في دراسته لنماذج من التمائم والأحجبة والرقي المستعملة في السودان ، ان في أصولها ما يشير الي تأثر بعصر حضارة بابل ، فرموز الكتابة تشبه رموز الكتابة المسمارية ، وكثرا ما تري أستخدام الرقم (٦٠) وشمتقاته ، ومعلوم ان ذلك الرقم أنما كان يمثل الوحدة الحسابية في بابل .

ويسرد الكتاب ملخصا وافيا للطب اليوناني في عصوره الثلاثة : العصر القديم والعصر الكلاسيكي او عصر (بركليس) ثم العصر اليوناني الروماني ، وكان عصر (بركليس) عصر ازدهار شامل في جميع مظاهرالحياة العلمية والاجتماعية ، كان عصر (ابقراط) ذاك الذي بدأ بدراسة الطب في سن مبكرة تحت ارشاد أبيه «وتقوم شهرة أبقراط علي أنه كان مرشداً اخلاقياً وعلميا ، كان مرشداً أخلاقيا لانه رفع من أدب المهنة وصبغها بالشعور الإنساني النبيل ووضع لها تقاليدها الحسنة وليس ادل علي ذلك من قسمه المشهور الذي لا يزال الحلف المعمول به عند الأطباء علي أساس التجربة العلمية الصحيحة » . ويأتي من بعد أبقراط منزلة (جالينوس) وهو أحب المؤلفين للعرب فترجموا له كثيراً .

ويعني القسم الثاني من الكتاب بتاريخ الطب العربي منذ عصره الجاهلي ، ومن بين أطبائه الحارث بن كلدة ، ومن طريف ما يروي عنه أنه وفد علي كسري أنو شروان (فقال له من أنت ؟ قال الحارث : أنا الحارث بن كلدة الثقفي ، قال فما صناعتك ؟ قال الطب ، قال أأعرابي أنت ؟ قال نعم من صميمها وبحبوحة دارها ، قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء أغذيتها ، قال أيها الملك أذا كانت هذه صفتها كانت أحوج الي من يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها ويعول أمشاجها فأن العاقل يعرف ذلك من نفسه) .

وكان عصر الإسلام الأول هو عصر الطب النبوي وهو مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة ، وقد اشار النبي الي المداواة بشرب العسل ، وذكر الكي والاحتجاب ، وكقوله (صلعم) في الطاعون «واذا سمعتم بالطاعون بأرض فلاتدخلوها واذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا منها » .

وكان عصر معاوية عصر (ابن إثال) الطبيب النصراني ، إصطفاه معاوية وقربه ، وكان ذا دراية وخبرة بالادوية وقواها ، ومن أطباء ذلك العصر ايضا ابو الحكم الدمشقي وابنه الحكم وحفيده عيسي ، ثم (ابن ماسرجويه) الطبيب البصري لعهد عمر بن عبد العزيز

وحين أسس المنصور ابو جعفر بغداد كانت (جند يسابور) كعبة الطب لذلك الزمان ولقد برأ المنصور نفسه من علة لازمته زمانا طويلاً علي يد طبيب من (جنديسابور) ماهر وحاذق هو (جورجيس بن بختيشوع) ، وأتصل جفيد (جورجيس) ، جبريل بالرشيد هارون ، وكان اول اتصال لهما حين طلبه الرشيد لعلاج جارية له تمطت ورفعت يدها فلم تستطع انزالها ، وعجز الأطباء عن علاجها فشفاها جبريل بحيلة لطيفة .

وقد بدأت حركة الترجمة والنقل من اللغات الاخري للعربية في ايام المنصور ، وبخاصة اليونانية ، وكان اشهر المترجمين هو حنين بن اسحق العبادي ، وقد ترجم كثيرا من كتب الطب والفلسفة وصنف نحو ثلاثين كتابا ورسالة لعل أشهرها كتابه عن أمراض العين .

وتأتي من بعد ذلك مرحلة التأليف ، يقف علي قمتها أربعة اطباء هم علي بن زبن الطبري وابوبكر محمد بن زكريا الرازي وعلي بن عباس المجوسي وأبن سينا ، واشهرهم الرازي وقد وضعه بعض المؤرخين في مرتبة ابقراط وتبلغ مؤلفاته نحوا من ١١٣ كتابا و ٢٨ رسالة شاع معظمها وفقد ، وما بقي منها ـ علي قلته ـ يقوم دليلا علي عظمته واشهر اعماله كتاب ـ الحاوي ـ الذي جمع به ما كان متفرقا من أمر الامراض ومداواتها ، وترجم الكتاب للغة اللاتينية مرات ومرات ، والرازي هو اول من ابتكر خيوط الجراحة واول من عمل مراهم الزئبق .. وثاني الاطباء شهرة كان الفيلسوف ابن سينا وكتابه «القانون في الطب» موسوعة علمية نادرة .

ومن خصائص الطب في عصر التأليف خلوه من التشريح وضعف في الجراحة وادخال الكثير من الادوية المفردة والمركبة ولقد أدخل العرب كثير من المواد الكيميائية في ادويتهم ، واكثروا من استعمال الفصد والتدبير بواسطة الغذاء وغير ذلك .

ان قيمة كتاب الدكتور التيجاني الماحي تكمن في انه استطاع ان ينظم هذه المادة

العريضة الغزيرة بصورة تقربها من فهم القاريء غير المخصص وأفاد من مراجعه أعظم فائدة مرجوة ، وبسط ذلك بلغة سهلة سليمة وسلسلة وان هوامش الكتاب جعلت بصورة تساعد تماما علي قراءة الكتاب وتفهمه وهي هوامش غاية في الدقة .

التجاني الانسان

بقلم صالح بانقا صالح

قبل ان التقي به كنت أسمع عنه إنه طبيب كسائر الاطباء وانه الطبيب الذي تخصص في العلاج النفسي وإمتاز به فهما وتطبيقا ...

وكان السودان في تلك الفترة الغابرة لم يعرف شيئاً كثيراً عن هذا اللون من الطب . ولم يكن الإقبال عليه كبيراً بين الناس كغيره من انواع العلاج الاخري . ولكنه - وله الخلد - استطاع بما لديه من خبرات نادرة ان يجعل الناس يقبلون علي ما انفرد به دون زملائه إقبالا جعله قبلة الانظار وجعل طبه موضع التقدير .... فكانت شهرته شهرة الطب النفسي لأول مرة في السودان . وكان تخصصه وبراعته آية الصيت والنبوغ في كل الاقطار المتقدمة فكريا وطبيا ثم تتابعت الايام قليلا قليلا واخذت معرفتي به ترداد وتتوثق . وذلك عندما رأيته يزور قرية - أم ضبان - في أوائل الخمسينات .. وكان يزورها نفر من الاساتذة الاجلنب الذين تخصصوا في هذا العلم .. وكانت زيارتهم لهذه القرية للوقوف علي ما إشتهرت به من ممارسة العلاج بالطب الروحي واثره في الحالات النفسية وقد أراد ان يطلع زملاءه علي صورة من صوره في تلك الاماكن النائية وعلي الطبيعة .

وقد سمعته يومئذ يقول - ان العقائد لها آثار ملموسة في المساعدة علي الشفاء لكثير من الأحوال - ثم أسدل الستار علي ذلك اللقاء العاجل في القرية ومضت الأيام واذا بالمكتبة العربية تخرج للناس في العالم العربي وغيره كتاباً نفسياً: تاريخ الطب العربي الذي ألفه العالم الراحل واستقبلته الدوائر العلمية أستقبالا كريما ...

وهنا التقيت بالرجل مرة اخري ... التقيت به فكراً عملاقاً وبادراً . واذا بي اعيش مع الكتاب اقرؤه وإستوعب منه ما إستطعت وإستمتع كل الامتاع بقراءته كغيري من الذين قرؤه في كل مكان . وكان هذا المؤلف قد القي علي مؤلفه ضوءاً وهاجاً . جعله يتبوأ مكانه بين المؤرخين والمفكرين الكبار في العالم العربي بخاصة . ان الكتاب كان بلا ريب نادراً في موضوعه . وان مؤلفه كان مرجعا وحجة في آرائه ونصوصه وادلته القاطعة .

---

* مجلة الخرطوم - ابريل ١٩٧٠م

وشيئا فشيئا تتراحب جوانب العظمة الانسانية وتزداد شمولا وإتساعا تحركها اشواق عميقة في النفس الي الفداء الي البذل والعطاء في سبيل اهداف وطنية سامية .. فيشد الدكتور رحاله الي بورسعيد - حيث يقف هناك مع إخوانه العرب في ميدان المعركة المصيرية . علي خط النار لمواجهة العدو المغتصب بل لمواجهة الاستعمار في تحديه المكشوف ...

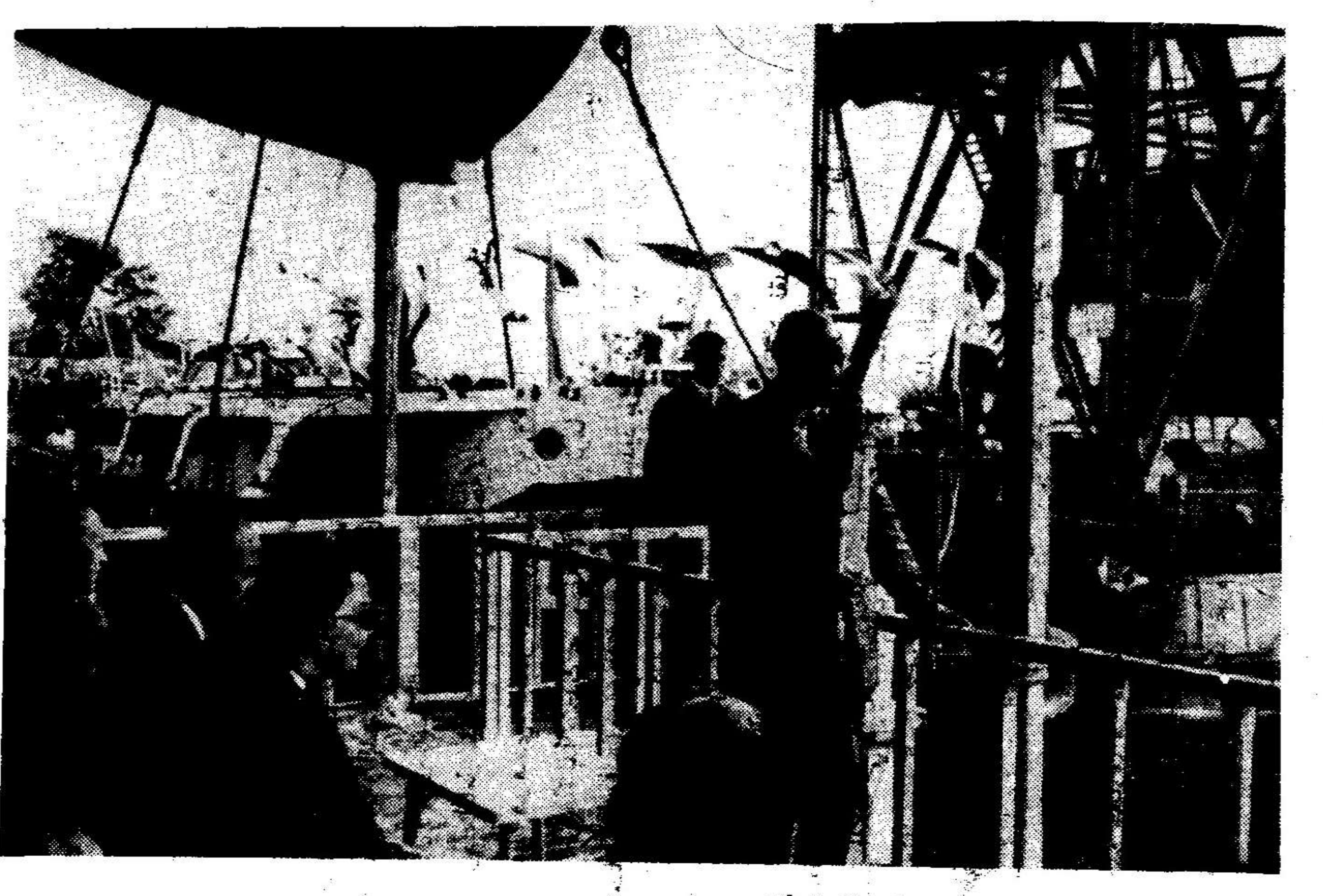
كان هذا في نظري حدثاً فريد يضم الي سجله الحافل بالنوادر والامجاد .. فلم يعد الدكتور . ساعتئذ طبيباً اخصائياً ولا مفكراً مؤرخاً فحسب ، وإنما هو بالاضافة الي ذلك كله إنسان آخر يجمع الي مواهبة المتعددة موهبة القلب الشجاع يجمع الي القلم السيف يزود به عن كرامة الانسان العربي وحقه في الحياة وفي الوجود حرا كريما ...

ثم أنتقل الدكتور الراحل الي مجالات الامم المتحدة والتحق بها مستشاراً للصحة العقلية . واقام هناك ما شاء الله ان يقيم وفي هذا الميدان العالمي إزدادت شهرته كخبير وذاع صيته في الافاق فدعته اكثر من ثلاثين جامعة في انحاء العالم المختلفة حيث القي فيها محاضراته وبحوثه في مختلف الثقافات والمعرفة .. وكانت ابحاثه تجد الإصغاء والإهتمام من دهاقنة العلوم وأعلام الطب العقلي - كانت إثراء وترفا للحياة الفكرية أثار إنتباه الذين شدتهم شهرته اليه عن بعد . والذين التقوا به واستمعوا اليه علي السواء .

وكانت تلك الشهرة وذلك التفوق سببا لاختياره عضوا في المجمع اللغوي . وهو ملتقي فكري لا يجلس فيه ولا ينال شرف عضويته إلا من كان في مركز الفقيد فكرا وإحاطة بالمعارف والحضارات ...

وعند قيام ثورة اكتوبر الكبري اخذ مكانه عضواً في مجلس السيادة وكان هذا يعني في نظري - وانا أتابع من علي البعد البعيد حياة رجل من رجالنا الافذاذ حب مواطنيه له كسياسي طاهر نظيف بعد ان عرفوه واحبوه كعالم جليل ممتاز .. وليس ادل علي نظافته من رفضه وترفعه بعد فترة من الاستمرار في ذلك المنصب الذي تاهت وراءه الانفاس ، لقد رفضه وترفع عنه لانه لا يتفق في نظره مع الحق الذي يؤمن به والعدل الذي ينشده لوطنه وامته ولنفسه آخر الأمر .

هذا ماكنت أعرفه عن الفقيد بعيداً قبل ان التقي به شخصيا وجاء الي الخرطوم وعاد مرة ثانية بناء علي طلب من وزارة الصحة ليكون أستاذاً لشعبة الامراض العصبية بكلية الطب بجامعة الخرطوم .. ورئيساً للجمعية الطبية السودانية ... وفي هذا الأثناء تمت



بروفسر التجاني الماحي يتحدث الي جماهير الاسماعيليه في عام ١٩٦٤م

معرفتي الخاصة به . وذلك حين رأت الاذاعة السودانية أن أقدم بها برنامج - الحديث شجون - وبرنامج - أساطير وغرائب الذين كانت تبثها الاذاعة لفترة من الزمن . وعندما فكرت في لقائه كنت أقدم رجلا وأخر أخري كنت أتردد وأتهيب . أسال نفسي كيف ألقاه ؟ وكيف استطيع وأنا القروي المتواضع أن أرتقي الي تلك القمة الشامقة ؟ كيف أجلس أمام هذا الرجل الكبير في عقله ومكانته ؟ كيف استطيع أن أناقشه في أحاديثه التي أنشدها للاذاعة كيف ؟ كيف ؟ هكذا قلت لنفسي .. واخيراً توكلت علي الله أسال عن منزله أين يقع في مدينة الخرطوم بحري .. وفي المنحي وعلي الشمال الغربي من كبري النيل الأزرق وجدت الباب فاتحا والقلب مفتوحاً والرجل يكاد يقف خارج منزله حتي لا يكلف زواره مغبة البعد والطرق والوقوف ساعة او بعض ساعة .. ودنوت منه وحدثته عن نفسي - وسبب وصولي اليه .. ورحت أتامل نظراته وأتملي وجهه وملامحه لاعرف انعكاسات حديثي في نفسه وانطباعاته عني فاذا هو هادىء كالبحر المسجور يستمع ولا يتكلم ..

وفجأة بدأ يتحدث عن مهمة الاعلام واثرها علي ثقافة الانسان وركز احاديثه علي الحياة وتأثرها بمايجري فيها وربط القديم بالجديد بل ربط الجديد بالمستقبل . وعاش بعمقه في التاريخ وما خلف وراءه وبما يأتي به في المستقبل من تجارب الماضي .

وكان في تلك الاحاديث كلها كالسيل ينحدر ولا تكاد تقف في اي زاوية من زوايا احاديثه وتلسفت إني ما فتحت الجهاز علي احاديثه المرسلة .. فقد كان وحدها برامج ذات اهداف وغايات .. وسرعان مازال خوفي وتخوفي منه .. فهو - كما وجدته لأول وهلة انسان لايحب الكلفة في الحياة . إنسان لا يشعرك مهما كنت ضحل المعرفة انساناً محدود الثقافة ولعل هذا حسب تصوري فن من فنون علم النفس في خطاب الجليس .. وخرجت منه بعد ان وافق علي الحديث المتواصل في كلا البرنامجين خرجت منه وكأني عشت معه سنوات عديدة لا جلسة واحدة من جلسات العمر .. وهكذا أصبح اللقاء به ميسوراً في كل وقت بل كان في نظري شيئاً لا بد منه . فان كل ساعة من ساعات الجلوس معه استفيد منهما فايدة لا استطيع حصرها في مقالة عابره .. انه يحدثك في كل شي وعن كل شي حديث العارف البصير . حديث المثقف البارع الذي يأخذ بجامع قلبك كله .. ولعل أغرب الأشياء التي راعت انتباهي كثيراً ولم أجدها عند غيره إنه كان لايبخس الاشياء . بل يري كل شيء فضيلة .. ولكل عمل مهما كان تافها في نظر الاخرين له قيمته ومعناه .. وأحيانا كان يؤكد ان كل شيء له حقه في هذا الوجود وله خصائصه .. وهذا يعني كل إنسانا يدرك حقائق الاشياء

.. إدراكا شاملا .. شأنه في ذلك شأن الفلاسفة في كل مكان وزمان ...

إن مميزات الدكتور الجليل التيجاني الماحي كثيرة ونادرة ولا أريد بل ولا أستطيع أن أردت في هذه العجالة العابرة أن أعددها .. لا استطيع أن أتحدث عن أدبه . وثقافته . ولا عن عمقه في المعرفة بانواعها ولا باهتماماته بالتاريخ وتفهمه لآثاره في الماضي وتطوره مع الحاضر والمستقبل وكذلك لا اريد أن أقف عند معرفته لكثير من اللغات القديمة والحديثة أو معرفته بالقراءات والمخطوطات ولا عن حبه للعلوم مهما كان لونها وبالتالي لا أحب لنفسي أن تتوقف قبل أن أشير الي هيامه وتفهمه لتاريخ مصر القديمة ...

إن كل هذه الأحاديث لا يكفي أن يقف عندها الدارس وقفة قصيرة فهي أكبر من الوقفات . وهي أبعد من الكم والكيف . وهي أوسع من الواسع وأعمق من العميق .. إن التيجاني إنسان نسيج وحده وانه نادر المثال وانه بعد هذا وذاك واولئك الذين لا يأتي بهم التاريخ إلا في فترات متباعدة من أيام الحياة ..

دخلت عليه ذات مرة . وكان قد مات ولده الطالب (عبد الرحمن) فوجدته متأثر عليه غاية التأثر .. وماكنت أحسبه أن يكون كذلك كان يجلس عن يمينه يومذاك الأستاذ حسن نجيلة وكان يواسيه ويسليه عن المصيبة .. جلست عن شماله فزاد تأثره كان يبكي في صمت .... والتفت إلينا وهو يقول ـ انك يمكن ات تمسك يدك وكل جوارحك اذا أردت ولكنك لا تستطيع أن تمسك قلبك عن التعبير عما فيه أن العين تعبر عن القلب وتلك عيوننا تعبر عن قلوبنا ولانملك من أمرها شيئا ...

وهنا لفنا صمت وخشوع . هنا رأيت العظماء كيف يتألمون وكيف تكون لديهم الأحزان وأيقنت ان في حزنهم عبرة . وان آلامهم عظات وذهب عقلي بعيدا فتذكرت رسول الله صلي الله عليه وسلم عندما مات إبنه ابراهيم ففاضت عيناه وتحدث اليه بعض أصحابه في ذلك فقال : ـ «لتدمع العين ؟ ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ....»

وفي تلك اللحظة الباكية عشت مع التجاني كانسان آخر امتلأ قلبه بحب الناس والولد .. ولكنه انسان حتي في تلك اللحظات الحزينة يقدم لنا درسا عن العين والقلب عن شعور الانسان اي انسان تجاه الاحداث والخطوب ان كل انسان يتألم لما يلم به من الفواجع .. ولكن ليس في استطاعة كل انسان أن يكون أكبر من الأحداث ويفوقها جلدا وعزما ..

وفي الاسبوع الاول من رأس السنة الميلادية هذا العام توقف ذلك القلب الكبير . ويسكن الوجود الحي . وتسكت تلك الاحاديث الجياشة النابضة بالفن والحكمة ويسع كل هذا

الكون الواسع لحد ضيق من مقبرة المدينه .. لقد حدث هذا في لحظة .

اما الذي سيبقي ما بقي فهو الدكتور التجاني الماحي . سيبقي في علمه . وعمله ... في اصره ومآثره في كتاباته . في خطه ومخطوطاته .

وسيظل إلي الأبد الأنسان الذي نري في ذكراه خلود الخالدين من أعلام الفكر والتاريخ .. الا رحمه الله .

التجـاني كما عـرفته *

مصطفي أبوشرف

تجري عليك الأدمع الجارية ** من أعين فياضـــة باكية
من أمـــة كنت فخـــراً لها ** وكنت فيها الحجة الراوية
لسـانها من حزنها صـامت ** وعينها من الأسي دامية

أخي القاريء :-

الذكريات تجيش في صدري بل تغلي غليان المرجل- وأحس بها أحساس من يظن انه يستطيع ان يصورها ويحيلها الي كلمات تقرأ أو قصيدة تروي فأهم وأعجز ويقف القلم جامدا في يدي وتراني انظر الي الفضاء اللانهائي فأذا به هناك بنظراته المعبرة وابتساماته المشرقة وكأنه يخاطبني بصوته العميق لأدخل إلي صومعته الفريدة !! حالة يعرفها من يكابدها ولحظات يدرك وقعها من يعانيها فهو ملء السمع والبصر ما حييت - فالدكتور - استاذي العظيم - معي أينماكنت واحاديثه تسيرني حيثما توجهت عملاق - كان يخاف ان يقع في الخطأ ويبشر دائما بأن النفس جواد جموح لابد لراكبه ان يتسلح باليقظة - يقظة الضمير وألا انقلبت الاية واصبح الراكب في موقف لايحسد عليه كان دائماً يردد قول ابي الحسن كرم الله وجهه :-

(اللهم اغفر لمزات الألحاظ - وسقطات الألفاظ - وشهوات الجنان - وهفوات اللسان)

فأي متصوف جليل في تصوفه كان !! ولكي نسير علي الدرب السليم لابد من (المعرفة) والمعرفة عنده روضة معطارة حوت افوافا من الحكمة واشتاتا من الفلسفة - تهدلت أغصانها ونمت ورودها وتفتح زهرها لنقف عندها في خشوع ونتأملها في خضوع ونخلق بيننا و بينها أسباب الألفة والمحبة - إنها محراب أولي البصائر وقد كان ذا بصيرة نيرة كان إذا تحدث عن وحدة الوجود ساردا ما قاله الفلاسفة وقف عند قول ابن عربي :-

قد صار قلبي قابلاً كل صورة
فـــدير لـــرهبان ووادٍ لغزلان
ادين بدين الحب انـــي توجهت
ركـائبه فالحب ديني وإيمـاني

---

* مجلة الخرطوم- ابريل ١٩٧٠م

ونهي تعليقاته ما عرفناه انه منتهي الاعجاب عنده (شيء عجيب) والعجيب حقا هو نفسه ان يكون موسوعة في كل علم ومرجعا لكل مما يمت الي المعرفة بل الي الدارين بسبب - له مجموعة من الطوابع النادرة - كمكتبته ووجدته يوما ينسقها بعناية فائقة علي انغام موسيقي حالمة وجلست كعادتي صامتا الي ان يبدأ ورفع رأسه وناولني خطاباً لاحد التجار الامريكيين يعرض عليه بيع الطوابع التي تحصل عليها لسكرتير هيئة الأمم السابق - داج همر شولد وارتفعت ضحكته وقال كيف عرف الرجل انها عندي وهو السؤال الذي جال بخاطري ؟ وبدأ يتحدث عن الطوابع في كل بلد وعن المبالغ التي تصرف ليحصلوا علي كل بلد منها وتوسع عن الجاسوسيه الكبري التي تسلط علي البلاد المستضعفه وربط بين هذه وتلك وصمت قليلا وتحدث عن الموسيقي التي كان يسمعها - انها من اسبانيا (لمصارعة الثيران) .

وكيف ان الروح العربية ظاهرة في هذا اللحن - الحرارة التي تغلي من الانغام - إنهم ورثوا دماءنا - دخل الي مكتبته ليخرج منها كتابا - وكان رحمه الله يعرف كتبه كما يعرف ابناءه - كتابا عن الدور الذي لعبه فنانو العرب في التطوير الموسيقي ويقاد الحديث الي الموسيقي واثرها في العلاج النفسي ثم رجع الي الأندلس وشمال افريقيا وما قاله ابن خلدون - صاحب علم الاجتماع - عن انفراط العقد وشتاته بعد ان كان متماسك (الحبات) !! وخلص الي معني الوحدة بين الشعوب العربية في هذا الوقت بالذات وانها المنقذ الوحيد الدليل علي ذلك انشغال الاعداء بها وبذلهم المال والجهد حتي لا تتم ولكنها ستتم لان الوعي قد إنتشر وان التيار سيكتسح التخلف - لا شك !!

شيء عنده اعظم من العلم الجماعي فاذا ما تحدث عن المستشفي قال الـ (Community hospital) هي ما يجب ان يشعر المدير ان نجاحه يتوقف علي اخلاص (الخفير) وان الخفير يجب ان يشعر بانه (المدير) بمعني ان خدماته التي يؤديها لها وزنها في نجاح العمل كله - فترابط الاسرة الواحدة في العلم ضروري وهو وحدة الذي يجب ان نبشر به .

كان متصوفا في سلوكه اذ ان التصوف ليس الانعزالية واللجوء الي الصوامع والبيع بل انه التحول من الكدرة الي النضرة وطرد الجفاء بالصفاء ولذلك عاش ما عاش وهو لا يحمل للناس الا قلب المحب وعاطفة الأنيس ونصح العالم ومواعظ الحكيم يألف ويؤلف - لا يحمل في قلبه مثقال ذرة من كبر أو غرورأو زهو صديق العوام والطعام من الناس - يحتفي بهم بالمقدار الذي يظهره لاكبر عالم واجل فيلسوف وهم عنده الركيزة التي يقوم عليها البناء وهم الذين ينجبون الفلاسفة والحكماء - لاشيء في هذا الوجود الا لحكمة ولا أحد قد خلق عبثاً - بهذه النظرة كان رحيماً ودوداً .

جئته يوما فخرج وأخذ مكانه بالقرب مني وأمرني أن أدير مفتاح السيارة وأطعت وبعد توجيهات منه وصلنا الي منزل بالخرطوم بحري ودخلنا وكان علي السرير شيخ عجوز مريض - وما أن رآه حتي تهلل وجهه وكأنما العـافية سـرت في عروقه فأبتدره الدكتـور (خلاص سنزوجك لبنت السلطان) عملنا كل شيء وبقي أن نخبر السلطان ليستعد وضحك الرجل من أعماقه وهو يستمع الي نادرة بعد نادرة وبعدها كشف عليه بسرعة وطمأنه علي صحته وقال أنه لا يحتاج الي دواء وخرج الرجل معنا يودعنا وهو يدعو الطبيب الانسان بطول العمر !! .

وكان من عادته رحمه الله أن يتدفق تدفق المتمكن معلقاً علي أي حادث عابر ويشير الي أسبابه ونتائجه ويستدل علي ذلك بما يحفظ من جوامع الكلم فإذا بالسامع مشدوه أمام هذا البحر الذي تتدفق الحكمة من جوانبه ويفيض البيان من نواحيه .

وأن لم تخني الذاكرة التفت الي أبي مغيث الحسين بن منصور الحلاج ونحن عائدون - وإستغفر الله أن أختلط علي الأمر ولكن الذي أذكره جيداً أنه طرق ما يتحلي به المتدين حقاً من تسامح دائم وقال أتذكر ما قاله الحلاج وهم ذاهبون به ليصلب - أنه صلي ركعتين ودعا دعاء طويلاً ختمه بقوله : -

هؤلاء عبادك قد أجمعوا لقتلي تعصباً لدينك وتقرباً اليك فأغفر لهم فأنك لو كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا ما فعلوا ولو سترت عني ما سترت عنهم لما أبتليت فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد .

وقبل سأله أحدهم عن التصوف وهو مصلوب فقال للسائل (أهونه ما تري !! ثم يردف - رحمه الله قائلاً - (انهم استطاعوا ان يتحكموا في عواطفهم ويجاهدوا أنفسهم جهاد المستميت ومن وصاياهم : - عليك نفسك ان لم تشغلها شغلتك) .

ونصل الي منزله فاذا به يتناول كتاباً صغيراً ذا صفحات معدوده (مطلوب كل طالب من كلام بن أبي طالب) وقد طبع سنة ١٨٣٤ بالعربية وبالفارسية واللاتينية ويبدو ان الذي اقتناه كان إنجليزياً إذ كانت هنالك ترجمة بقلم الرصاص علي كل جملة من مأثور قول الامام علي كرم الله وجهه .

ويبدأ عليه الرحمة في القراءة بصوته الهادي العميق : -

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا .

الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا .

من عرف نفسه فقد عرف ربه .

لا كرم أعز من التقوي .

لا شرف أغلي من الإسلام .

لا مقصد أحسن من الورع .
لا شفيع أنجح من التنويه .
لا داء اعيا من الجهل .
لا مرض أضنى من قلة العقل .
لا حياء لحريص .
الله بالصدقة .
من لان عوده كثفت أغصانه .

ويناولني الكتاب واضعه في جيبي وأسهر حتي أنقله وأرده اليه فيضحك ويقول (مرحباً باللص الشريف) !!

واذا به يقرأ في المختارات وكان بابي بالسودان الجديد التعليق علي الكتاب وكل حكم الامام أمام القراء الاعزاء منشورة في المختارات ويعجبه ما صنعت فلا يضن بعدها أبداً ولعل من الانصاف ورد الحق الي نويه أن أقول أن معظم قطع المختارات كانت النتاج الطيبّ للأمسيات العامره التي كنت اقضيها معه .

أقنعته ليتحدث لطالبات كلية المعلمات بامدرمان كنت عميداً لها وقد فتحت الأبواب لطلاب الحكمة من الجمهور وإني لاذكر تعليق أحد الفنانين من المعهد الفني في الرأي العام حين أستمع الي محاضرة منه عن الفن قائلاً عنه (انه نبي هذه الأمة) وأثني ثناء عاطراً عليه معترفاً انه جاهل بالفن وكان يحسب انه علي شيء !!

ويأبي الاستاذ الكبير علي شمو الا أن يطلب مني لاغريه حتي يشهده التلفزيون السوداني ووافق ويدأ محاضراته عن الحضارة الاسلامية وما أضافته للذات الانساني وقد علق الاستاذ نجيله علي هذه السلسلة قائلاً ما معناه يمكننا الان نفخر لا بعراقة إصولنا بل بالدور العظيم الذي قمنا به فاوربا من تلاميذنا وأمد الله في عمر الدكتور الذي بصر أبناء هذه الامة بمجد يمكنهم ان يعيدوه لو عكفوا علي العلم كما عكف دكتورنا العظيم وإتحدوا لينجزوا بعض ما صنعه أباؤهم !!

ان جوانب الدكتور المتعددة تجعل من يريد الكتابة عنه يلهث ولا يدري أيها أحق بالتوضيح من غيرها وكلها عظمة وخلود ـ قد أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً :

عمت مصيبته فعم مصابه *** فالناس فيه كلهم مأجور

إنه أصبح في ذمة التاريخ وكان ـ انما ينادي بالتاريخ وانه يعلم ويلهم وهو الآن أحرف من نور في صفحاته تعلم وتلهم ـ له الجنة ان شاء الله .

التجاني الماحي *

رئيس الجمعية الطبية السودانية

بقلم بروفسير صديق احمد اسماعيل

قبل عامين علي وجه التحديد .. وفي ظروف تختلف عن ما هي عليه الآن ونحن في صراع مرير مع السلطة الحاكمة آنذاك حول مشاكل الطب والاطباء بالسودان واجهتنا أزمة قيادة الجمعية الطبية السودانية وكانت الانتخابات علي الابواب والقوم يشتجرون ويصطرعون والحزبية تمزق أوصالهم وتشل تقدمهم ، هنا أشفق المخلصون والحادبون من الأطباء علي وحدتهم ومستقبل جمعيتهم وكان أكتوبر ما زال ذكري عطرة وكانت انتكاسة أكتوبر ما زالت غصة في حلوقنا ومذاقاً مراً في فمنا وكنا ندرك جيداً أن أكتوبر ما أغتيل ذات ليلة الا عندما تفرق شملنا وأختلف دروبنا وتشعبت مسالكنا ونحن في مثل هذا الجو الحزين كنا نبحث عن من يجمع شملنا بعد شتات ويوحد صفوفنا بعد طول فراق ، ووجدنا التيجاني رحمه الله .. مثالاً يجسد آمالنا ونبراساً ينير لنا الطريق ولم نختلف فيه أو عليه ، بل أخترناه بالاجماع ودون اللجؤ الي عملية الاقتراع وكانت تلك السابقة الأولي في تاريخ الجمعية الطبية السودانية وقاد التيجاني سفينتنا كربان ماهر .. فيلسوفاً ينفذ الي جوهر الأمر ويري ما وراء الحجب دون عناء أو مشقة وكان أكثر ما ينتصر له قضايا الشباب وأكثر ما يعني به تدريب الكوادر من الأطباء الشبان لتولي المناصب القيادية وفي ذلك كانت ثقته مطلقة لا تحدها حدود يهاجم بعنف وضراوة ذلك النفر المتشكك في مقدرات الجيل الصاعد حتي أشفقنا علي مسار العمل الذي سبر أغوار النفس البشرية كان دائماً علي صواب وكنا نحن الذين تنقصهم الخبرة والتجربة علي خطأ ، وثمة شيء آخر وهو اهتمامه الشديد بتقاليد المهنة واخلاقياتها ومثلها والسلوك العام والخاص للذين ينتمون اليها وكان لا يترك سانحة ألا ويذكرنا بالسلف وما تركه لنا من تقاليد يجب الالتزام بها ، وكان يحدثنا عن أبي قراط والرازي وابن سينا وجالينوس وغيرهم من الرواد الاوائل ، وهكذا سارت قافلتنا خلف حاديها ومرشدها تنتصر للقيم والأخلاق وتزيل العوائق وحققنا في تلك الدورة انتصارات أدبية ومادية للأطباء كانت مضرب الأمثال وحفظنا للطب والأطباء كرامتهم ووقفنا بحزم في وجه العابثين من داخلنا ومن خارجنا .

لقد كان التيجاني رحمه الله فكرة والفكرة لا تموت فهو خالد مع الشهداء والصديقين .

---

* مجلة الخرطوم - ابريل ١٩٧٠م

التيجاني الماحي

مله أروع مخطوطات في العالم *

وأدهش ملكة بريطانيا بخطاب جدتها !!

بقلم : الاستاذ قاسم عثمان نور

بمناسبة مرور ٥ أشهر علي وفاة العالم الجليل البروفسيور التجاني الماحي ١٩١١ ـ ١٩٧٠ التيجاني الماحي ولد بمدينة الكوة في عام ١٩١١ تخرج في كلية كتشنر الطبية عام ١٩٣٥ تخصص في الطب العقلي عام ١٩٤٧ أنضم الي هيئة الصحة العقلية بالأسكندرية للفترة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٤ حيث عاد في أواخر عام ١٩٦٤ ليكون عضواً بمجلس السيادة في أعقاب ثورة أكتوبر أنتقل لرحمة مولاه في ٧ يناير ١٩٧٠ .

التجاني وعلم البيليوغرافيا

شيء غريب أبتدرني قائلاً عندما قابلته لأول مرة وقد قدمني له الأستاذ أحمد عبد الحليم بمكتبه بكلية الطب وذلك منذ ثلاثة أعوام خلت .. وأذكر أن مقدمي قال له يسرني أن أقدم لك أحد أقاريك .. فنهض من مقعده وردد عبارته المأثورة .. شيء غريب .. أنت ولدنا ، كيف يجوز أن نتعارف الآن ، وقد كانت مقابلتي له لأعرض عليه بيليوغرافيا قمت بإعدادها عن الدراسات السودانية للفترة ٣١ ـ ١٩٦٧ ـ وكان أنذاك عضواً بلجنة التأليف والنشر فتصفحها بيد الخبير المطلع وقال : أن أهتمامه بعلم البيليوغرافيا « علم مصادر الكتب » بدأ يشد أهتمامه عندما كان يستمع لمحاضرة لأحد أساتذته في الاربعينات بلندن فقد بدأ أستاذه محاضرته بقوله : أن البيليوغرافيا نصف المعرفة وكررها عدة مرات .. وقال عالمنا التيجاني بصوته العميق وإيماءاته وأشاراته القاطعة .

لم أسمع بعد ذلك شيئاً عن المحاضرة .. وفي بساطة العلماء أردف قائلاً شيء غريب تعجبت كيف فاتتني هذه الحقيقة طوال ذلك ومن ذلك اليوم بدأت في جمع البيليوغرافيا ، وقد أخبرني ما جمعه من فهارس بيليوغرافيا في علم الفلك فقط يربو علي المائة ما بين مخطوط ومطبوع وهذا علم لا يدخل في نطاق أختصاصه اذا جاز لي قول ..

التجاني وتلاميذه :

أذكر أن قال أن أحد تلاميذه قد قدم له بحثاً عن الطب عند البابليين .. فسأله ماذا قرأت فذكر تلميذه أسـماء مرجعين أو ثلاثة .. فترك البحث جانباً وتناول من مكتبه مجـلداً

---

*صحيفة الاضواء عدد ٩/٥/١٩٧٠م

ضخماً وضعه الطالب قائلاً : هذا المجلد يحتوي علي جزء من ببليوغرافيا موضوع بحثك ويشتمل علي آلاف الكتب والمقالات المتعلقة بموضوعك هذا فاذهب وانقب عن المعرفة فسوف تجد المزيد مما قد اضفناه .. وقد كان دائماً يوجه تلاميذه للتعمق في البحث ، لفتح امامهم أبواب المعرفة ويعلمهم الجلد والصبر من أجل العلم وقد كان يضرب لهم المثل الحي ، بمقعده الدائم بمكتبة الكلية مكباً علي المخطوطات والمدونات .. بمسباته « المكبرة » ونظاراته العليا .

التجاني والمخطوطات :

« إن المخطوطات غيورة دائماً في ان تستحوذ علي كل أهتمام الانسان .. وعندئذ فقط تعرض أسرارها وتكشف عن روحها » كراتشوفسكي المستشرق الروسي .

وبالفعل قد استحوذت علي أهتمام عالمنا التجاني وكشفت له عن أسرارها ودنيا أولئك الناس الذين كانت مرتبطة بهم وتعتبر مجموعته « حوالي ٢ ألف مخطوط » من أغني المجموعات لدي الافراد ليس في شرقنا العربي بل وفي العالم أجمع وتحتوي علي النفيس النادر من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والقبطية وبعضها علي ورق البردي وأخر علي الرق « جلد الغزال » ، وأخر منذ بداية عصر الورق .

زياراته لأستنبول . وكان معظم وقته يقضيه مع باعة الكتب النادرة والمخطوطات . وجد مصحفاً فاشتراه وبعون الخبير التي لا تخطيء ثبت أن المصحف كان ملكاً للقائد المعروف جوهر الصقلي .

وبالاسكندرية تحصل علي النسخة الوحيدة من معجم « لين » وهو معجم أفرنجي - عربي وضعه المستشرق لين وبه الكثير من التصحيحات والاضافات بخط لين وقصة هذا المعجم الوحيد مثبتة في الطبعة الثانية إذ ذكر لين بانه بعد أن تم طباعة المعجم أخذ نسخة واحدة من الكمية وشب حريق في المطبعة بعد ذلك فأتت علي المطبعة وما فيها ونجت من الحريق النسخة الوحيدة التي آلت لمجموعة التجاني فيما بعد ، وقصة أقتنائها لا تخلو من الطرافة ، فذكر أنه وجدها في أحدي المكتبات بالاسكندرية ولكن بحكم تردده علي تلك الدور عرفوا خبرته في هذا المجال فاعتادوا أن يبالغوا في اسعار الكتب التي يطلبها فرجع اليه وأرسل أحد الاشخاص لشراء المعجم فاحضره بثمن قليل فلم يصدقه وقال أنه كان مستعداً لدفع مائة ضعف ثمناً له .

الخرائط

ومخطوطاته تزخر بمجموعه نادرة من الخرط يرجع بعضها الي عصر الادريسي الجغرافي العربي المشهور وبعضها الي أيام أحمد بن ماجه . أحد ربابنة فاسكو دي جاما .

وأخري لنهر النيل قبل الاستكشافات الجغرافية .. حيث كان يعتقد بأن النيل ينبع من جبال القمر .

التجاني والطوابع والنقود واللوحات :

تعتبر مجموعة طوابع السودان من أعظم المجموعات التي لدي الأفراد والمتاحف كما أن مجموعة نقوده تحوي قطعاً نادرة لا تقدر بثمن ويربو علي الألفي قطعة ، وله مجموعة من اللوحات الفنية النادرة وتزين مكتبه لوحات منذ عهد الفراعنة .

التجاني والخطابات التاريخية :

تضاهي مجموعة خطاباته بخط غردون مجموعة شقيقة غردون . وقد أهدي منها الملكة « اليزابيث » أبان زيارتها للسودان في عام ١٩٦٥ عندما كان رئيساً لمجلس السيادة أنذاك وقد دهشت تماماً عندما عرض عليها أحدي خطابات جدتها « فكتوريا » بخطها الي الرحالة - استانلي بيكر - مكتشف منابع النيل الأبيض وهذا غير خطابات بخط بروس واسبك ولفنجستون .

التجاني والتحف :

يحتفظ التجاني بمجموعة من التحف الأثرية النادرة متعددة الانواع والاشكال بعضها تماثيل فرعونية وأخري أحجبة وتمائم بابلية وكتابات علي الحجر مروية وهيروغلافية وأواني فضية ونحاسية وبرونزية يرجع عهدها الي آلاف السنين ومن تلك التحف يعتز بابريق نحاسي كان يخص الخليفة « الناصر » ولحصوله عليه ايضاً قصة . ذكر أنه كان بدمشق يرافقه أحد الاشخاص فتوقف أمام دكان أحد بائعي التحف فلاحظ بعينه التي لا تخطيء هذا الأبريق يعلوه الصدأ مزخرفاً بنقوش وخطوط كوفية متداخلة وبعد فحصه وجد كلمة الناصر والتاريخ مكتوبة بطريقة لا تخفي علي العين الخبيرة .. فاشتراه بمبلغ أثار حفيظة مرافقه والذي أخذ يجادل البائع في الثمن ولكنه سحب مرافقه وأسر له الخبر فزادت دهشة المرافق .

*

وقد تحسر رحمه الله عليه عندما خانه لسانه فافلت منه طقم شاي من مجموعة « نابليون » ذكر أنه كان متجولاً في سوق التحف - بفينا - فشاهد بين أكداسها ذلك الطقم وحرف النون الافرنجي يتوسط القطع وكان حرفاً مميزاً لممتلكات نابليون الشخصية وظن أن البائع يعرف قيمة الطقم فسأله بكم طقم نابليون هذا ، فاجابه البائع في دهشة واستغراب ماذ تقول : طقم نابليون ! .. هذا للعرض وليس للبيع ..

التجاني وعالم الكتب :

شغلت الكتب حيزاً كبيراً من حياة فقيدنا العالم وتقدر مجموعته بعشرين ألف مجلد

منها خمسة ألف مجلد من الطبعات النادرة وتعتبر مجموعته عن السودان من أغني مجموعات الأفراد علي الاطلاق وقد أنفق كل أمواله في جمع هذه الكتب وقد كان أسمه مدرجاً لدي باعة الكتب النادرة وقد كان يمدهم بقوائم الكتب التي يحتاج لها للاحتفاظ له بها حين ظهورها وقد كان يحفظ كتبه بدفنها في الرمال وهي الطريقة التي أتبعها الفراعنة . إذ تحمي الكتب من الحريق والغرق والحشرات وهذ العوامل أعدي أعداء المطبوعات .. وقد كان لا يبخل بها أطلاقاً ولا يمانع بل يشجع زواره وتلاميذه في أستلاف ما يحلو لهم .. وقد كان ينتهز المناسبات ليهدي مكتبة جامعة الخرطوم النادر منها مخطوطاً ومطبوعاً .

التجاني واللغات :

كان عالمنا الجليل ملماً بمعظم اللغات الحية بالاضافة لمعرفته التامة باللغة الهيروغلوفية والمروية وقد قام بتصحيح نطق وكتابة بعض حروفها لدي الهيئات العلمية المختصة هذا بالاضافة لمعرفته للفارسية والهوسا وكان حتي أخر أيامه يتعلم في اللغة العبرية والتركية .

التجاني المحاضر :

كان رحمه الله - في محاضراته العامة - يتدفق كالسيل يخال للسامع بأنه قد خرج من موضوع المحاضرة ولكن سرعان ما يكتشف المتتبع له ذلك الخيط السحري الذي يربط حديثه وكثيراً ما يقرأ من الذاكرة أحاديثاً لابن خلدون والفارابي والمعري .

وكان رحب الصدر يصتنت الي محدثه ويجيب علي أسئلته في صبر وأناة .. ويقف الساعات بعد انتهاء المحاضرة ليلقي محاضرة أخري ومناقشة محدثيه في الحلقة المعهودة التي تعقب محاضراته ، وأذكر أن دعيناه ذات مرة ليحاضر في دار موظفي جامعة الخرطوم وقد كان عدد الحضور ضعيفاً لبعض العوامل . فأدخلناه إحدي الغرف ولاحظ ارتباكنا وحرجنا فقال بنبرته العميقة . لا عليكم اني أعلم بان عدد الحاضرين قليل وهذا ليس وقفا علي مجتمعكم هذا بل يشمل جل المجتمعات بما في ذلك مجتمع العلماء . وقد حكي لنا بأنه أثناء انعقاد مؤتمر الأطباء العرب في احدي دوراته بالاسكندرية ان كان رئيساً لجلسة مسائية يتحدث فيها احد العلماء العرب عن العالم العربي «الرازي» ولشدة دهشته لم يحضر الجلسة سواه والمحاضر وأحد المستمعين فقال : فقمت وقدمت المحاضر وقال في تقديمه ان كان ليس من بين هذا الجيل أحداً من المستمعين الا ان هذه القاعة تملأها أرواح ابن سينا وابن رشد والفارابي وابقراط وغيرهم من السلف الصالح الذين سيشاركونا الاستماع .

التيجاني الطبيب :

اذكر عندما كنت طفلاً بالقرية شاهدت في احدى الايام جمعاً وجمهوراً أمام دارهم فعلمت ان الدكتور التيجاني قد وصل في إجازته وانه يقوم بالكشف وتوزيع الدواء على أهله ومواطنيه . وهكذا كان يقضي عطلاته في معالجة ومواساة المرضى ، الى ان شغلته ظروف العلم من قضاء إجازته بين أهله .. إلا انه كان يقدم لهم الكثير من المساعدة والاهتمام للأشخاص الذين يأتون طلبا للعلاج بالعاصمة حتى اواخر أيامه . وبالرغم من بعده عنهم لعدة اعوام فقد كان دائم السؤال عنهم متفقداً لاحوالهم .

التيجاني الانسان

كان رحمه الله متواضعا تواضع العلماء يستمع للصغير بقدر استماعه للكبير ويجالس البسطاء ويسامرهم . واذكر ان من أصدقائه بالقرية «سعد» والذي كان يعمل اسكافياً .. فقد كان يحلو للتيجاني الجلوس معه في اوقات فراغه وملاعبه النرد وقد أهداه فيما بعد قطعة نرد «طاولة» مطعمة بسن الفيل . كان موضع فخر واعتزاز لصديقه حدثنا حتى وفاته وكثيراً ما كان يراسله ويقدم له شتى المساعدات .

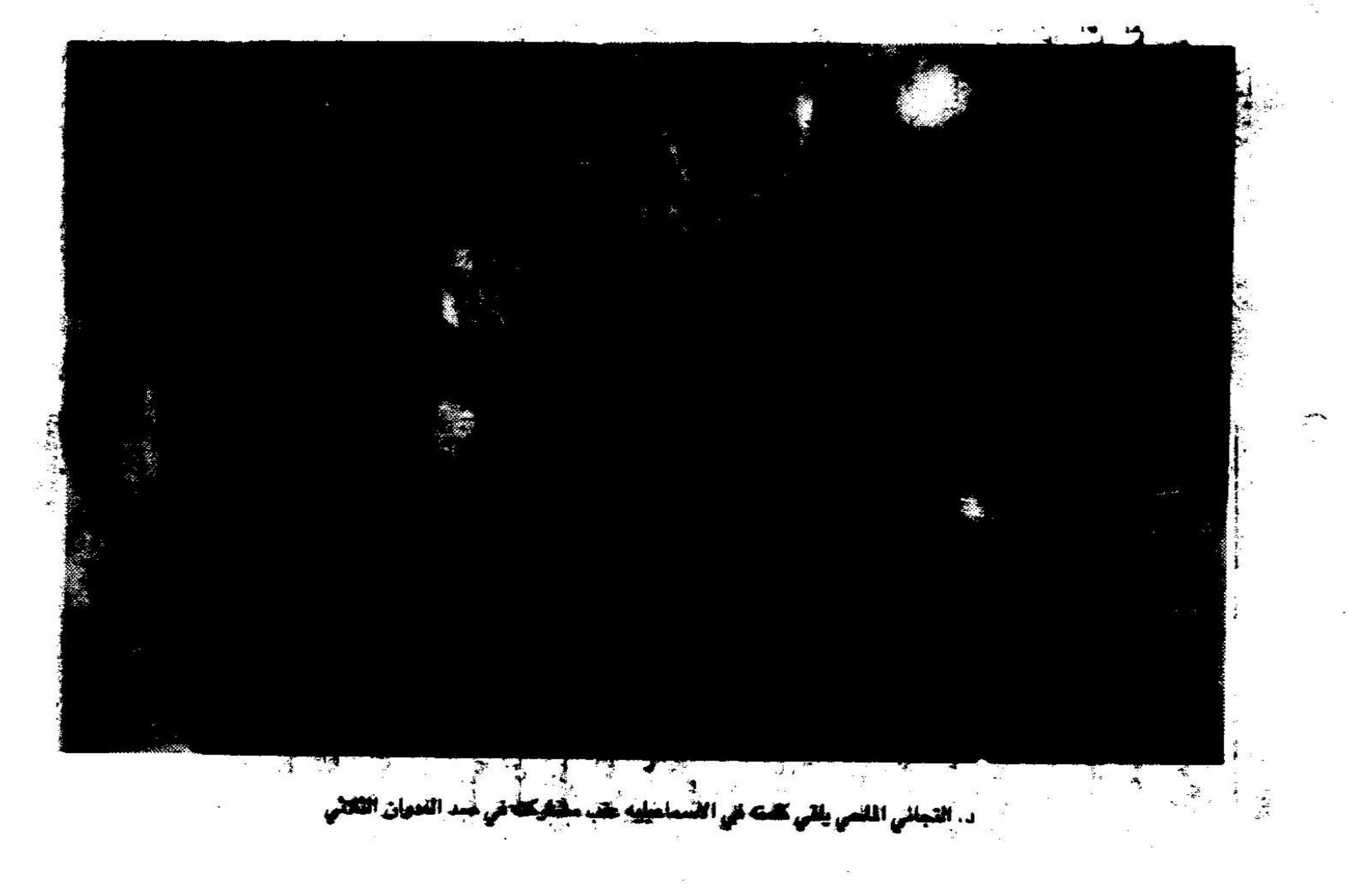
لتخليد ذكراه

كان فقيدنا يخطط لبناء مكتبة بمنزله يفتحها لمواطنيه لينهلوا من المعرفة .. بالاضافة الى حديثه الدائم عن اعداد فهرس لمقتنياته مع شرح المخطوطات التي تذخر بها مجموعته . وكلا العملين يحتاجان الى مجهودات كبيرة فلا أقل ان تتولى بلدية الخرطوم بحري مشروع اقامة مكتبة عامة باسمه تخليداً لذكراه ولا اخال بأن ابنائه وذويه وتلاميذه وأصدقائه سوف يبخلون عليها بالكتب اللازمة .

اما الفهرس الذي يحتاج الى ايدي خبيرة ومدربة فليس هنالك سوى مكتبة جامعة الخرطوم ودار الوثائق المركزية لاداء هذا العمل مع الاستعانة بمنظمة اليونسكو لمدها بالمعدات والخبرات اللازمة لإتمام مثل هذا العمل العظيم الفائدة ليس للسودان فقط بل لكل طالب المعرفة في شتى انحاء المعمورة .

خاتمة

هذه بعض الجوانب الصغيرة التي تلمستها في شخصية عالمنا الفذ . فقد كان فقيدنا متعدد العبقريات ولا يمكن لشخصي الضعيف الاحاطة بها . وهناك الكثير من جوانب حياته المضيئة الزاخرة بالعلم والمعرفة .. ألا رحم الله فقيدنا العظيم .. وأسكنه فسيح جناته ..



د. التجاني الماحي يلقي كلمة في الاسماعيلية عقب مشاركته في صد العدوان الثلاثي

التجاني الماحي *

خواطر وذكريات في ذكراه السابعة

بقلم : قاسم عثمان نور

في السابع من يناير من عام ألف وتسعمائة وسبعين ميلادية نعي للشعب السوداني وللأمه العربية ، علماً من أعلام الطب ، ومفكرا ومثقفا فريدا ..

فقد كان التيجاني الماحي النطاسي البارع والعالم الموسوعي ورائد الطب النفسي في الشرق العربي ، التيجاني الماحي الأثري المنقب والأديب الأريب ، والمترجم الحصيف ، والخطيب المفوه ، التيجاني الماحي القاريء النهم ، والراوية الحافظ ، والفلكي ، التيجاني الماحي النحوي المتبحر والفنان المطبوع ، المتحدث اللبق والمعلم الجليل ، الفيلسوف المتصوف والمفكر النابغ والوطني الغيور ، التيجاني الماحي عالم اللغات الحية والمنقرضة ، الدبلوماسي والاداري والانسان المتواضع ، التيجاني الماحي صاحب أضخم وأغني مكتبة خاصة ليس في السودان فحسب بل في العالم أجمع .

هذه ليست ألفاظاً أو مترادفات قصدنا أن نرصها في سجع أو تنميق لتضفي جمالاً أو رونقاً لما أسطره في هذه المقالة ، ولكنها الحقيقة بل حقيقة ناقصة لأن هناك العديد من الجوانب التي لم نتعرض لها . فهو كان عقلياً كالمحيط في وسعه وعمقه وكنوزه . ولو قدر له ان يعيش في بلد غير السودان لكان له اليوم شأناً وأي شأن ولأقيمت له التماثيل ولرصدت الجوائز العلمية والأدبية باسمه ولاحتفلت بذكراه الهيئات الاكاديمية والمجالس العلمية والمحافل الأدبية ولكن قد كان قدره ان يولد ويعيش ويموت في تراب هذه الأرض التي احبها وأحب أهلها ومواطنيها ولم يرض بديلاً عنها وكان أمامه أكثر من عرض للعمل في جامعات أوربا وأمريكا . ولكنه اكتفى من كل هذا أن يكون استاذاً زائراً في بعض من تلك الجامعات والتي عرفت قدره وكرمته ومنحته أرفع درجاتها بعد أن عجزنا أن يكون علماً وأستاذاً ومحاضراً بين أهله ومواطنيه ... ، وإنصافاً للحق فقد اطلقت كلية الطب بجامعة الخرطوم اسم فقيدنا على إحدى قاعات محاضراتها ، كما أسمت وزارة الصحة مستشفى الأمراض العصبية بأم درمان باسمه تخليداً لذكراه . وكما ... حديثي هذا بجوانب الفقيد المشرقة وأود أن أسلط ... من تلك الجوانب التي ...

* الايام ـ ١٩٧٦م

التجاني الماحي *

خواطر وذكريات في ذكراه السابعة

بقلم : قاسم عثمان نور

في السابع من يناير من عام الف وتسعمائة وسبعين ميلادية نعي للشعب السوداني وللأمه العربية ، علما من أعلام الطب ، ومفكرا ومثقفا فريدا ..

فقد كان التيجاني الماحي النطاسي البارع والعالم الموسوعي ورائد الطب النفسي في الشرق العربي ، التيجاني الماحي الأثري المنقب والأديب الأريب ، والمترجم الحصيه ، والخطيب المفوه ، التيجاني الماحي القاريء النهم ، والراوية الحافظ ، والمؤلف المتمكن ، التيجاني الماحي النحوي المتبحر والفنان المطبوع ، المتحدث اللبق والمعلم الجليل ، الفيلسوف المتصوف ، المحاضر النابغ والوطني الغيور ، التيجاني الماحي عالم اللغات الحية والمنقرضة ، الدبلوماسي والاداري والانسان المتواضع ، التيجاني الماحي صاحب أضخم وأغني مكتبة خاصة ليس في السودان فحسب بل في العالم أجمع .

هذه ليست ألفاظاً أو مترادفات قصدنا أن نرصها في سجع أو تنميق لتضفي جمالاً أو رونقاً لما أسطره في هذه العجالة ، ولكنها الحقيقة بل حقيقة ناقصة لأن هناك العديد من الجوانب التي لم نتعرض لها ، فقد كان فقيدنا كالمحيط في وسعه وعمقه وكنوزه ، ولو قدر له ان يعيش في بلد غير السودان لكان له اليوم شأناً وأي شأن ولأقيمت له التماثيل ولرصدت الجوائز العلمية والأدبية بأسمه ولأحتفلت بذكراه الهيئات الاكاديمية والمجالس العلمية والمحافل الأدبية ولكن قد كان قدره ان يولد ويعيش ويموت في تراب هذه الارض التي احبها وأحب أهلها ومواطنيها ولم يرض بديلاً عنها وكان أمامه أكثر من عرض للعمل في جامعات أوربا وأمريكا .. ولكنه أكتفي من كل هذا أن يكون استاذاً زائراً في بعض من تلك الجامعات والتي عرفت قدره وكرمته ومنحته أرفع درجاتها فقد آثر فقيدنا أن يكون طبيباً وأستاذاً ومحاضراً بين أهله ومواطنيه وأوقف حياته في خدمة بلاده . وإنصافاً للحق فقد اطلقت كلية الطب بجامعة الخرطوم أسم فقيدنا علي أحدي قاعات محاضراتها .. كما أسمت وزارة الصحة مستشفي الأمراض العصبية بأم درمان بأسمه تخليداً لذكراه . كما ذكرت في مقدمة حديثي هذا بجوانب الفقيد المشرقة وأود أن أسطر بعضاً من تلك الجوانب التي لمستها عنه .

---

* الايام - ١٩٧٦م

إبان معرفتي له لفترة وجيزة .

في كتاب الطبقات لمؤلفه ود ضيف الله تكررت عبارة تقول أن العلم يخرج من فلان دخاخين .. دخاخين وكنت أظنها عبارة تحمل الكثير من المبالغة ، ولكن الذي أستمع لفقيدنا في إحدي مجالسه لصدق تلك العبارة فقد كان العلم بالفعل يخرج كالدخان يلف الحاضرين بسحابة من المعرفة ويغمرهم بأمواج كالسيل المتدفق من الفكر والعلم والثقافة التي لا حدود لها . يقرأ من الذاكرة نصوصاً وأحاديثاً للفارابي وابن سيناء وابن خلدون وابن عربي والرازي وابن خلكان وابن رشد وابن الفارض وياقوت الحموي .. يتطرق لأرائهم ونظرياتهم في الفلسفة والتاريخ والاجتماع والأدب والتصوف ويخال للمستمع أنه يقرأ من لوح أمامه يكشف في عبارات سهلة وفي أسلوب سلس فكر وآراء أولئك السلف الصالح ، فقد كان يؤمن عن فهم بأن الثقافة العربية والفكر العربي ، لم يكن دورهما حفظ التراث الانساني .. كما يدعي بعض المستشرقين اليوم بل يوضح أن دورهما كان ايجابياً فقد حفظوا التراث وأضافوا اليه بل ابتكروا علوماً . ونظريات لازالت سارية الي يومنا هذا في الحساب والجبر والكيمياء والطيران والفلسفة وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الانسانية والتطبيقية .

كان فقيدنا يدهش السامعين في محاضراته وندواته وذلك بأرائه الصائبة واستنتاجاته الدقيقة . يدهش الحاضرين بسعة أفقه وغزير علمه بثقافته الموسوعية بذاكرته الفتوغرافية ، بحسن القائه ووضوح عباراته .

أذكر في منتصف الستينات عندما عاد من الاسكندرية حيث كان يعمل مستشاراً لهيئة الصحة العالمية بشرق البحر الأبيض ، أن قدم محاضرة بكلية الطب وكان عنوانها الطب عند الفراعنة وقد أم المحاضرة بجانب تلاميذه وزملائه مجموعة من أساتذة الطب الأجانب . وقد كان مقدراً لهذه المحاضرة أن تستمر لمدة ساعه واحدة ولكنها أمتدت طوال ثلاثة ساعات . والناس جلوس رافضين التحرك من مقاعدهم وكأنهم يطالبونه بالمزيد والاسترسال . وبعد نهاية المحاضرة علق أحد الاساتذة الاجانب ، فقد قال أنه ظل مشدوهاً لما يسمع وقال أن هذا الرجل عالماً بكل ما تحمله الكلمة من معني ولا يجد العبارات المناسبة التي يعبر بها عن قيمة هذه المحاضرة ..

التجاني الطبيب

عرف التجاني ومنذ بداية تخرجه بحبه وأخلاصه لمهنته كما عرف بتفانيه في خدمة ...ساه ، لايتواني في تلبية نداء الواجب تحت أي ظرف يدفع من ماله لمساعدة المحتاجين

والمعوزين ، وكان رحمه الله يؤسس صداقات متينة مع مرضاه . وعندما تحول الي ميدان الطب النفسي في الأربعينات . وكان ذلك العلم في مهده وأصبح من رواده ، وقد هاله ما يعانيه مرضي الأعصاب بالسودان آنذاك فقد كان بعض الفقراء والدجالين والمتشعوذين هم فرسان هذا الميدان ، فكانت التمائم والحجبات والكرباج والقيد والتشعيب هي أدوات العلاج السائدة ومن يقع في براثنهم قلما ينجو من ذلك التعذيب الوحشي ومن تلك المعاملة اللاإنسانية . وبعد عودة فقيدنا من الخارج عقب تخصصه وأفتتاحه لأول مصحة للأمراض العقلية بالخرطوم بحري .

كسبت شهرة واسعة وأمها أعداد غفيرة من المرضي وعلي يديه أستعاد الكثيرون صحتهم . ولم يكتف بالعلاج في المصحة بل قام بعدة زيارات لبعض المشايخ الذين اشتهروا بمعالجة مرضي الاعصاب .

وعقد معهم صداقات . وشرح لهم أهمية توفير جو مناسب لأولئك المرضي وتحسين معاملتهم ، وأقنع بعضهم بتحويل بعض الحالات له . وكان لمجهوداته التي بذلها في تأسيس الطب النفسي في السودان أثرها الكبير في تخريج وأعداد العديد من الأطباء والفنيين ، وهو بلا منازع أب الطب النفسي في السودان بل وفي أفريقيا قاطبة . .

التجاني وعالم الكتب

تعتبر مكتبته والتي آلت لمكتبة جامعة الخرطوم بعد وفاته من أثري المكتبات الخاصة . وتحتوي مكتبته علي أمهات الكتب ، خاصة الطبعات التي يرجع تاريخها الي بداية عصر الطباعة في القرنين الخامس والسادس عشر كما يلاحظ بأنه يحتفظ من الكتاب الواحد بعدة طبعات ، وجميعها كتباً منتقاة أشرف علي انتقائها بنفسه ، وقد لازمه حب اقتناء الكتب منذ بداية تخرجه ، فقد حرص أن يجمع وعلي مدي الأعوام أجود ما تخرجه المطابع في الشرق والغرب ، فقد كانت تصله وبإنتظام قوائم الناشرين ، كما أنه يبعث بقوائم لكتب ومؤلفات منتقاة . كان خبيراً في شئون الكتب . لا يبخل عليها بمال ، فاذا حاز مؤلفاً علي أعجابه لا يتواني في دفع أي مبلغ مهما بلغ قدره ، كانت دور الكتب والمكتبات هي الأماكن المفضلة ويخصها دائماً بجل وقته في كل البلاد التي زارها وما أكثرها ، تعرف علي العديد من باعة الكتب والمخطوطات ، وتمتاز مكتبته بالشمول ، ففي كل فرع في فروع المعرفة تجد مجموعة من الكتب تبلغ المئات بل الآلاف من كتب الجغرافيا والرحلات والفلسفة والتاريخ والآثار والطب وعلم النفس ، الآداب الأفرنجية والعربية كتب الفقه والتفسير والتصوف الفهارس

والموسوعات والمعاجم كتب الفنون والموسيقي والديانات والعلوم الطبيعية والتطبيقية كتب الاقتصاد ، والاجتماع والتجاني لم يكن يهوي جمع كتب للتفاخر والتباهي كبعض مثقفي جيله فقد كان قارئاً نهماً ومطلعاً مدققاً ويلاحظ ذلك في ما يدونه في هوامش الكتب وما يسطره من تعليقات عليها وقلما تجد كتاباً في مكتبته دون أن تجد بصماته واضحة فيه اشارة أو تعليقاً مما يؤكد أطلاعه عليه .

كما أنه لم يكن بخيلاً بها فقد عرف بأريحيته فكثيراً ما كان يهدي مكتبة جامعة الخرطوم - مجموعات نادرة من كتبه في شتي المناسبات كما كان يشجع زواره وتلاميذه وزملائه باستعارة ما يحلو لهم من مؤلفات ، واذكر في إحدي المرات قد زاره بداره عميد كلية الدراسات الشرقية بجامعة لندن وكان يصحبه الدكتور عبد الله الطيب فما كان من فقيدنا إلا أن أهداه مجموعة نادرة من كتاب « تاج العروس » طبعة ١٨٧٠ من عشرة أجزاء . فشكره الزائر علي هذه الأريحية وتضم اليوم مكتبته حوالي خمسة عشر ألف مجلد بالإضافة الي حوالي ثلاثة آلاف مخطوطة وقد قامت أسرته مشكورة باهدائها لجامعة الخرطوم والتي خصصت لها جناحاً خاصاً بالمكتبة وبجانب الكتبفقد كان فقيدنا مولعاً بجمع المخطوطات ومجموعة مخطوطاته والتي تزيد عن الثلاثة ألف مخطوطة تعتبر من أكبر المجموعات وأصبحت مكتبة جامعة الخرطوم تعتز بهذه الثروة العلمية والذخيرة القيمة ولو قدر لمكتبة الجامعة أن تخرج فهرساً علمياً لهذه المخطوطات فسوف تحدث بلا شك دوياً في الدوائر العلمية فربما تحتوي تلك المخطوطات علي مجموعات ونسخ نادرة ؟ مما يؤدي إلي إضافة هامة في مجال البحث العلمي .

أما مجموعة الخرائط والتي تبلغ عدة مئات أيضاً فهي خرائط بالغة الاهمية لما تحويه من معلومات كانت سائدة قبل العهود الكشفية الأخيرة .

أما مجموعة كتبه عن السودان فهي مجموعة نادرة وفريدة أيضاً خاصة القديم منها .

وفي حياة الفقيد قد عرضت عليه أحدي المكتبات العالمية مبلغاً يقارب المليون دولار ثمناً لها ولكنه لم يأبه لهذا العرض وأثر الاحتفاظ بها في السودان ليستفيد منها مواطنيه .

وبجانب ولعه بالكتب والمخطوطات فانه كان مولعاً بالتحف واللوحات والطوابع والنقود وله مجموعات نادرة من الغريب حقاً أنه كان يذكر قصة حصوله علي كل قطعة أو أثر من تلك الآثار فقد كان خبيراً فيها يغشي أسواقها ومحلاتها في رحلاته وأسفاره .

التيجاني والتأليف

وضع الدكتور التيجاني الماحي مؤلفه « مقدمة في تاريخ الطب العربي » وأهداه الي المؤتمر الأول للأطباء العرب فأصبح هذا الكتاب من أهم المراجع باللغة العربية في هذا المجال ، كما كتب العديد من البحوث والمحاضرات والتي نشرت بالمجلات والدوريات العلمية ويلاحظ أيضاً قلة مؤلفاته مع سعة أطلاعه ومرد ذلك فقد كان الفقيد ينفق جل وقته في الأطلاع والقراءة والقاء المحاضرات والندوات فقد كانت الكلمة المسموعة وسيلته في مخاطبة تلاميذه ومريديه ومما يؤسف حقاً أن معظم محاضراته وأحاديثه كان يأتيها من الذاكرة ويستعين بوريقة صغيرة بها رؤوس موضوعات فلم تسجل تلك الأحاديث والمحاضرات مما أدي الي فقدها تماماً ، ولو قدر لفقيدنا أن ينقطع للتأليف والكتابة لأخرج ما يدهش الأولين والأخرين ولكن شاءت المنية أن تعاجله وهو يعد العدة بلا إنقطاع للتأليف والكتابة .

التيجاني الوطني

عرف فقيدنا بوطنيته الصادقة ساهم في حركة الخريجين ، عرف بأعتداده بنفسه مما أهابه رؤسائه من الانجليز وله مواقف عديده معهم كما أن موقفه البطولي الذي وقفه أبان العدوان الثلاثي علي مصر في عام ١٩٥٦م وتطوعه وذهابه لميدان المعركة ، وقد أشاد بهذا الموقف فيما بعد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

وعندما أصبح عضواً بمجلس السيادة عقب ثورة أكتوبر الظافرة كان مثالاً للنزاهة والحكمة وسعة الصدر مما أكسبه حب كل الأطراف . رحم الله فقيدنا الجليل وأنزل علي قبره شابيب الرحمة فقد كان فقيدنا متعدد العبقريات لا أخالني في موقف يحصي أمجاده ويعدد مآثره .. ولكنه جهد المقل وفاء وذكري لفقيدنا العظيم .. ألا رحمه الله بقدر ما قدم لوطنه ومواطنيه .

التجاني الماحي *

١٩١١ - ١٩٧٠ *

في ذكراه العاشرة

بقلم : قاسم عثمان نور

ولد التيجاني الماحي في ابريل عام ١٩١١ بمدينة الكوة (مديرية النيل الابيض) وتلقي تعليمه الاولي بالكوة والأوسط برفاعة والثانوي بالخرطوم تخرج في كلية كتشنر الطبية عام ١٩٣٥ تخصص في الطب العقلي عام ١٩٤٧ حيث اوفد لبعثة دراسية للمملكة المتحدة .

- عمل واشتغل في كثير من مستشفيات السودان .
- أصدر آبان فترة الجمعية التشريعية في عام ١٩٤٨ بالإشتراك مع بعض الاطباء مذكرة عن الخفاض الفرعوني من أجل منعه .
- بدأ إهتمامه مبكراً بالكتب والمخطوطات مما مكنه من إنشاء اكبر مكتبة شخصية .
- أسس العلاج النفسي في السودان وإنتشل المئات من المرضي من براثن أدعياء الدين والدجالين .
- خلق روابط شخصية بينه وبين الفقراء الذين تخصصوا في علاج مرضي الاعصاب .
- من الرواد الاوائل الذين درسوا الزار وأثره في حالات مرض الاعصاب .
- إنضم الي هيئة الصحة العالمية حيث كان مستشاراً للصحة النفسية خلال الفترة (١٩٥٩-١٩٦٤) .
- عاد بعد ثورة اكتوبر ليكون عضواً بمجلس السيادة .
- عمل أستاذاً ومحاضراً ورئيساً لقسم الصحة النفسية بكلية الطب بجامعة الخرطوم وظل في هذا المنصب حتي وافته المنية في صبيحة اليوم السابع من يناير عام ١٩٧٠م .

مكتبة التيجاني الماحي والتي أهدتها أسرته بعد وفاته الي رحمة مولاه تعتبر من أعظم مكتبات الأفراد في شرقنا العربي ، ومجموعة مخطوطاته حوالي ثلاثة آلاف مخطوطة تعتبر ثروة قومية لا تقدر بثمن وقد قالت عنها البروفسير أولغا المستشرقة الروسية بعد هدية دكتور التيجاني الماحي تصير مكتبة جامعة الخرطوم من أهم وأغني مكتبات العالم .

---

* صحيفة الأيام- الأثنين ١٩٨٠/١/٧م

ومكتبة التيجاني الماحي ليست مكتبة عادية يجمع صاحبها كل ما يقع تحت يده من مكتبات ودوريات بل كانت مكتبة منتقاة فكل كتاب بها إنتقته يد خبير وعندما نتأمل مجموعة المكتبة حوالي عشرين الف كتاب نحس بالفعل بمدي الجهد الذي بذل في جمع كل هذه الذخيرة العلمية الواسعة كما ان مكتبته لم تكن مكتبة للزينة أو المباهاة أو التقليد بل كانت مكتبة للإطلاع والقراءة ، فمعظم الكتب تجد بين سطورها أو هوامشها اشارات وخطوط توضح وتؤكد إطلاع صاحبها وقرآته .

وقد عرف عن التيجاني انه قاريء نهم يلتهم الكتب التهاماً والكتب ترافقه دائماً في كل جولاته وأسفاره كما كانت تشاركه غرف المنزل والمكتب والعربة .. وفي كل مكان ينتقل إليه فقد كان الكتاب يلازمه هكذا ظل فقيدنا التجاني الماحي ملتصقاً بالكتاب حتي اخر يوم من حياته .

ورغم اهتمامه الكبير بالكتاب فانه لا يبخل اطلاقاً باهدائه لاصدقائه واعارته لهم وتشجيعهم لقراءته ، فقد كان باب بيته مفتوحاً لاصدقائه ومعارفه وتلاميذه للتزود بأحاديثه وقراءاته ومطالعته وفي حياته اهدي الكثير من الطبعات النادرة والمخطوطات القيمة لمكتبة جامعة الخرطوم كما كان يهدي المطبوعات للزوار والعلماء .

المخطوطات

(٣٠٠٠ تقريباً)

تعتبر هذه المجموعة من المخطوطات من أعظم المجموعات ، وربما كشفت الايام القادمة عن مخطوطات نادرة ولو قدر انجاز فهرس ووصف لتلك المجموعة فبلاشك سوف تكون قبلة الباحثين والمهتمين بالتراث العربي والدراسات الاسلامية من العالم قاطبة ـ ولمكتبة جامعة الخرطوم ان تعتز وتفخر بهذه المجموعة الفريدة من المخطوطات .

كتب التراث

تعتبر كتب التراث من اقيم المجموعات منها كتب ابن رشد تفسير ما بعد الطبيعة وتهافت التهافت ـ وتهافت الفلاسفة ورسائله .

ولابن سينا ـ أحوال النفس ، الارجوزة في الطب ، الاشارات والتنبيهات ـ رسالة حي بن يقظان ، الشفاء (طبعة الحجر)

القانون في الطب تسع رسائل ، في الحكمة والطبيعيات رسالة في ماهية العشق والبرهان في كتاب الشفاء .

ابن عبد ربه : العقد الفريد في ثمانية طبعات مختلفة .

ابن قيم الجوزيه : كتاب الصلاة (الطب النبوي) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية .

عدة الصابرين - الفروسية .

مدارج السالكين .

ابن ماجد : الفرايد في أحول البحر والقواعد .

ابن ميمون : كتاب الطب القديم .

ابو العلاء المعري سقط الزند - اللزوميات - رسالة الغفران (من عدة طبعات)

كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني نحو ٢١ مجلداً ستة طبعات مختلفة .

مؤلفات جابر بن حيان ومصنفاته في علم الكيمياء ومؤلفات الثعالبي في فقه اللغة ومؤلفات الجاحظ والتي تبلغ سبعة وعشرين كتاباً والبلاذري وكتابه فتوح البلدان في أربعة طبعات مختلفة ومقامات الحريري في ثلاثة عشر طبعة مختلفة ومولفات ابن خلكان وابن الجوزي وابن العربي وابن الفارض وديوان ابن الفارض في خمسة عشر طبعة مختلفة وكتاب كليلة ودمنة لابن المقفع في عشرة طبعات مختلفة وابن حزم وطوق الحمامة وابن خلدون ومقدمته والرازي والحاوي والطب والزمخشري وأساس البلاغة والسبكي والطبقات والمقريزي والخطط والاثار والمسعودي ومروج الذهب واليعقوبي وتاريخه والغزالي وفلسفته والفارابي وعلمه والمتنبيء وشعره كل هذا بجانب المؤلفات الحديثة .

كتب السودان

(حوالي ١٥٠٠ كتاب)

تعتبر مجموعة كتب السودان من أغني المجموعات فهي تمتاز بطبعات قديمة ومتنوعة ومعظم الطبعات القديمة منها قد نفذت عن المكتبات تماماً ففي مجموعة كتب الرحالة يلاحظ (بروان بولبرت بيكر - شابمان - كايو بوكستني - بونسيه بدج استانلي شيفروث بتريك بروس - برونت) .

وفي كتب الأثار والتاريخ القديم والحديث مجموعات قيمة ونادرة وقد أهتم بمؤلفات غردون وما كتبه وما كتب سلاطين السيف والنار بطبعاته العديدة ولغاته المختلفة .

وفي علم الاجناس والقبائل نلاحظ مؤلفات افانز بريتشارد عن النوير والدينكا والزاندي وسليجمان عن الزاندي وبولمان عن البجا وكنسون عن البقارة وغيرهم .

بجانب مجموعة كاملة من مجلة السودان في مدونات والتي صدر العدد الاول منها في عام ١٩١٨م كذلك مجلة كوش في الاثار السودانية ومجموعة وقائع مجلس الحاكم العام .

الخرائط

(٧٦٠ خارطة)

تعتبر هذه المجموعة من الخرائط من المجموعات النادرة فبعضها طبع قبل العهود الاستكشافية الاخيرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في افريقيا حيث يظهر في بعضهاالنيل الابيض وسط القارة ويرجع تاريخ بعض الخرط الي القرن الخامس عشر الميلادي وهو أول عهد الطباعة .

يعتبر التجاني الماحي أحد المهتمين بالأعمال والمشغولات الفنية من لوحات قديمة وحديثة وتحف وآثار وتخليداً لذكري الفقيد فقد أهدي الفنان علي الماحي (أخ الدكتور التجاني) لوحات معرضه الاول - وقد زينت لوحاته هذه جنبات مكتبة التجاني ويحتفظ التجاني ضمن مقتنياته الفنية بلوحة رسمها احد مرضاه حيث رسم الشيطان وكلمة السلام وأسم الجلالة - كما يحتفظ بمكتبته بتابوت فرعوني وابريق نحاس عربي ومجموعة من التحف والانانيك المختلفة وتحتل الجزء الاخير من المكتبة لقسم المخطوطات حيث يحتفظ ايضا بكرسي الأستاذية والذي أهدته له جامعة كولمبيا .

مؤلفاته

للتجاني الماحي حوالي اربعين بحثا نشرت باللغتين العربية والانجليزية في المجلات والدوريات وأشهر مؤلفاته كتابه بالعربية مقدمة في تاريخ الطب العربي والذي صدر في عام ١٩٥٩م ويعتبر من المراجع الهامة في تاريخ الطب العربي - هذا بجانب أبحاثه التي نشرتها هيئة الصحة العالمية - أبان فترة عمله مستشاراً لها بالمكتب الاقليمي شرق البحر الابيض المتوسط بالاسكندرية وبعضها عن رعاية الاسرة والطفل وأثار ومضار المخدرات والزار الخ .

وقد عرف عن التجاني انه كان متحدثاً ومحاضراً أكثر من كونه كاتباً أو مؤلفاً وقد كانت معظم محاضراته ان لم تكن جميعها يلقيها من الذاكرة ولا يسجل سوي نقاط فقط لم يلتفت احد الي تسجيلها أو تدوينها وبذلك قد فقدت بفقده ورحم الله فقيدنا وأنزل علي قبره شآبيب الرحمة .

استقبال ملكة بريطانيه بمطار الخرطوم

د. التجاني الماحي ود. عبد الحليم محمد في وداع ملكة بريطانيه

حوار مع المستشرقة السوفيتية *
بروفسير أولقافرولوفا

أجراه : قاسم عثمان نور

قابلت البروفسير أولقا في قسم المخطوطات بمكتبة التجاني الماحي بجامعة الخرطوم وكان بصحبتها البروفسير عبد الرحمن النصري - أمين مكتبة جامعة الخرطوم ودار بيني وبين البروفسير أولقا حديث طويل أنقل بعض فقراته للقراء .

سألتها أولاً عن أهمية مخطوطات التجاني الماحي فأجابت : بعد هدية الدكتور التجاني الماحي لهذه المخطوطات (حوالي ٢٦٥٠ مخطوطة) تعتبر جامعة الخرطوم من أغني وأهم المكتبات في العالم من ناحية الثروة الفائقة في المخطوطات العربية النادرة .

ورغم قصر المدة وعدم وجود فهرست للمخطوطات الا أنه أمام الباحث مجال واسع لاكتشافات جديدة ومثيرة في عالم المخطوطات .

وقبل دخولي لمكتبة التجاني الماحي لقد سبق وأن حدثني البروفسير عبد المجيد عابدين وتكلمت معه كثيراً بخصوص هذه المخطوطات فقد سبق له أن شاهدها بمنزل الدكتور التجاني الماحي وأوضح لي بأن من بينها مخطوطات قيمة جداً .

تشمل المخطوطات شتي علوم المعرفة الانسانية فهنالك مخطوطات في الفقه وأصول الدين والشريعة وتاريخ الاسلام وعلم الفلك واللغات والقواميس والتاريخ القديم والجغرافيا - وقد لفت نظري بوجه الخصوص تاريخ ابن أياس ومروج الذهب المسعودي .

سؤال : كيف جئت للخرطوم ؟

أجابت بأن بين جامعة لينجراد وجامعة الخرطوم اتفاقية التبادل الثقافي ومن بين بنود الاتفاقية البحوث المشتركة في المخطوطات الموجودة بمكتبة جامعة الخرطوم ومكتبة لينجراد .

سؤال : عن جهود المستشرقين السوفيت في مجال تحقيق المخطوطات العربية ؟

أجابت - بدأ العلماء الروس المستشرقين في بداية القرن التاسع عشر الميلادي ومن هؤلاء العلماء الاكاديمي فرون في بداية القرن والاكاديمي روزن في نهاية القرن فالاكاديمي المشهور كراتشوفسكي .

---

* صحيفة الأيام ١٩٨٠م

وقد قام هؤلاء العلماء بأحياء التراث العربي واكتشفوا لأول مرة في التاريخ بعض المخطوطات التي ظلت مجهولة لحقب طويلة من الزمن مثل كتاب الاخبار الطويلة لأبي حنيفة الدنيوري وكتاب المنازل والديار لأسامة أبن منقذ .

وهذا ربما يعتبر أول كتاب في الأدب العربي المعبر عن حب الوطن وكذلك ثلاثة أراجيز لأحمد ابن ماجد وهو ملاح عربي شهير وملقب بأسد البحر وكذلك ديوان الأخطل الذي أصبح معروفاً لأول مرة في العلم الحديث بفضل مخطوطة لينجراد - رغم اكتشاف نسخة أخري في بعض البلدان فيما بعد .

والأكاديمي كراتشوفيسكي أكتشف بعض المؤلفات العربية في مكتبة بلدان أخري .

ففي مكتبة الازهر عثر علي مخطوطة تحتوي علي رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري وحققها ونشرها في مدينة لينجراد عام ١٩٢٦ وأبرز أهمية المخطوطات في مكتبة بلدية الاسكندرية وبينها ديوان عمر المحار وعمل العلماء الروس في أحياء المخطوطات الفريدة في لينجراد ومن بينها ديوان ابن قزمان الاندلسي وقاموس يوسف المغربي المصري بعنوان (رفع الأصر عن كلام أهل مصر) .

سوال : عن أهم أماكن حفظ المخطوطات العربية بالاتحاد السوفيتي ؟

أجابت : معظم المخطوطات مركزة في مدينة لينجراد في الأماكن التالية :

١ - مكتبة المعهد الاستشراقي - وهي مكتبة متحف العلوم الاسيوية سابقاً .

٢ - مكتبة دار الكتب العامة .

٣ - مكتبة جامعة لينجراد .

سؤال : هل جميع المخطوطات المحفوظة بتلك الدور مفهرسة ومصنفة ؟

الاجابة : لقد قام المستشرقون السوفيت في لينجراد بفهرسة ووصف المخطوطات بتلك الخزائن ولكن بعض المخطوطات ليس لها وصف كامل ومن العلماء الذين أنجزوا هذا العمل أنس خاليدوف وفيكتور ليبدوف والكسندر ميخايوه ومخائيل بوتروفكسي وغيرهم ، وهم يمثلون المدرسة العلمية التي أسسها العالم المستشرق كراتشوفسكي واضع كتاب الأدب الجغرافي ترجمه الي العربية صلاح أدين هاشم (السفير بوزارة الخارجية السودانية) .

سؤال : عن أهم أعمالك في مجال تحقيق المخطوطات العربية ؟

الأجابة : ضمن مجموعة عالم روسي موخلوتسكي الذي أكتشف لأول مرة كتاب البلدان لليعقوبي ، عثرت علي مجموعة فريدة تحتوي علي مواويل مصرية شعبية وحققت جزء

منها سنة ١٩٧٣ وستصدر المجموعة كاملة في هذا العام ان شاء الله .

وبين هذه المواويل موال أوحي للأديب الروسي المشهور بوشكين الي تاليف بعض أشعاره المعروفة ، وقد عرف بوشكين هذا الموال من الترجمة الفرنسية التي قام بها يوسف يعقوب وبوشكين عميد الأدب الروسي الحديث (١٧٩٩ ـ ١٨٣٧م) جده أصلاً من بلاد السودان القديم (السودان ـ الحبشة ـ ارتريا) وايضاً لدي أبحاث في :

كتاب الكامل لابن الأثير .. وكتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، لزكريا القزويني .

وفي مجال الترجمة قمت بترجمة رواية زينب لمحمد حسنين هيكل ومجموعة من قصص المقاومة الفلسطنية وبعض القصص العربية .

سؤال : إنطباعاتك عن السودان ؟

أجابت : أنني سعيدة جداً بزيارتي للسودان وقد وجدت كلية الاداب التي يرأسها البروفسير عثمان سيد أحمد وشعبة اللغة العربية وعلي رأسها بروفسير صلاح الدين المليك في حالة أزدهار .

وتعرفت علي علماء أجلاء بروفسير عبد الله الطيب والذي كان يرأس الاتفاقية الثقافية وأقترح الأبحاث المشتركة في المخطوطات وأيضاً الأستاذ عبد المجيد عابدين ومن هؤلاء العلماء ألتقيت بالدكتور ابراهيم الحاردلو وهو باحث بارز في الأدب العربي واللغات وكذلك أديب ممتاز في مستوي عالمي وقرأت قصته غربة الروح وهي ممتازة حقاً وكتبت مقالاً عنها سأنشره بعد عودتي وقرأت لعبد المجيد عابدين الأدب الشعبي في السودان وكتابه عن أصول اللهجات العربية السودانية ، وقرأت ديوان عبد الله الطيب (أغاني الأصيل) وأعجبت جداً بقصيدة (طريق سمرقند) .

كلمة أخيرة نأمل أن يستمر العمل في البحث عن المخطوطات لمصلحة أحياء التراث العربي ولأزدهار الأدب العربي الخالد ، وشكراً .

فقد الشرق عالماً لايباري*

بقلم الدكتور حسبو سليمان

ودع العلـــم والحجـي يوم ودعت *** وريعت من هول ذاك الخطـوب

فـاض دمع مـرثه منا عيـــون *** اذ بكت بالدمـاء منـا قلـــوب

كـل خطــب يهــون لكن منعـاك *** لشـعب أسـيته لرهيـــب

كنت طبـا بكـل داء عصـيب *** كيف يخفي عليك داء عصيب

قـــدر لا نجـــاء منـه وحـين *** يوم تقضي الحياة فينا ونـوب

يـا عليمـا بالنفس أوغـل فيهـــا *** كيف حال النفس حين تغيـب

كنت تجلـو لنـا غـوامض كـون *** وتزيح السقام عمن اصيبوا

كنت تغني لتسـعد النـاس طـرأ *** كنت تحي المني وأنت تـذوب

كل سِـفرٍ طـويته كـان نـوراً *** في ظلام تضل فيه الـدروب

انت والليـل والكتــاب وعقــل *** المعـــالي والعلــوم طلــوب

عفت دنيـا الأوهـام إذ ليس فيهـا *** لنبي أعطـي وأوفـي نصيب

كنت تنـأي لكي تعـود فتعـط *** ويكاليـك للأنـام العجيـب

جهـل النـاس فيك آيات إعجــاز *** وفي الناس مخطيء ومصيوب

فقـد الشـرق عـالماً لايبـاري *** ودهـاه المصـاب فهو حـريب

أيـن من كـان للمحـافل بـدراً *** وخطيباً يصغي اليه الخطيب

ياشـجاعاً في الرأي لم يثنه العـزم *** وأني للحـر وهـو صـليب

ثرت يوم العدوان في مصر وانحـزت *** كـريماً وما تنتك الحـروب

همة الحـر كالسيوف مضـاء *** وعليهـا في الغـابهين رقيب

خرج النـاس للـوداع حيـاري *** وتعـالي عند الفراق النحيب

خشـعوا والهـين لله صـبراً *** فالإله العظيم سـوف يثيب

ينشـدون السـلوان فيك وهيهـات *** فباب السـلوان منهم غـريب

كل خطب يهـون لكن منعـاك *** لشـعب آسـيته لـرهيب

---

* الأيام عدد رقم «٥٨٢٨» ١٢ / ١ / ٧٠

يا رحمة الله العلي تنزلي*

للشاعر التجاني عامر

كنـــا نظنك باقيـا فيمـن بقي *** تسمو بعلمك في الحيـاة وترقي

لم يخطر المـوت المشـت بخـاطر *** نخشي عليك صــروفه أو نتقي

عشــنا بخلـدك ناعمين لأنـه *** خلد الكواكب بالســنا المتالق

يـا باحثـا تحـت الأديم زمـانه *** يمضـي بعـزم منقب ومحـقق

أفنيت عمــرك كله في لجــة *** للعلـم فضــت بمائها المتدفق

من للعلوم يغـوض في أعمـاقهـا *** ويحـل مبهمـا بعقل مشـرق

ومن للفنون علي إختلاف شـكولها *** يضفي عليها مـن صـفاء المنطق

من للقـديم تدارسـت آثـاره *** يكسـوه ديباج الجديد الشـيق

من للحضـارات القـديمة بعثـرت *** عبـر القـرون تـألقت في رونـق

من للمصـــادر والمراجـع حيثمـا *** رقدت يحـل وثـائقها وتشــوق

من للذخـائر للنفـائس بعــــده *** هـو وحـده عرف الجيـاد لينتقي

من للتـراث دفينـه وحصـــينه *** يختال في حلل الشـباب الـريق

من لابن سّينا وابن رشـد صـاحباً *** يغشاهما غشي السحاب المغدق

ويفض أختـام الطلاســم مبدعا *** ويكب أكبـاب الهـوف المشــفق

يا طب جـالينوس إنـا معشــر *** وقفت خطـانا عند بـاب مغلـق

الرائد الموهـوب صـوح زهـره *** ويحـي علي بســتانه المتعبـق

ويحي علي الأدب الرفيع يصـوغه *** ســهلا بغير تكلـف وتحـذلق

ويحي علي الحجج الكبـار تناثرت*** عفـواً بثـاقب فكـره المتفتق

ويحي علي النفس الأبية أحجـمت *** عن مسـلك المترصـد المتملق

ومضـت الي ملكوتها مرضـنـية *** والنـاس بين مكذب ومصــدق

لكنهـم والمـوت حـق قــائم *** ودوه لـو كـان غيـر محــقق

يا رحمـة الله العلـي تنــزلي *** يـارحمـة الـلـه العلـي تدفـقي

---

* الأيام ـ العدد ـ رقم « ٥٨٣٩ » بتاريخ ١٣ يناير ١٩٧٠ م

نقيدنا التجاني : حي باقي في قلوبنا *

بقلم د. طه بعشر

لقد شق علي ان استمع وأنا خارج السودان الي نعي استاذنا الجليل الدكتور التجاني الماحي الأمر الذي ضاعف في نفسي وقع المصاب الأليم وأسلمها الي أحزان ممضة .

كان زميلي واستاذي الفاضل العالم مدرسة جامعة لم نتلق عليها الطب النفسي الذي كان خلوا منه وحسب وإنما نهلنا من فضله العذب ومن منهجه الفذ نزر من بحر فياض بالعلم وبالمعرفة وبالتقدم الفكري الخلاق وبقوة المنطق وبالنبل الانساني الزاخر بحبه وباخلاصه .

وقد امتلأت نفسه الكبيرة ـ عطر الله ثراه ـ الي جانب نبوغه العلمي بمثالية ووطنية فريدة جعلته يتفاعل تفاعلاً حاسماً وإيجابياً مع شتي الأحداث فتجلت أسمي ما يكون التجلي يوم حمل السلاح أبان العدوان الثلاثي علي مصر الشقيقة ووقف مع زملائه الأطباء جندياً عادياً من جنود الوطن العربي يزود عن ترابه ويضمد من جراح بنيه ويرد الي نفوسهم القلقة الزمن والثقة ، وتجلت هذه الوطنية علي الصعيد المحلي مرة أخري عندما تقلد منصب رأس الدولة وعمل بحكمته الثاقبة ، وحاول أن يفهم الرجعية ما غاب عليها أن تفهمه وكان يشقي بسلوكها المخل وبتغولها علي مكاسب الشعب التي حققها في ثورة أكتوبر الخالدة .

إن شجاعة فقيدنا العظيم وجسارته النافذة وعلو همته قد إمتدت الي عالم الفكر ، فارتادت ميادين طالما تهيبها الكثيرون . وكانت طاقته أكبر من الزمن ، وكم قضي الليل حتي فجره يخوض بحور العلم ويطوف بين رياض الشعر وفنون الأدب وينقب بين المخطوطات ويحل رموز الهيروغلوفية ويتأمل فلسفات الأمم الماضية والحاضرة ويضفي علي كل ذلك فيضاً من عقله المبدع .

وكان همه الأول ان يتعلم ويعلم الناس ، وكان منطقياً في علمه ، ما تحدث إلا وأوفي وما جاء طالب علم الا وغمره بعلمه وكتبه وكان دائماً يذكرنا بحكمة ابقراط بأن العمر قصير والصناعة طويلة .

لقد إكتشف الراحل العظيم العالم الخارجي واكتشفه علماؤه وفلاسفته . ونحن الذين

---

* الايام ـ يناير ١٩٧٠م

أتينا من بعده وجدنا الطريق أمامنا معبداً فكان لنا نعم المرشد ونعم المعلم ونعم الملهم .

كان يلقبه زملاؤه الأجانب بابي الطب النفسي في أفريقيا وشهدت له المحافل الدولية بذلك فكان نجم مؤتمراتها فان غاب هلالنا اليوم فقد ترك من التراث ما سيبقي ساطعا ينير الطريق لرواد العلم وأجيال المستقبل لقد أضاء أستاذنا التجاني عقولنا ومتعنا بآرائه وفلسفته وسيظل اسمه مقرونا بمشاهير الحكماء والمفكرين أمثال : ابي قراط وجالينوس ، وابن سينا ، وابن رشد وابن مالك وابن حزم والفارابي والفردوسي وفرويد وغيرهم .

فقد عاش حياته معهم يقف عند كل حكمة ويقلب كل رأي ويتذوق الجديد من مآثرهم وينتقي المفيد الخير من أفكارهم .

استاذي العظيم التجاني الماحي لقد رحلت عنا ونحن أكثر ما نكون حاجة لك ، فكنت نعم الأخ والخل والأب .

ونحن اذ نتقبل قضاء الله وقدره أعاهدك باننا سوف نحمل الرسالة من بعدك . ولتكن نفسك راضية مرضية فانت حي باق في قلوبنا والي جنات الخلد يا تجاني جزاء لما قدمت ووفاء لما أسلفت .

د. التجاني الماحي يشارك في احتفالات تأميم قناة السويس

التجاني في ذكراه *

بقلم : جمال محمد احمد

شكراً لك ابني حسين ، ولاخوتك في اتحاد طلاب كلية الطب في الجامعة .

انكم تحسنون ان تذكروا الصديق العزيز التجاني هذا المساء وقد مضي عام علي رحيله ، والصحافة ترجو لكم التوفيق الذي عقدتم العزم عليه من جمع آثاره ، وهي فيما تعلمون كثيرة مبعثرة ، ما عكف عليها صديقنا الراحل ، فقد كان هذا دأبه ، ويطوف بي خاطر ، لكنه يستحيل . ان يجمع بعض الناس أحاديثه ، كما فعل بزول باحاديث جونسون ، فقد كان جونسون ، كصديقنا التجاني يتقن الحديث ، ويكتب من حين الي حين ، يستحيل هذا لان بزول قضي أعواماً يجمع أحاديث جونسون ، وكتابات بزول ، وكانت أياماً هينة لينة تكلم الأيام ، يستطيع الواحد ان يبدأ ويقر ، لا كأيامنا هذه العجلة ، تقذف بك ساعة لاختها وانت لاهث تعالج في اليوم عشرات القضايا وأكثرها غير جدير ، لكنه خاطر من يدري ؟ ربما أتيح للتجاني بزوله .

شيء آخر أقدم عليه ، وأنتم تجتمعون ، وسيتفق معي الذين عرفوا استاذكم معرفة واثقة ، لن يريد لكم ان تحزنوا عليه او له ، لقد بقي معنا واحداً ممن لا يجدون فسحة من الوقت للحزن ، أو الفرح ظل معنا يستغرقه عمله ، يطوقه يخال اليّ وأنا أدير ذكراه في رأسي هذه اللحظات ، انه كان معنا بجوارحه ، يحدثنا ، لا نعنيه ، الا بقدر ، يتحدث الي نفسه وعيناه في أعيننا ، يتحدث ، يصنع كلمة وجدانه في كلمات ويصوغ منطقه في عبارات ، نحن مواضيع تجاربه ، يسير عبرنا الحقيقة ، عاش يبحث عنها بكل سبيل ، وليس كله مجازاً هذا الذي أقول .

دخل عليّ يوماً في الظهيرة ، يحمل تحت إبطه قدراً غير يسير من أعشاب خضراء ، شديدة الخضرة ، قائم كل واحد منها علي ساق طويل يميل الي الصفرة ، ما هو بالاصفرار ، والقي بها علي كرسي ، كان جانبي وجلس قبالتي يتحدث ، ولكن كمن يواصل حديثاً لا كمن يبدأه ، شرع يتحدث ، وكأنه يكمل لي حديثاً ، كان قد قطعه ، وجهدت لأقدم له أخاً من كينيا كان معي ، يحدثني عن العون الذي تحتاجه بلاده في صراعها للاستقلال ، وكان شاباً بعيد الصيت ، تحفل الدنيا بآرائه ، وترقب نشاطاته في نقابات عمال كينيا ، علي ذلك العهد

---

* الصحافة ـ السبت ١٩/١/١٩٧١م عدد رقم ٢٣٨٥

، لكن التجاني كان في شغل عني وعنه ، القي اليه واحدة من نظراته التي يخلع لها نظارته ، وقال يخاطبنا معاً :

عرفت السر إهتديت اليه

أي سر ؟

لِمَ يأكل المسلمون هنا القات ؟ وغير المسلمين يأكلونه ، هؤلاء أميل للشرب .

وأخرج ورقة قرأ منها أعداداً ، جمعها في ترحاله في هرر في الشرق ودمبلو في الغرب ودس في الشمال وما وقف يستمع إن كان عندنا ما نقوله ، كان أكبر ممن يخاطبهم . كون وحده ثم ناولني (كليقة) كُلْ هذه الحفنة .. ما هي ؟ (قات) .. لكني لم أجربه . من أجل هذا أريد لنا أنت وأنا ، أن نأكل .. لماذا ؟ لنري أثره علينا ياغبي !!.

فأطعت وشرعت اقطع قطعاً من الورق امضغ وانصرف هو لما فيه .

نسينا . فحدثت صديقي الكيني بالذي دار بيننا ، وعرف لا مكان للسياسة ، مع القادم الجديد ، وانصرف علي ميعاد ، ووقف لدي الباب يرمق هذا الدرويش ، في كل جيب ورق ، وحقيبته تكاد تنوء بالذي فيها . ورباط عنقه علي كتفه ، ورباط حذائه تحت قدميه ، هز له التجاني رأسه يحييه ؟ لا أدري لا كلمة ، لا بسمه تصحب الهزة .

الم أقل لك ان التجاني كان عالماً وحده ، نحن واغلون فيه عليه . نحن أدوات تجاريه ، والذين عرفوه علي أيامه في الاسكندرية ، سيقرون هذا الذي أقول ، كانت أيام تعسة علي إبنه المريض ، كان تعسه داخله لا يطفح علي وجهه أو يديه أو لسانه ، يمضي يقص عليك الداء الذي ألم بالصبي ، وكأنه يتحدث عن مريض ، أي مريض ، وأسمع أن التجاني كان قريباً من مرضاه ، يجد طريقة سهلة للذي بقي في وعيهم من قدرة علي حس ، وفي بدنهم من قدرة علي رهق الحياة ، وليغفر لي طلابه ، إن جنحت للحديث عن إسلوب أستاذهم صديقي التجاني . أقول هذا لأني ذكرت وأنا أكتبه شيئاً عن السيرة الذاتية لبروزيه رأس اطباء فارس وأكاد أجزم أن أستاذهم قرأ هذه السيرة ووقف عندها فقد كان مغرم بالأوابد . وفي حديث له عن والديه وكيف حملاه حملاً علي تعلم الطب يقول : وكأنه يصف الطبيب الفاضل ، الطبيب المثال . .

« فلما بلغت وعرفت أمر الطب وفضله ، شكرت رأيهما في ذلك ورغبت في تعلمه حتي إذا شدوت منه علماً وبلغت فيه ما أمنت له نفسي علي مداومة المرضي ، وهممت بذلك ، أمرت نفسي فذكرتها وخيرتها بين الأمور الأربعة التي يطلب الناس ولها يسعون ، وإليها يجدون ،

فقلت أي هذه الخلال ينبغي عقلي ان يلتمس ؟ وأيها أحري ان هـو بغـاه أن يـدرك منـــه حاجته ؟ المال أم الملذات أم الصوت أم أجر الآخرة ؟ واستدللت علي المختار من ذلك فوجدت الطب محموداً عند العقلاء ولم أجده مذموماً عند أحد من أهل الأديان والملل ، وأصبت في كتبهم ان أفضل الأطباء من واظب علي طبه لا يريد بذلك غير الآخرة ، فرأيت أن أواظب عليه إبتغي ذلك ووجدت في كتبهم ايضاً ، ان الطبيب المبتغي بطبه أجر الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من الدنيا .. فلم أدع مريضاً أرجو له البرء وأطمع له في خفة الوجع الا بلغت في معالجته جهدي ومن قدرت علي قيام عليه قمت عليه بنفسي ومن لم أقدر علي القيام عليه وصفت له ما يصلح وأعطيته من الدواء ما يتعالج به لامرته بالذي ينبغي ، ولم أرد لشيء من ذلك جزاء ولا مكافأة ممن فصلت به .. وما فات بروز به شيئاً من نصيبه في الدنيا ذلك لانه فيما قال وهو يحدثنا عن سيرة وجدانه وذاته ان مثله كان « مثل الحرات الذي يثير أرضه ويعمرها إبتغاء الزرع لا العشب ثم هي لا محالة نابت فيها الوان منه » ما أداه أن أتقن طبه ، لا يغبط أهل الثراء والعاجلين ترجم استاذكم هذه الأخلاقيات والمذهب ترجمة معاصرة ، وأنا أعرف هذا طبعاً ، فقد تعلق به في أيام قليلة رجال الطب في أثيوبيا ، ورجال إدارة الطب ، تعلق به ابباريتا ، وزير الصحة الذي كان يطوف المدينة ، حين التقي الجمعان ، جمع الحرس الامبراطوري ، يقوده زعيمهم منقستو والجيش النظامي يقوده كبيره ، ويذكر تلكم الساعة ان هناك قتلي وجرحي عليه هو ان يرعاهم ، وان كثر الرصاص علي عربته التي يقودها بنفسه ، الجرحي اثيوبيون ، في أي جمع كانوا ، ابباريتا أشجع من رأيت خلقاً وجسداً ، علي أيامنا تلك المروعة وهو الذي علق باستاذكم صديقي التجاني .

ترك التجاني ثروة طبية للطبيب السوداني ، خارج بلاده ولك علينا أن تعرف هذا الجانب من جمائله ، ولكن أي جانب منه يستاهل لا أدري ! فما أنا بالطبيب الذي يمكن له ليقدم محاضراته في كندا وندواته في بريطانيا وأحاديثه في أديس أبابا من عواصـم العـالم .

شيء واحد انا واثق منه ، انه لم يكن شيئاً بعينه .

كان أثراً من آثار الزمان البعيد في حضارتنا التي ربي فيها وحضارة الغرب التي نقفها . كنت تستمع اليه يتحدث عن رجالاتنا في العهد الوسيط : الجاحظ الذي يتنقل بك من حوصلة الديك ، لبيان أهل عصره ، لفضل السودان علي البيضان ، في كتبه ، التوحيدي في المقابسات لا تفقه ما يقرأ الا قليلاً ، ان لم تكن محيطاً بعلوم وآداب ذلك الزمان وفي

أكثر ما يقول في الامتاع والمؤانسة ، لانه ينقل عليك لحظة بفلسفات عصره ، ويتنقل لنادرة في التاريخ ، ان كانت تافهة في مكانها في التاريخ يأسرك باسلوبه في سردها لا تستطيع فكاكاً من أسره ، لانه يمتع ويؤنس كما وعد ويشيد بهؤلاء الكبار ، رجال أهل النهضة في أوربا ، مايكل انجلو ، ليناردو دافنشي . كان هؤلاء يعالجون أكثر مسائل الفكر ، ينحتون يصورون ، يخاصمون يصادقون في شئون السياسة يخترعون الالات ، كانت هي الخطوات التي حبا الناس لعصرنا الحاضر ، يقرضون الشعر رسائلهم الخاصة ما زالت متعة الفلاسفة والقراء الي اليوم .

كانت المعرفة الانسانية في أول الطريق ، لهذه المعارف المذهلة المدمرة اليوم ، وكانوا هؤلاء يحيطون علماً باكثرها لانهم أنفسهم كانوا يعلمون ، وهكذا صديقنا استاذنا التجاني لم يرق مراقي هؤلاء في الذي تركوا خلفهم من آثار مكتوبه وأثر علي الحياة في زمانهم لكنه خفي أثرهم عن غريزة ذكية وسليقة هادية ، وهكذا فعل بعض النابهين علي زمانه فقد كانت كلية غردون باباً لمن يريد زمان التجاني ، بكدهم وسهرهم الليالي في الصحف التي تجيء طريقهم والكتب التي يجدون فكان المهندسون والأطباء والشعراء وكان الكتاب والأدباء الذين أشاعوا الحس القومي والوطني في البلاد .

التجاني ظاهرة من ظواهر ذلك العصر ، إشارة من الإشارات إلي أن العبقرية السودانية تستطيع أن تزدهر وإن عزت وسائل الإزدهار .

لا مضي قليلاً مع هذا التشبيه اخترته للأخ الفقيد إن كان التشبيه في رؤاي إياه ، وكل الذين عرفوا علي سنواته الأخيرة سيذكرون ، انه جنح جنوحاً لشطحات قريبة من شطحات أهل التصوف وكان فيما أحسب أنا الآن .. أن يسير تلك الطريق ، سارها قبله النماذج التي ذكرتها وأنا أستعيد شخصه الطريف في ذهني ، ولأسوق شاهداً علي هذا أعود لبروزيه رأس أطباء فارس الذي عالج الطب زماناً كما فعل التجاني وراح يتأمل مما يقول عن نفسه وقلقها واضطرابها .

ثم نظرت في الطب فوجدت الطبيب لا يستطيع أن يعطي المريض بدواء يذهب عنه داءه ، فلا يعود إليه أبداً ذلك الداء ولا غيره من الأدواء التي هي مثله ، أو أشد منه فلم أدر كيف أعد البر برءاً والداء لا تؤمن عودته أو ما هو أشد منه ووجدت عمل الآخرة هو الذي يسلم من الأذي حتي يبرأ صاحبها برءاً يأمن معه من الأدواء كلها فاستخففت بالطب وأردت الدين فلما وقع في النفس ذلك علي أمر الدين . أما كتب الطب فلم أجد فيها لشيء من ذكراً

يدلني علي أهداها وأصوبها ، فرأيت أن أراجع أهل كل ملة فانظر فيما يصنعون لعلي أعرف بذلك الحق من الباطل فاختاره والزمه علي ثقة ويقين غير مصدق بما لا أعرف ولاتابع مالا يبلغه عقلي ، ففعلت ذلك ، ونظرت فلم أجد أحداً من الأوائل يزيد علي مدح دينا وذم ما نخالفه من الأديان فاستبان لي انهم بالهوس يولعون ويتكلمون لا بعدل ، ولم أجد عند أحد منهم صفة تكون عدلاً يعرفها ذو عقل ويرضى بها .

ثم كان التيه ، تيه من يبحث مخلصاً عن الحقيقة أين ؟!

تلقتني زوجتي لدي الباب ذات يوم ، وكانت تؤثره أكبر الايثار ، لا يجيء دارها ، الا وفي يده لها شيء يثير اهتمامها ولا كنهه ، مثلاً جاء مرة يحمل قماشة مستطيلة عليها رسم رب العدالة علي عهد الفراعين وقبل ان يلقي بحقيبته الطائرة الملقاة علي كتفه شرع يعلقها علي الحائط وفي يدها كوب ليمون . وما إن فرغ من عمله حتي انتبه اليها ومد يده الي الكوب ووضعها علي مائدة قريبة منه وقص عليها كيف كان يوزع الفراعين العدالة يردد عليها « أهلكم » وهي تستعيذ بالله ان تكون من آل فرعون تتم صلواتها وهو ماض يفسر لها النقوش علي الصورة .

قالت لي جزعة ما رأيت الدكتور منذ يومين قلت واني لم أره ايضاً وكان يعيش في غرفة غير بعيدة لكنا فقدنا الأمل في أن يعترف بساعات اليوم وتركناه مع (ولدو) الصانع الماهر دخلنا يوماً ذاك غرفته فاذا هو ملتحف من برد أديس ، علي رأسه شال سميك يغطي أذنيه وفي قدميه جوارب سميكة كثيرة القدود وعلي طا ولة يمين السرير شاي كثير ، شمال السرير أكواب من الليمون لمسها الا قليلا وعلي الأرض أوراق عدة وفي حضنه كتاب قلبه علي صدره وفي يده قلم وعلي السرير أقلام أخري وورق وأريد لكم أن تصدقوا الذي أقول ، فالذي وقع لا يصدر الا عن رجل

« تاه »« زهل » .

ـ ماذا بكم ؟!

(لم نرك منذ يومين)

ـ (أنا سعيد)

ولكن !! ..

ـ ولدو يحضر الشاي والليمون والأكل .. أكلت كعكاً كثيراً « لكن الكعك ....»

« ما خرجت من هذة الغرفة »

ثم عرفت وأنا واقف لا أجد فرجة أجلس ، لانني كلما هممت بالجلوس

قال : لا فقد كان علي السرير صور مما يرسم القرويون علي جلود المعز عن رحلة سبأ لاورشليم وقصة سليمان . القي في يدي صفحات من الورق بخط يده ، ذهلت لقد انتهي من تجاربه وقرأءاته ، الي ان القات لا يضر علي النحو الذي كتب الناس وأذاع الأطباء ، وقال سأنتهي اليوم من بحثي أرسل لي ولدو وفعلت !! ..

كان الصبي ولدو مفتوناً بهذا الدرويش حائراً في هذا الذي لا يكف عن الشاي والليمون يحدثه عن تاريخ أهله في أريتريا أحاديث ما سمعها من قبل . وأذكره ذات يوم يعبر عن حيرته هذه بعبارة تفيض حباً واعزازاً أحدثها علي التجاني فاهتز فطرب ، قال ولدو:

« الدكتور ياكل في الحمام يغسل في أودة النوم »

وما كان بعيداً عن الحق ولدو فحياة التجاني لم تكن تعرف الرتابة .

كان قادراً عن ان يفاجئك كل يوم بجديد ، وذلك لان حياته كانت تجدد كل يوم لأنه راح ولم يفقد الاحساس بالتعجب . راح وهو يتساءل .

جمال محمد احمد

- الدكتور التجاني محمد الماحي
- من مواليد الكوة (النيل الابيض) ١٩١١م
- تخرج من كلية كتشنر الطبية عام ١٩٣٥
- تخرج من معهد الطب العقلي بجامعة لندن ١٩٤٩م
- عمل بالكثير من المواقع داخل السودان
- انتدب للعمل بهيئة الصحة العالمية حيث عمل مستشاراً اقليمياً لاقليم شرق البحر المتوسط
- بجانب دراسته وتخصصه في الطب العقلي له بحوث واهتمامات في الاجتماع والتاريخ والفلسفة والأدب والتصوف والادارة وتنمية المجتمع والحضارة العربية الاسلامية
- اشترك في العديد من المؤتمرات والندوات في السودان وافريقيا وأوربا وأمريكا
- قدم العديد من المحاضرات في الجامعات والمعاهد الامريكية
- عقب ثورة اكتوبر ١٩٦٤ اختير عضواً بمجلس السيادة
- تعتبر مكتبته من أغني المكتبات الفردية علي مستوي الافراد في الشرق العربي
- له مجموعات نادرة من الطوابع والعملات والتحف
- أهديت مكتبته الي جامعة الخرطوم
- عمل استاذاً (بروفسير) لشعبة الطب النفسي بكلية الطب بجامعة الخرطوم
- اهدت له جامعة كولمبيا كرسي الاستاذية
- وضع مؤلفاً « مقدمة في تاريخ الطب العربي » فكان من المراجع الاصيلة الهامة
- له عدة بحوث ودراسات طبعت ونشرت
- عرف بانه متحدث بارع ورجل موسوعي
- توفي لرحمة مولاه بمنزله بمدينة الخرطوم بحري في الثامن من يناير من عام ١٩٧٠م

الكتاب المشاركون في هذا السفر :-

د. احمد الصافي	د. حسن أبشر الطيب	د. عبد الله علي ابراهيم
بروفسير احمد محمد شبرين	د. الزين عباس عمارة	بروفسور عبد المجيد عابدين
أ. أحمد يس نابري	أ. صالح بانقا صالح	د. قاسم عثمان نور
أ. التجاني عامر	بروفسور صديق احمد اسماعيل	د. قلباوي محمد صالح
د. جعفر محمد علي بخيت	د. طه بعشر	أ. محجوب عمر باشري
أ. جمال محمد أحمد	بروفسور عبد الرحمن النصري	د. متوكل احمد امين
د. حسبو سليمان	بروفسور علي المك	أ. مصطفي ابو شرف

المحتويات



د. التجاني الماحي (١٩١١م – ١٩٧٠م)

- من مواليد الكوه - النيل الابيض ١٩١١م .
- تخرج من كلية كتشنر الطبية بالخرطوم في عام ١٩٣٥م .
- عمل طبيباً عمومياً في العديد من مدن السودان .
- تخصص في الطب العقلي بجامعة لندن كأول طبيب نفسي سوداني وعاد للبلاد في عام ١٩٤٧م .
- أسس أول عيادة للطب النفسي بالخرطوم بحري .
- أسس شعبة الطب النفسي بكلية الطب بجامعة الخرطوم .
- عمل مستشاراً لهيئة الصحة العالمية بمنطقة شرق البحر الابيض المتوسط .
- أختير نقيباً لأطباء السودان .
- كان عضواً عاملاً باللجنة التنفيذية للاتحاد العالمي لأطباء الصحة العقلية .
- كان عضواً بالمجمع اللغوي بالقاهرة .
- كان صاحب حضور دائم في المؤتمرات والندوات العلمية في مجال الطب النفسي .
- عرف في الاوساط العلمية بلقب « ابو الطب النفسي في افريقيا » .
- له العديد من المؤلفات والبحوث الأصيلة في مجال تخصصه .
- وضع كتاب « مقدمة في تاريخ الطب العربي » يعتبر من المصادر الهامة في هذا الحقل .
- قدم العديد من المحاضرات في المحافل الدولية والجامعات الأوروبية والامريكية ، وحصل على كرسي الاستاذية من جامعة كولمبيا (الامريكية) .
- كان ملماً بمجموعة من اللغات القديمة والحديثة مثل : الهيروغليفية والفارسية والهوسا بجانب اللغات الحديثة .
- امتلك اكبر مكتبة شخصية على مستوى الوطن العربي
- كان مهتماً بجانب الكتب والمخطوطات والوثائق بالطوابع البريدية والعملات الأثرية والخرائط القديمة والطبعات النادرة .
- كان وطنياً صادقاً شارك في مؤتمر الخريجين .
- سافر الي مصر وانضم الي المقاتلين ابان فترة الاعتداء الثلاثي على مصر خلال منتصف الخمسينات
- عقب ثورة اكتوبر ١٩٦٤ - عين عضواً بمجلس السيادة .
- كان صاحب نظرة وفلسفة خاصة في الحياة وموسوعي المعرفة
- توفي الي رحمة مولاه في ٨ يناير ١٩٧٠ بمدينة الخرطوم بحري .